العرب

alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2017/02/12 الموافق لـ 15 جمادى الأولى 1438

السنة 39 العدد 10541

Sunday 12/02/2017

39th Year, Issue 10541

وجوه

«مولانا» إبراهيم عيسى ص8

مجدد يطلق النار عليك وتقول هل من مزيد

هيثم قاسم طاهر ص7

أول وزير للدفاع بعد الوحدة اليمنية يدخل المعركة بصمت

رايان غوسلينغ ص9

نجم كندي ينتظر جائزة الأوسكار بفارغ الصبر

إسماعيل شموط ص10

رسام الذاكرة وحارس الهوية الوطنية

صدام الحضارات والهويات والأديان

نجيب جورج عوض: هل كان هانتنغتون على حق؟

أمير العمري: مخرج هز عرش الأيديولوجيا

عواد علي: المسرح ما بعد الحداثي

عبد الله مكسور: عدسة عراقية في بروكسل

هيثم حسين: إسكندرة اللبنانية رائدة الكتابة المسرحية

نوري الجراح: بحيرة العجائب السبع

ص 11 إلى 16

العرب (الثقافي)

العبادي متخوف من نتائج التصعيد بين واشنطن وطهران

● فصيل من الحشد الشعبي يلوح باستهداف المصالح الأميركية في اليمن وباب المندب

❑ **بغداد** – يعيش رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي وضعا صعبا في ظل التصعيد المنتظر بين الولايات المتحدة وإيران، والذي يمكن أن يكون العراق ساحاته الرئيسية، خاصة أن استمراره في الحكومة مرتبط بدعم كلّ من واشنطن وطهران.

وتتعمق حيرة رئيس الوزراء العراقي مع دعوة صريحة من أحد قيادات الحشد الشعبي إلى مواجهة الوجود العسكري للولايات المتحدة في اليمن وباب المندب، وفي ضوء تصريحات سابقة للرئيس الأميركي دونالد ترامب عن سعيه لاستعادة العراق من الهيمنة الإيرانية.

وقال العبادي السبت إن العراق لا يريد أن يكون طرفا في أيّ صراع إقليمي أو دولي، وذلك بعد كشف البيت الأبيض عن فحوى المكالمة التي جمعت الرئيس الأميركي برئيس الوزراء العراقي.

ونقل التلفزيون الرسمي عن العبادي قوله "العراق حريص على مصالحه الوطنية ومصالح شعبه ولا يريد أن يكون طرفا في صراع إقليمي أو دولي يؤدي إلى كوارث على المنطقة والعراق".

وتأتي هذه التصريحات بعدما تحدث العبادي هاتفيا إلى الرئيس الأميركي دونالد ترامب حيث تطرّقت المكالمة إلى التوتر مع إيران. وكانت هذه هي أول مكالمة هاتفية بينهما.

وكان البيت الأبيض قال الجمعة إن ترامب والعبادي "ناقشا التهديد الذي تمثله إيران على المنطقة بأكملها"، في حين لم يأت مكتب رئيس الوزراء العراقي، الذي كان سباقا بنشر تفاصيل المكالمة، عن ذكر التنسيق بشأن إيران في العراق.

وقال مكتب العبادي إن رئيس الوزراء طلب من ترامب رفع حظر السفر إلى الولايات المتحدة المفروض على العراقيين.

واعتبر محللون أن حرص العبادي على تأكيد حياده تجاه المواجهة الأميركية الإيرانية المنتظرة هدفه بالدرجة الأولى تجنب غضب طهران والأحزاب والميليشيات التابعة لها، والتي وقفت ضد مساعيه لإحداث إصلاحات جذرية ومقاومة الفساد.

وقال إحسان الشمري المعلق السياسي المقرب من العبادي إن رئيس الوزراء العراقي "يشدد مرة أخرى (في كلمته) على سياسة الحياد والنأي عن الصراع".

ولم ينج رئيس الوزراء العراقي من حملة تلك الأحزاب إلا بعد أن قبل باستمرار سيطرتها على المشهد، وقبل خاصة بأن تكون ميليشيا الحشد الشعبي جزءا محوريا في الحرب على الإرهاب، قبل أن يتم سن قانون باعتبارها جزءا من المؤسسة الأمنية والعسكرية.

ويبدو أن القبول بأمر سيطرة إيران على خيارات الحكومة لن يترك العبادي في مأمن بعد تسلم ترامب للرئاسة وتلويحه باستعادة العراق من السيطرة الإيرانية.

وقال ترامب في تغريدة على حسابه على تويتر قبل أسبوع إن "إيران مازالت تتوسع أكثر فأكثر في العراق حتى بعد أن بددت الولايات المتحدة ثلاثة تريليونات دولار هناك منذ فترة طويلة".

وكان الرئيس الأميركي لمّح قبل ذلك، في حديث مع مسؤولين من الاستخبارات الأميركية، إلى أن الولايات المتحدة كان يجب أن تأخذ النفط العراقي لتسديد تكاليف الغزو عام 2003، وهو ما فهم في بغداد على أنه دعوة لوضع اليد على النفط العراقي.

وعادت واشنطن إلى العراق أكثر وضوحا في الأشهر الأخيرة من إدارة باراك أوباما في إشارة إلى التراجع عن قرار الانسحاب الذي اتخذته إدارته نهاية 2011. ومن الواضح أن هذا التراجع مرتبط بهيمنة إيران على العراق.

ولا تقدر طهران على تحدي واشنطن بشكل مباشر، ولذلك يتوقع المراقبون أن تلجأ إلى تحريك وكلائها في العراق واليمن ولبنان لإطلاق تهديدات ضد المصالح الأميركية، وهو ما بدأت به فصائل الحشد الشعبي.

وتوعّد أوس الخفاجي الأمين العام لكتائب أبوالفضل العباس باستهداف السفن الأميركية قبالة سواحل اليمن.

وفي شريط فيديو بثته مواقع إعلامية عراقية السبت، خاطب الخفاجي ترامب بالقول إن "المقاومة قادمة إلى أميركا، وانتصاراتنا قادمة، وهي علامة على النصر في الأمة العربية والإسلامية، وبوارجكم المتواجدة في سواحل اليمن مهددة".

وقاوم العبادي، الواقع تحت سيطرة أحزاب إيران، دعوات من سياسيين شيعة بارزين بالرد بالمثل على حظر الولايات المتحدة دخول العراقيين إلى الأراضي الأميركية. وهي الخطوة التي كانت ستقود إلى تصعيد بين بغداد وواشنطن.

ويرى مراقبون أن سياسة النأي بالنفس لن تقود العبادي إلى الخروج من الورطة دون أضرار خاصة أن الإدارة الجديدة جادة في تطويق إيران إقليميا، ودفعها إلى رفع اليد عن العراق.

وقال وزير الدفاع الأميركي جيمس ماتيس قبل أسبوع إيران هي "أكبر دولة راعية للإرهاب". كما أعلنت الولايات المتحدة فرض عقوبات جديدة على 25 كيانا إيرانيا متهمة بالمساعدة في تسهيل التجربة الصاروخية. ومن بين المستهدفين من العقوبات شبكة مقرها لبنان يديرها الحرس الثوري.

الشرطة العراقية تفرق محتجين من أنصار مقتدى الصدر خلال مظاهرات في بغداد السبت للمطالبة بإصلاحات سياسية تفاصيل ص3

كم هي عميقة الجذور التي زرعها رفيق الحريري

خيرالله خيرالله

ص5

ماذا يحمل أردوغان في جولته الخليجية

❑ **أنقرة** – دأب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على البحث عن دعم اقتصادي خليجي لبلاده، لكنه لا يتقدم خطوة باتجاه تقديم مواقف داعمة لدول الخليج في مختلف الملفات، ويكتفي بإطلاق تصريحات عامة.

وقللت أوساط خليجية من قدرة أردوغان على الالتزام بأي مواقف عملية داعمة لدول مجلس التعاون خلال زيارته التي تبدأ اليوم الأحد إلى البحرين وبعدها السعودية ثم قطر.

وذكر بيان صادر عن المكتب الإعلامي للرئاسة التركية، السبت، أن أردوغان سيستهل جولته من البحرين، ويلتقي خلال الزيارة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، وكبار المسؤولين البحرينيين.

وبحسب البيان، سوف يتوجه الرئيس التركي الاثنين إلى المملكة العربية السعودية، ويلتقي العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز، ووليّ عهده الأمير محمد بن نايف، ووليّ وليّ عهده الأمير محمد بن سلمان.

ويختتم الرئيس التركي جولته الخليجية في قطر، بلقاء أمير البلاد الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، وفق البيان.

وأشار البيان إلى أن زيارة الرئيس التركي إلى البلدان الثلاثة، ستسهم في تعزيز العلاقات التركية الخليجية بشكل عام، ومنظمة التعاون الإسلامي.

وأشارت الأوساط الخليجية إلى أن دولا مثل السعودية لا يمكن أن تطلق وعودا اقتصادية وتجارية وسياحية مع أنقرة دون أن يبادر الرئيس التركي إلى إعلان موقف واضح من الدور الإيراني في المنطقة، وخاصة في اليمن وسوريا.

وقد يجد الرئيس التركي في تغيّر المناخ الدولي لفائدة دول الخليج فرصة لمهاجمة إيران، وعرض تعاون عسكري مع السعودية من بوابة التحالف الإسلامي لمواجهة الإرهاب.

ولا يثق السعوديون بوعود أردوغان، فقد سبق له أن عرض في 2015 تقديم الدعم للعملية التي يشنها التحالف العربي على الحوثيين في اليمن، متهما إيران بالسعي لوضع المنطقة تحت هيمنتها، لكنه زار طهران بعد مدة وجيزة وأصبح يتحدث عن حل سياسي للأزمة اليمنية ما أعطى الانطباع بأنه يقف إلى صف إيران وحلفائها في اليمن، ويريد حوارا يثبّت مكاسبهم.

وكانت دول الخليج قد قلّصت من انفتاحها على السوق التركية، وتراجع إقبال السياح الخليجيين على المدن التركية بسبب مواقف الرئيس التركي المعادية لمصر ما بعد ثورة يوليو 2013.

ويحاول أردوغان أن يحصل على دعم خليجي في شكل مشاريع متبادلة للخروج بالاقتصاد التركي من حالة الركود التي تسبب فيها التورط في الحرب السورية.

ميليشيات مصراتة تعيد السيطرة على طرابلس تحسبا لاعتراف دولي بحفتر

● الجماعات الإسلامية تنقلب على حكومة الوفاق ● تشكيل الحرس الرئاسي ورقة ضغط على السراج

❑ **طرابلس** – ربطت أوساط ليبية مطلعة العودة المفاجئة لميليشيات مدينة مصراتة إلى العاصمة الليبية طرابلس ببروز توجه دولي للرهان على قائد الجيش خليفة حفتر شريكا جديا لمحاربة داعش، والتصدي لموجات الهجرة باتجاه أوروبا والتي استفادت من غياب الأمن في ليبيا.

وقالت الأوساط الليبية إن ميليشيات مصراتة، المدعومة من تركيا، كثفت من وجودها في طرابلس في محاولة للإمساك بالوضع الأمني المتردي في العاصمة الليبية، فضلا عن توجيه رسائل إلى الخارج بأنها لن تقبل بأيّ حلّ يقفز على دورها.

وكانت هذه الميليشيات قد قلصت من وجودها لفائدة حكومة الوفاق الوطني برئاسة فائز السراج. لكن ضعف الحكومة وتراجع الثقة فيها، دفعا الشركاء الأوروبيين، الذين رعوا اتفاق الصخيرات، إلى التفكير في حفتر كطرف قوي يمكن أن يحقق التوازن.

وتقود مساعي التقارب مع حفتر كل من بريطانيا وإيطاليا، لكنه تقارب حذر في ضوء بعد قائد الجيش عن طرابلس.

ووصلت مجموعات مسلحة من مدينة مصراتة (غرب) إلى طرابلس خلال أسبوع حيث أعلنت تأسيس قوة مسلحة مستقلة ما أثار قلقا في الغرب، خاصة في الولايات المتحدة.

وأوضح مصدر قريب من حكومة الوفاق أن معظم المجموعات المسلحة التي وصلت إلى العاصمة الليبية تنضوي تحت راية قوات البنيان المرصوص التي طردت العام الماضي تنظيم داعش من سرت.

وأضاف المصدر طالبا عدم كشف اسمه "يشعرون الآن بأنهم مهمشون وباتوا يبحثون عن دعم"، موضحا أن اجتماعات تم عقدها السبت مع قياداتهم لإيجاد حل.

لكن متابعين للشأن الليبي قالوا إن هذه العودة هدفها تكثيف وجودهم في طرابلس تحسبا لتوافق دولي عن حوار بين السراج وحفتر قد يؤول إلى القبول بزيارة الأخير إلى طرابلس، وهو ما تعتبره الميليشيات الإسلامية والأحزاب الراعية لها خطرا يجب التصدي له قبل وقوعه.

وأشار المراقبون إلى أن دخول حفتر لطرابلس سيعني آليا رفع اليد عن الجماعات الإسلامية التي سعت دوائر غربية لإشراكها في ضبط الأمن في طرابلس ومحاربة الهجرة غير المنظمة، لكنها فشلت في ذلك.

وأعلنت الولايات المتحدة الجمعة أنها تابعت بقلق دخول آليات عسكرية، لمجموعة تقدم نفسها على أنها "الحرس الوطني الليبي"، إلى طرابلس.

وأضافت وزارة الخارجية الأميركية في بيان أن "هذا الانتشار من شأنه إضعاف الأمن الهش أصلا في طرابلس".

ودعت إلى تشكيل "قوة عسكرية وطنية موحدة تحت قيادة مدنية قادرة على ضمان الأمن لكافة الليبيين ومحاربة الجماعات الإرهابية".

وقال محمود زقل آمر منطقة مصراتة الخميس "نسعى لبناء مؤسسة وطنية بعيدة عن كل التجاذبات".

ولم يوضح زقل إن كان الحرس الوطني يدعم حكومة الوفاق أم لا. لكن بحسب مصادر محلية فإن ميليشيات عديدة منضوية تحت رايته موالية لخليفة الغويل الذي أعلن في 2014 تشكيل "حكومة الإنقاذ" ورفض الاعتراف بحكومة الوفاق في العام 2016.

ويزيد الإعلان عن تأسيس "الحرس الوطني الليبي" من إضعاف حكومة الوفاق الليبية التي تستعد لتشكيل "حرس رئاسي" بدعم من الأمم المتحدة لضمان أمن مؤسسات الدولة والبعثات الدبلوماسية.

ويرى مراقبون أن تشكيل تلك القوة يعني أن طرابلس أصبحت تحت رحمة قوّتين عسكريتين متضادتين، تزيد من احتمالية وقوع مواجهات مسلحة بين الطرفين، خاصة بعد المحاولة السابقة لحكومة الإنقاذ السيطرة على بعض المقرات الحكومية التابعة للوفاق.

وقال المحلل السياسي الليبي حسن الفقي إن "تشكيل الحرس الوطني التابع للإنقاذ، بدون شرعية يشكل تحديا حقيقيا لحكومة الوفاق المعترف بها دولياً، ويحدّ من قدرتها على بسط سلطتها علي كامل العاصمة".

وأضاف "محاولة حكومة الغويل بسط السيطرة على المؤسسات الرسمية بقوة السلاح ينذر بمواجهة بين الأطراف المتصارعة على الشرعية والتي نتجت عن الانقسام السياسي".

واعتبر الخبير الأمني الليبي إسماعيل الأنصاري أن تأسيس الحرس الوطني "مجرد عرض عسكري تسعى من خلاله حكومة الإنقاذ لضمان مقعد لها في أيّ اتفاق سياسي جديد".

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

أزمة داخلية تلوح في أروقة حزب الاستقلال المغربي

قرارات الأمين العام تهدد الحزب بالانقسام

يدخل حزب الاستقلال المغربي في مرحلة خطيرة تنذر باندلاع أزمة داخلية كبيرة قد تؤدي بالحزب إلى الانقسام وذلك على خلفية تجميد أنشطة ثلاثة قياديين فاعلين، فيما وصف هذا القرار بأنه رغبة من الأمين العام للحزب في منعهم من الترشح للمؤتمر القادم للحزب.

فاطمة الزهراء كريم الله

❑ **الرباط** – يعيش حزب الاستقلال وضعا ينذر بأزمة داخل الحزب تلوح في الأفق، وذلك بعدما قررت اللجنة الوطنية للتأديب داخل حزب الاستقلال، الخميس، توقيف كل من كريم غلاب وتوفيق احجيرة وياسمينة بادو وهم أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب لمدة 18 شهرا، بعد تمردهم على قرارات الأمين العام للحزب، حميد شباط، والتوقيع على البلاغ الذي دعا شباط إلى تقديم استقالته عقب تصريحاته المثيرة للجدل حول موريتانيا.

وجاء في البلاغ الذي أصدره حزب الاستقلال أن "اللجنة قررت بإجماع أعضائها الحاضرين، مؤاخذة أحجيرة وبادو وغلاب بارتكابهم مخالفة قوانين الحزب والإضرار بمصالح الحزب، وعدم الانضباط لمقرراته، ومعاقبتهم تأديبيا بالحكم عليهم بالتوقيف من ممارسة مهامهم وأنشطتهم الحزبية محليا ووطنيا لمدة ثمانية عشر شهرا مع كل ما يترتب عن ذلك من أثر قانوني، وذلك ابتداء من تاريخ صدور هذا القرار".

> مراقبون يؤكدون أن قرار إبعاد كل من توفيق أحجيرة وكريم غلاب وياسمينة بادو عن ممارسة نشاطاتهم لمدة 18 شهرا يراد به منعهم من الترشح للأمانة العامة لحزب الاستقلال خلال المؤتمر السابع عشر المقرر إجراؤه أيام 24 و25و26 من شهر مارس المقبل

وكان أعضاء اللجنة التنفيذية المحالون على اللجنة، بناء على قرار الإحالة الموقع من لدن الأمين العام شباط، تبعا لتوصية المجلس الوطني المنعقد في دورة استثنائية يوم 31 ديسمبر 2016، قد رفضوا المثول أمام لجنة التأديب والتحكيم، مكتفين بإرسال مذكرات.

وقد شهدت جلسة التحكيم الأخيرة انسحاب رئيسها أحمد القادري، الذي برر ذلك بكونه سيكون محرجا بسبب ورود اسمه ضمن وثائق ملفات الإحالة.

واعتبر مراقبون أن قرار إبعاد كل من أحجيرة وغلاب وبادو عن ممارسة نشاطاتهم لمدة 18 شهرا يراد به منعهم من الترشح للأمانة العامة لحزب الاستقلال خلال المؤتمر السابع عشر المقرر إجراؤه أيام 24 و 25و 26 من شهر مارس المقبل.

وهو الأمر الذي أكده أحجيرة في رد له على قرار اللجنة الوطنية للتحكيم والتأديب بحزب الاستقلال، في اتصال مع "العرب"، حيث قال "إن هذا القرار هو قرار 'شباطي' بامتياز حيث أعلن عنه قبل أسبوع في إحدى تصريحاته الإعلامية. وهو مناورة من الأمين العام للحزب، و يراد منها فقط إبعادي وإبعاد غلاب من الترشح للأمانة العامة لحزب الاستقلال خلال المؤتمر المقبل".

واعتبر أحجيرة، أن هذا القرار، ما هو إلا حلقة عادية ضمن مسلسل القرارات الطائشة التي عرفها الحزب منذ المؤتمر 16 والتي لم تفلح مؤسسات الحزب في تقويمه.

وفي السياق ذاته نبه أحجيرة إلى ما وصل إليه الحزب، بسبب تصريحات شباط التي وصفها باللامسؤولة، والتي تسببت في إقحام الحزب في صراع مع الدولة. داعيا في الوقت ذاته، جميع الاستقلاليين إلى اتخاذ موقف من قيادة الحزب التي عملت منذ توليها الأمانة العامة على إفلاس وتخريب حزب الاستقلال.

من جهتها، أكدت عضو اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، القيادية ياسمينة بادو، في تصريحات صحافية، أن هذا القرار يضاف إلى القرارات التي اتخذها شباط، والتي تسعى إلى ممارسة الإرهاب والتحكم داخل الحزب.

اشتداد الأزمة

وقالت "إذا أردنا عدّ القرارات التي اتخذها شباط في حق قياديي الحزب منذ توليه الأمانة العامة، سنجدد أعدادا لا تحصى من القرارات طالت حتى قيادات تاريخية للحزب". واصفة قرار اللجنة الوطنية للتحكيم بـ"المهزلة والمسرحية التي تنضاف إلى الانزلاقات التي صدرت عن الأمين العام للحزب، شباط منذ توليه قيادة الحزب".

يشار إلى أن الزعيمين التاريخيين لحزب "الميزان" عباس الفاسي وامحمد بوستة، كانا قد وقعا إلى جانب 40 استقلاليا بيانا انتقدوا فيه شباط بسبب تصريحاته بخصوص موريتانيا والتي تسببت في أزمة بين الرباط ونواكشوط، وطريقة تسييره للحزب، وطالبوه بالاستقالة، بعدما اعتبروه غير مؤهل.

وهو ما دفع بحزب الاستقلال، إلى عقد مجلس وطني استثنائي، في الـ31 من ديسمبر 2016، أعلن فيه شباط تفويض بعض صلاحياته للجنة مؤقتة إلى حين انعقاد المؤتمر.

هذا ويذكر أن الظهور الإعلامي لشباط في الآونة الأخيرة أثار الكثير من الجدل، من خلال التصريحات التي أدلى بها شباط، الأمين العام لحزب الاستقلال، وآخرها الإعلان عن استعداده للتبرع بأعضائه سواء توفي بشكل طبيعي أو بغير ذلك، وبأنه مهدد بالاغتيال من جهات داخل الدولة العميقة.

وردا على ذلك، اعتبرت وزارة الداخلية في بيان لها، أن تصرفات شباط غير مسؤولة تحركها دوافع سياسية غامضة يراد منها إثارة مزاعم لا غير.

بقايا داعش في ليبيا تستهدف البنى التحتية لإشاعة الفوضى

❑ **طرابلس** – قال مسؤولون أمنيون إن متشددي تنظيم داعش انتقلوا إلى وديان صحراوية وتلال تقع جنوب شرقي طرابلس مع سعيهم لاستغلال الانقسامات السياسية في ليبيا بعد هزيمتهم في معقلهم السابق في سرت.

وأضاف المسؤولون أن المتشددين الذين يعتقد أن عددهم يصل إلى العديد من المئات ويوصفون بأنهم "بقايا" داعش في ليبيا يحاولون إشاعة الفوضى من خلال قطع إمدادات الكهرباء والماء ويحاولون تحديد المجتمعات المحلية التي قد تتجاوب مع أفكارهم.

وتتم مراقبتهم من خلال الاستطلاع الجوي وجمع معلومات على الأرض. إلا أن مسؤولين ليبيين قالوا إن استهدافهم ليس بالمهمة السهلة دون وجود قوة جوية متقدمة مثل التي استخدمتها الولايات المتحدة في الـ19 من يناير 2017 عندما قتلت قاذفات قنابل من طراز "بي2–" أكثر من 80 متشددا في ضربة جوية جنوب غربي سرت.

ولفترة زادت عن العام سيطر داعش على سرت بالكامل وجعلها قاعدته الأولى في شمال أفريقيا لكن بحلول ديسمبر الماضي أجبر على الخروج من المدينة بعد حملة عسكرية استمرت ستة أشهر قادتها كتائب مصراتة المدعومة بضربات جوية أميركية.

وفقد التنظيم المتشدد الكثير من مقاتليه في معركة سرت ولا يسيطر حاليا على أراض في ليبيا لكنّ متشددين هاربين وخلايا نائمة يعتبرون مصدر تهديد في البلاد الممزقة بشدة والتي يغيب فيها حكم القانون إلى حد بعيد منذ انتفاضة 2011 التي أطاحت بمعمر القذافي.

وقال إسماعيل شكري قائد المخابرات العسكرية في مصراتة إن التهديد يتركز في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الشريط الساحلي بين مصراتة وطرابلس وهي منطقة تلتف حول محيط مدينة بني وليد وصولا إلى الصحراء الواقعة جنوبي سرت.

وأضاف أن مجموعة من المتشددين مؤلفة مما يتراوح بين 60 إلى 80 مقاتلا تنشط حول قرزة التي تبعد 170 كيلومترا غربي سرت بينما توجد مجموعة أخرى قوامها نحو 100 متشدد حول حقلي زلة ومبروك النفطيين الواقعين على بعد 300 كيلومتر جنوب شرقي سرت وهناك تقارير عن مجموعة ثالثة موجودة في العوينات قرب الحدود مع الجزائر.

وبعض هؤلاء المقاتلين كانوا خارج سرت قبل بدء حملة العام الماضي وفرّ البعض الآخر خلال المعركة في حين وصل آخرون من شرق ليبيا حيث هزموا على يد جماعات مسلحة منافسة.

وقال محمد القنيدي، وهو مسؤول مخابرات مع القوات التي نفذت حملة سرت، "هم يعملون ويتحركون في مجموعات صغيرة، ويستعملون فقط مركبتين أو ثلاث في نفس الوقت كما أنهم يتحركون في الليل لتفادي الرصد".

ونشرت تلك القوات صورا في أعقاب الضربة الأميركية الشهر الماضي أظهرت مخابئ حفرت في الرمال وملاجئ مؤقتة مموهة بأغطية بلاستيكية وأغصانا وكميات من الأسلحة والهواتف المرتبطة بالأقمار الصناعية.

وقال شكري وهو يشير إلى صور بالأقمار الصناعية تظهر مناطق صخرية شديدة الانحدار وممرات رملية جنوب غربي سرت "هذه المنطقة صعبة جدا وبالتالي فهي صعبة على قواتنا للتعامل معهم... الحل الوحيد للقضاء عليهم في هذه المنطقة هو من خلال الضربات الجوية".

وقال محمد جنونو، وهو متحدث باسم قوات جوية مقرها مصراتة، "إن المتشددين خضعوا لمراقبة استمرت 45 يوما قبل الضربة الأميركية".

وأضاف أن المراقبة أكدت وجود عدد كبير من الأفراد يعدون لأمر جديد في تلك المنطقة ويجهزون استراتيجية للتوجه إلى مناطق جديدة. وأشار إلى أن المنطقة شملت مناطق ريفية قرب مدينتي الخمس وزليتن الساحليتين بين مصراتة وطرابلس ومناطق حول مدينة سبها في جنوب البلاد. وقال جنونو إن مقاتلي الدولة الإسلامية تلقوا مساعدة لوجستية من المدنيين ودفعوا لآخرين لمساعدتهم على قطع إمدادات المياه والكهرباء بما في ذلك تخريب خط يوصل المياه إلى طرابلس ومهاجمة البنية التحتية لشبكة الكهرباء قرب مدينة سبها الجنوبية التي شهدت انقطاعات مطولة في الكهرباء في الأسابيع الماضية.

> مسؤولون ليبيون يؤكدون أن استهداف خلايا تنظيم داعش بعد طردهم من مدينة سرت ليس بالمهمة السهلة دون وجود قوة جوية قوية

وأضاف "داعش دمر أكثر من 150 كيلومترا من أبراج الكهرباء في الجنوب بين الجفرة وسبها. هذه الأفعال تزيد من الأزمة والإحباط في ليبيا كما أنها تعطي فرصة لعبّاد المال اللذين يمتهنون التهريب من خلال الحدود المفتوحة وكسب المال بشكل سهل من داعش".

وعانت سرت من أضرار جسيمة خلال المعركة ضد الدولة الإسلامية. ويقول مسؤولون عسكريون من مصراتة إنهم أمّنوا المدينة وإن بعض سكانها بدأوا في العودة لأحياء بوسطها.

لكنهم يشكون أيضا من قلة الدعم من حكومة الوفاق الوطني المدعومة من الأمم المتحدة في طرابلس ويشعرون بالقلق من تقدم قوات موالية للقائد العسكري خليفة حفتر إلى الشرق والجنوب من سرت.

ويقف حفتر، الذي يرفض حكومة الوفاق الوطني، على طرف نقيض من كتائب مصراتة في صراع اندلع في أنحاء ليبيا في 2014 في وقت كانت فيه الدولة الإسلامية تكتسب قوة.

ويتهم كل طرف الآخر باستغلال الدولة الإسلامية لمصلحته بينما يخوضان حملات منفصلة ضد المتشددين.

وقال شكري "الدعم الذي نتحصل عليه لا يتكافأ مع الخطر الذي نواجهه والتضحية التي نضحيها... نحن نحتاج إلى سلطات سياسية.. حكومة الوفاق الوطني عليها أن تستمر وأن تنظر للخطوة التي بعدها".

تحرير المناطق دفع بداعش إلى العمل في الخفاء

الإسراع بترحيل لاجئي تونس من ألمانيا

❑ **برلين** – حثت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل على الإسراع بترحيل طالبي اللجوء المرفوضين إلى تونس.

وقالت ميركل السبت في رسالتها الأسبوعية المتلفزة على الإنترنت إنها تعتزم خلال زيارة رئيس الوزراء التونسي يوسف الشاهد الثلاثاء المقبل إلى برلين بحث مسألة إسراع إجراءات إعادة التونسيين المرفوضة طلبات لجوئهم إلى بلدهم، خاصة المصنفين على أنهم خطيرون أمنيا.

وأشارت ميركل في ذلك إلى منفذ هجوم الدهس في برلين، التونسي أنيس العمري.

يذكر أن السلطات الألمانية لم تتمكن من ترحيل العمري المشتبه في صلته بالإرهاب إلى تونس بسبب عدم توفر أوراق ثبوتية له.

وتحدثت ميركل في رسالتها عن "موقف إيجابي للغاية" للحكومة التونسية في تحسين سبل التعاون في هذا الأمر. ودعت ميركل مجددا إلى تصنيف تونس والمغرب والجزائر في قانون اللجوء الألماني على أنها "دول آمنة" لإسراع إجراءات الترحيل.

وفي إشارة إلى مقترحات بتأسيس مخيمات لاستقبال اللاجئين في شمال أفريقيا، قالت ميركل إنه يتعين "مناقشة الإمكانيات المتاحة في إطار من الاحترام المتبادل والهدوء".

ومن المقرر أن تلتقي ميركل الثلاثاء المقبل بالشاهد، لبحث مسائل ترتبط بالهجرة ومستقبل التعاون بين البلدين.

وأوضح الموقع الخاص بالحكومة الاتحادية في برلين على شبكة الإنترنت الجمعة أن المحادثات ستكون خلال حفل غداء وستشمل أيضا الوضع الأمني في المنطقة والعلاقات الثنائية والتعاون بين البلدين.

ويبدأ رئيس الحكومة التونسية زيارة رسمية إلى ألمانيا بدءا من يوم الاثنين وتستمر حتى الأربعاء وهي الأولى له منذ توليه المنصب في أغسطس الماضي.

وتأتي الزيارة في أعقاب فترة شابتها أزمة صامتة بين البلدين بشأن ترحيل المهاجرين غير الشرعيين المنحدرين من دول شمال أفريقيا ومن بينها تونس.

وتضغط برلين لتسريع عمليات الترحيل لمن رفضت طلبات لجوئهم دون عوائق بيروقراطية. وتقدر الحكومة التونسية عدد مهاجريها غير الشرعيين إلى ألمانيا بحوالي 1200 تم ترحيل قرابة 100 من بينهم.

الصدر يحشد أنصاره للمطالبة بتغيير مفوضية الانتخابات

المفوضية للمتظاهرين: اطعنوا أمام القضاء العراقي وتحشيد الشارع يعرضنا للخطر

احتشد الآلاف من أنصار زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر، السبت، وسط العاصمة العراقية بغداد، مهددين باللجوء إلى خيارات تصعيدية ضد الحكومة والبرلمان، لتغيير مفوضية الانتخابات فيما ردت هذه الأخيرة بوجوب الطعن أمام القضاء وعدم تحشيد الشارع.

الصدر يمتلك قوة الشارع

❏ **بغداد** – خرج الآلاف من أتباع رجل الدين الشيعي مقتدى الصدر إلى شوارع بغداد السبت في استجابة لطلبه بالضغط من أجل إجراء تغييرات في المفوضية العليا للانتخابات وقانون الانتخابات.

وتجمع الآلاف في الميدان للمطالبة بتعديل اللجنة المشرفة على الانتخابات قبيل إجراء انتخابات محلية في سبتمبر المقبل.

وأطلقت شرطة مكافحة الشغب الغاز المسيل للدموع عندما حاول المحتجون التحرك باتجاه المنطقة الخضراء التي تضم أيضا منظمات دولية.

واقتحم أنصار الصدر المنطقة في العام الماضي بعد اشتباكات عنيفة مع قوات الأمن.

ويشك الصدر في أن أعضاء اللجنة الانتخابية موالون لغريمه الشيعي رئيس الوزراء السابق نوري المالكي أحد أقرب حلفاء إيران في العراق.

وناشد رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي المحتجين بالحفاظ على السلمية والالتزام بالقانون.

ويجاهر الصدر بمعاداته للوجود الأميركي والسياسات الأميركية في الشرق الأوسط وفي الوقت نفسه يشوب التوتر علاقته مع الجماعات السياسية العراقية الموالية لإيران.

وحمل المتظاهرون ، لافتات كتب عليها "مفوضية أوصلت غير الأكفاء للحكم لا بد من تغييرها"، "المفوضية التي جاءت بها الأحزاب لا بد من تغييرها"، "تغيير مفوضية الانتخابات مطلب شعبي عراقي".

وهتف المحتجون ضد "الفساد والفاسدين" في الحكومة والبرلمان، وطالبوا بمحاكمتهم. وأغلقت قوات الأمن، الجسور المؤدية إلى المنطقة الخضراء التي تبعد عن الساحة بأقل من كيلومتر، وفرضت إجراءات مشددة في محيطة المنطقة التي تضم مقار الحكومة والبرلمان، تحسباً من تكرار عملية اقتحامها كما حصل في صيف العام الماضي.

وقال الشيخ محمد الكعبي ممثل الصدر في كلمة له خلال المظاهرة إن "الخطوة القادمة ستكون مفتوحة أمام الشعب العراقي، أو أن يتم تغيير مفوضية الانتخابات بشخوصها وقانونها". وأضاف "ننتظر الخطوات التصعيدية القادمة (دون أن يكشف عن تفاصيلها)".

ومع تصاعد الاحتجاجات اندلعت مواجهات بين قوات الأمن والمتظاهرين ما أسفر عن مقتل سبعة أشخاص وجرح عشرات آخرين.

وأعمال العنف هذه هي الأكثر دموية التي تندلع أثناء تظاهرة منذ بدأت في 2015 موجة التظاهرات التي طالب خلالها المحتجون بتحسين الخدمات واتهموا السياسيين العراقيين بالفساد والمحسوبية.

وقال عقيد في الشرطة إن سبعة أشخاص قتلوا "جراء أعمال العنف. اثنان منهم من منتسبي قوات الأمن والخمسة الباقون من المتظاهرين".

وأضاف أن أكثر من 200 شخص أصيبوا معظمهم من المتظاهرين الذين تنشقوا الغاز المسيل للدموع، إلا أن 11 آخرين على الأقل أصيبوا بجروح أكثر خطورة تسببت بها العيارات المطاطية وعبوات الغاز المسيل للدموع.

وإثر سقوط ضحايا، أمر رئيس الوزراء العبادي بإجراء تحقيق كامل في الإصابات التي حصلت في الأجهزة الأمنية والمتظاهرين وملاحقة المسؤولين عن ذلك.

وقالت قيادة عمليات بغداد في بيان "تم العثور على أسلحة نارية وسكاكين لدى بعض المتظاهرين ما يدل على وجود نوايا مبيتة لدى البعض خلافا للقانون ولحق التظاهر السلمي".

وأكدت القيادة أن "القوات الأمنية ستقوم بواجبها في حفظ الأمن والنظام وحماية المواطنين والأموال العامة والخاصة". ودعت المواطنين إلى "الالتزام بالنظام والقانون والحذر من المُندسين والمشبوهين".

ويقول الصدر إن مفوضية الانتخابات "غير جديرة بإجراء انتخابات نزيهة في البلاد على اعتبار أن مسؤوليها تم ترشيحهم من قبل الأحزاب الحاكمة مما يجعلهم يميلون إلى أحزابهم".

> نقل الصراع على الانتخابات بشكل مبكر جدا إلى الشارع يؤشر على صراع شرس قادم على السلطة بين الأحزاب الشيعية القائدة للعملية السياسية في العراق، مرتبط بعملية ترتيب أوضاع البلاد في مرحلة ما بعد داعش

ورفضت المفوضية الاتهامات الموجهة إليها، وقالت في بيان لها إن تحميلها الأخطاء التي شهدها العراق خلال الفترة الماضية "غير صحيح"، واعتبرت تحشيد الشارع تجاهها "يعرضها للخطر".

ودعا رئيس المفوضية سربست مصطفى، المحتجين من أنصار التيار الصدري، إلى رفع دعاوى قضائية للطعن على نتائج الانتخابات التي سبق أن أشرف عليها مجلس المفوضية الحالي".

وقال مصطفى إن "اللجوء إلى الشارع واستنفار الجماهير بهذه الصورة من قبل أتباع التيار الصدري تظهر كأن المفوضية هي سبب مشاكل العراق وهو أمر يثير الاستفهام والاستغراب".

وأضاف متسائلاً، "لماذا هذه الحشود في هذا التوقيت بالذات، هل هو بسبب تحديد الحكومة العراقية 16 سبتمبر المقبل كموعد لانتخابات مجالس المحافظات، المفوضية لن تكون أبدًا طرفًا في أيّ صراع سياسي قائم".

وتابع متسائلاً "أم أن استنفار الشارع العراقي، هو نتيجة توجه المفوضية نحو استحداث أساليب وإجراءات تنهي التصويت المتكرر وتحد من تشويه إرادة الناخب كما حدث في الانتخابات الماضية؟".

ولم ينقطع الصدريون خلال الأشهر الماضية عن المطالبة بتغيير القانون وتركيبة المفوضية، دون أن ينجحوا في فرض التغيير المنشود عبر "الوسائل الدستورية" نظرا لافتقارهم إلى النفوذ الكافي داخل السلطتين التشريعية والتنفيذية في ظل هيمنة تيارات أخرى على رأسها شخصيات نافذة مثل المالكي الذي يعتبر الخصم الأبرز للصدر.

وبات الشارع يمثّل أفضل وسيلة لدى الصدر لمقارعة خصومه السياسيين، بعد أن أظهر خلال التظاهرات والاعتصامات التي شهدتها البلاد على مدار السنتين الماضيتين.

وبلغت ذروتها في ربيع العام الماضي باقتحام المتظاهرين المنطقة الخضراء والوصول إلى مبنى البرلمان، قدرة على توظيف الغضب الشعبي العارم من سوء الأوضاع واستشراء الفساد، كما أظهر براعة في التحكم بالحراك الاحتجاجي وتوجيهه.

وبحسب متابعين للشأن العراقي، فإنّ نقل الصراع على الانتخابات بشكل مبكر جدًا إلى الشارع، يؤشر على صراع شرس قادم على السلطة بين الأحزاب الشيعية القائدة للعملية السياسية في العراق، مرتبط بعملية ترتيب أوضاع البلاد في مرحلة ما بعد تنظيم داعش التي ستبدأ قريبا بعد حسم معركة الموصل الجارية حاليا.

ونظرا لكبر حجم الرهان المتمثّل بانتزاع دور أكبر في قيادة البلد، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بتحجيم نفوذ الممسكين بالسلطة منذ سنة 2003، يبدو الصدر مستعدًا لدفع المعركة بالشارع إلى أقصى مدى لها.

ولا يبدو الحراك الصدري بالشارع عديم التأثير في المشهد السياسي العراقي، حيث ساعدت الاحتجاجات رئيس الوزراء العبادي على امتلاك قدر من القوّة بمواجهة رفيقه في حزب الدعوة الإسلامية نوري المالكي، الذي كان مصدر الضغط الأساسي عليه منذ تسلمه رئاسة الوزراء.

المدنيون دروع بشرية للحوثيين في معركة المخا

❏ **صنعاء** – قالت الأمم المتحدة، مساء الجمعة، إن "الحوثيين استخدموا مدنيين في مدينة المخا، على البحر الأحمر، غربي اليمن، دروعا بشرية، وحذروهم من عدم مغادرة منازلهم".

وأعرب مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، عن القلق الشديد إزاء القتال في الميناء الجنوبي الغربي من المخا، بمحافظة تعز، خلال الأسبوعين الماضيين، وتأثير ذلك على المدنيين، وفقا لبيان نشر على الموقع الإلكتروني، لإذاعة المنظمة الأممية.

وذكر روبرت كولفيل، المتحدث باسم المفوضية في جنيف، أن "المدنيين حوصروا وتم استهدافهم خلال القتال في المخا، وهناك مخاوف حقيقية من أن يعيد الوضع نفسه في ميناء الحديدة إلى الشمال من مدينة المخا، حيث الضربات الجوية تتكثف بالفعل".

وأضاف "أفادت تقارير موثوق بها بأن المدنيين عالقون في وضع لا يطاق بين الأطراف المتحاربة، حيث يتم إعطاؤهم تعليمات متعارضة، فعلى سبيل المثال حذرت اللجان الشعبية التابعة للحوثيين وحلفائهم، المدنيين من عدم مغادرة منازلهم، بينما طالبت قوات التحالف الموالية للحكومة بإخلاء المنازل".

وتابع "كما أفادت تقارير أخرى أن قناصة تابعين للحوثيين قاموا بإطلاق النار على العائلات التي تحاول الفرار من منازلها في المناطق التي يسيطرون عليها، مما يشير إلى استخدام المدنيين كدروع بشرية".

من جانبه، قال المفوض السامي لحقوق الإنسان، زيد رعد الحسين، "إن الوضع الإنساني الكارثي بالفعل في البلاد يمكن أن يزداد سوءا إذا تم تدمير ميناء الحديدة، وهو نقطة رئيسية للواردات في اليمن"، في إشارة إلى احتمال تمدد المعارك باتجاه ميناء الحديدة غربي البلاد، وفق البيان ذاته.

وناشد الحسين الأطراف المتصارعة، وذكّرها بالتزاماتها بموجب القانون الإنساني الدولي لتجنب استهداف المدنيين في هذا الصراع، محذرا "من أن أيّ هجوم مباشر ضد المدنيين أو الأهداف المدنية، يشكل انتهاكا خطيرا للقانون الإنساني الدولي".

وأعلنت مفوضية شؤون اللاجئين الأممية، الجمعة، أن أكثر من 34 ألف شخص فرّوا من المناطق الساحلية والداخلية غرب محافظة تعز، نتيجة اشتداد القتال، بحسب بيان آخر نشره ذات الموقع.

ووفقا للمفوضية، اشتد القتال في المناطق الساحلية المخا وذباب غرب محافظة تعز، كما بدأ يتسرب إلى الداخل في مديريتي الوازعية وموزع، فيما نزح قليل من المدنيين إلى محافظتي لحج وإب.

وقال وليام سبيندلر، المتحدث باسم المفوضية في جنيف، إنه وبسبب العمليات العسكرية ، لا يزال وصول المساعدات الإنسانية يشكل تحديا رئيسيا للمفوضية، ولكنها منخرطة في مفاوضات مكثفة مع الجهات ذات الصلة لتقديم المساعدة في المناطق التي يصعب الوصول إليها.

ويبدو أن التغييرات الهامة التي طرأت على خارطة السيطرة على مناطق اليمن دفعت الحوثيين إلى البحث عن شماعة لتعليق هزائمهم المتكررة في أكثر من جبهة.

وهاجم حزب الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح، والحوثيون، الجمعة، المبعوث الأممي، مطالبين بتنحيته عن مهمته.

جاء ذلك في رسالة وجهها صالح الصماد، رئيس ما يسمى بالمجلس السياسي الأعلى، المشكل بالمناصفة بين الحوثيين وحزب صالح، في رسالة وجهها لأمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، ونشرتها وكالة "سبأ" التابعة لهما.

وقال الصماد إن "إدارة إسماعيل ولد الشيخ أحمد للمفاوضات اتسمت بميله وتعاطفه" مع التحالف العربي الذي يدعم قوات الشرعية، و"الرضوخ المستمر للضغوط السعودية، ما أخل بمهمته وطبيعتها".

وأضاف أن قدرات ولد الشيخ الذاتية وكفاءته المهنية "ضعيفة". واتهمه بـ"الفشل في إدارة النقاشات والمفاوضات، وعدم الاستفادة من الفرص وإرباك العملية التفاوضية على مدار عامين".

واعتبر أن ولد الشيخ "لم يعمل بمسؤولية على فتح مطار صنعاء أمام المرضى والجرحى ومن يتطلب علاجهم خارج اليمن".

وبناء على ما سبق، طالبت الرسالة بـ"عدم التمديد لولد الشيخ لفشله في مهمته وعدم حياديته".

ومنذ آب الماضي، يفرض التحالف العربي بقيادة السعودية، حظرا للطيران على مطار صنعاء، باستثناء الطائرات الأممية والتابعة للمنظمات الإغاثية الدولية.

كما طالبت الرسالة بمواصلة الحوار بين قوى سياسية، برعاية الأمم المتحدة، في إشارة إلى رفضهم الدخول في مشاورات جديدة كطرف واحد بين وفد الحوثي-صالح، كما كان معمولا في جولات المشاورات الثلاث، ولكن على شكل أحزاب سياسية يمنية.

وجاءت الرسالة في أعقاب هجوم حوثي متواصل على المبعوث الأممي خلال الأيام الماضية، وتحديدا منذ زيارته الأخيرة للعاصمة صنعاء، ومطالبته للحوثيين بالالتزام بالشق الأمني من خارطة السلام، والانسحاب من صنعاء وتسليم السلاح الثقيل.

كما شن المبعوث الأممي، بدوره، هجوما على الحوثيين في أعقاب قصفهم مقر لجنة التهدئة والتنسيق الأممية لوقف إطلاق النار في ظهران الجنوب السعودية، وقال إن ذلك "يعكس نوايا غير حسنة".

وولد الشيخ هو المبعوث الأممي الثاني في اليمن بعد المغربي جمال بن عمر، الذي عمل في الأزمة اليمنية منذ اندلاع الثورة الشبابية في العام 2011 وحتى 2015.

وتم تعيين الموريتاني، خلفا لبن عمر، أواخر نيسان 2015، أي بعد نحو شهر من انطلاق عاصفة الحزم بقيادة السعودية، ضد الحوثيين وقوات صالح.

وتشهد عدة محافظات يمنية، بينها مناطق محاذية للحدود السعودية، حرباً منذ قرابة عامين بين القوات الموالية للحكومة من جهة، ومسلحي الحوثي- صالح من جهة أخرى.

في الطريق إلى الحديدة

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

التعديلات الدستورية في تركيا إعادة تأهيل للدكتاتورية

أردوغان ينتقد نظام الحزب الواحد في خطاب حملة دعم النظام الرئاسي المطلق

إلى غاية فوز أردوغان بمنصب رئيس الدولة في الانتخابات الرئاسية في تركيا التي جرت في أغسطس 2014 كان هذا المنصب رمزيا، في حين كان رئيس الحكومة يتحمل المسؤولية الحقيقية في إدارة البلاد. ولكن بعد تسلم أردوغان منصب رئيس الدولة، انقلبت الأمور وأصبح هو الرئيس الفعلي للبلاد، وهو الآن يعمل جاهدا من أجل إدخال تعديلات على دستور البلاد لتثبيت هذا الأمر دستوريا.

سلفي للذكرى

❑ **أنقرة** – أكد المجلس الأعلى الانتخابي التركي رسميا السبت أن يوم 16 أبريل المقبل سيكون موعدا لإجراء الاستفتاء حول التعديلات الدستورية الرامية إلى تغيير النظام من نظام برلماني إلى نظام رئاسي، على مقاس الرئيس رجب طيب أردوغان. وتأتي هذه التطورات في الوقت الذي لا تزال فيه تركيا تخضع لحالة طوارئ سارية منذ وقوع محاولة انقلاب فاشلة في يوليو الماضي، وسط مظاهر قلق أن يؤدي ذلك إلى عرقلة حركة المعارضة في البلاد.

وسيمثّل الإصلاح الدستوري المقترح واحدا من أكبر التعديلات في نظام الحكم في الدولة –المرشحة للانضمام للاتحاد الأوروبي– منذ تأسيس الجمهورية الحديثة على أنقاض الإمبراطورية العثمانية قبل نحو قرن. وسيمكن الإصلاح الرئيس من إصدار المراسيم وإعلان حالة الطوارئ وتعيين الوزراء وكبار المسؤولين في البلاد وربما يؤدي إلى احتفاظ إردوغان بالسلطة في الدولة العضو في حلف شمال الأطلسي حتى العام 2029.

وفي حين يؤكد أردوغان أن هذا التعديل ضروري لضمان الاستقرار على رأس الحكم في تركيا التي تواجه اعتداءات غير مسبوقة وصعوبات اقتصادية، يعتبره معارضون ومنظمات غير حكومية وسيلة ستتيح للرئيس التفرد بالسلطة، خصوصا في أعقاب محاولة الانقلاب في يوليو 2016 وما تلاها من حملة تطهير واسعة غير مسبوقة شملت توقيف واعتقال وطرد عشرات الآلاف.

ومثل معظم خطبه نقلت كلمة أردوغان عبر شاشات عدد من المحطات التلفزيونية، ودعا من خلالها الرئيس التركي مواطنيه إلى التصويت من أجل رئاسة تنفيذية "على الطريقة التركية"، مؤكدا أن التعديلات ستجيز "اتخاذ قرارات سريعة" وتتخلص من احتمالات الخلاف بين الرئيس ورئيس الوزراء. وقال إن الرئاسة التنفيذية ضرورية لتجنب الائتلافات البرلمانية الهشة التي تشكلت في الماضي. وأضاف أن 65 حكومة على مدى 93 عاما من عمر الجمهورية الحديثة أمضت في السلطة مددا متوسطها 166 شهرا فقط.

وكرّر الرئيس التركي ما قاله بشأن التعديلات الدستورية خلال ندوة أعدها مركز الأبحاث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التركي، الموالي للحكومة، في إسطنبول، منتقدا فترة تركيا الكمالية بقوله "من يُطلق اسم الديمقراطية على الفترة الممتدة من تاريخ إعلان الجمهورية (1923) حتى فترة الانتقال إلى نظام الأحزاب المتعددة، إما أنه يخدع نفسه أو يحاول خداعنا". وأضاف في هذا الإطار "لأن اسم هذه الرحلة هو حكومة الحزب الواحد".

وانتقدت وسائل إعلام تركية ما جاء في كلمة أردوغان، معتبرة أن الرئيس التركي يناقض نفسه عند انتقاده لحكومة الحزب الواحد؛ فما تعيش على وقعه تركيا اليوم يؤكد أنها ماضية في طريق الدكتاتورية والرئيس الواحد. ونقلت صحيفة زمان التركية عن محللين سياسيين قولهم إن السلطات التركية قامت بإسكات كل الصحافيين والسياسيين والشخصيات العامة وممثلي منظمات المجتمع المدني الذين سيصوتون بـ"لا" خلال الاستفتاء.

ويرى أنصار أردوغان أن هذه الخطط ضمان للاستقرار في وقت يشهد فوضى تهدد أمن تركيا من جراء حربين في سوريا والعراق المجاورتين، وكذلك من موجة هجمات يشنها مسلحون تابعون لتنظيم الدولة الإسلامية ومسلحون من الأكراد.

وسعيا لكسب دعم المصوتين القوميين حذر الرئيس التركي من أن التصويت ضد تلك التعديلات من شأنه أن يقوّي أعداء تركيا بمن فيهم جماعة حزب العمال الكردستاني المسلحة التي تحارب الدولة منذ أكثر من ثلاثة عقود انطلاقا من معسكرات في جبال قنديل في شمال العراق.

ومع بدء الحملة أكد ساسة معارضون أنهم سيمارسون ضغوطا، حتى لا ينجح الاستفتاء في تمرير هذه التعديلات التي ستزيد من تضييق الخناق على البلاد، وترفع من نسبة الفساد وتدفع السياسة الخارجية نحو مزيد من الانهيار. ويقول الحزبان المعارضان الرئيسيان –حزب الشعب الجمهوري، وهو علماني، وحزب الشعوب الديمقراطي الموالي للأكراد– إن التعديلات ستضع نهاية للتوازنات في مواجهة التأثير القويّ لأردوغان على الحكومة وهو التأثير الموجود بالفعل بدرجة كبيرة.

وقال كمال كليجدار أوغلو، زعيم حزب الشعب الجمهوري أثناء لقائه مع صحافيين في أنقرة حول مائدة مستديرة، "هذا تحديدا لن يكون استفتاء نزيها. نعلم أن الإعلام الموالي لأردوغان ستكون له سياسة للبث تتجاهل المعارضة تماما". وأضاف أنه "سيجري تصوير الأمر على أننا نعمل ضد الدولة" مشيرا إلى أن 90 بالمئة من وسائل الإعلام في تركيا خاضعة للنفوذ الحكومي.

وللحصول على الأغلبية الكبرى في البرلمان لتنظيم استفتاء، يحتاج أردوغان إلى دعم نواب حزب الحركة القومية اليميني المتشدد، رابع أحزاب البرلمان. لكن وفيما يدعم أعضاء بارزون في الحزب على رأسهم زعيمه دولت بهشلي، التعديلات الدستورية، يرفضها جانب آخر من أعضاء الحزب، من بينهم ميرال أكسينير، العضو البارز والتي خسرت سباقا لرئاسته العام الماضي.

وكان أردوغان محبوب المجتمع الدولي، لكنه لم يعد كذلك الآن، وأثنى عليه البعض لقيادته تركيا نحو نمو اقتصادي مثير، وكبح جماح مؤسسة عسكرية لها تاريخ طويل من التدخل في السياسة التركية، والشروع في عملية سلام واعدة مع السكان الأكراد المتمردين في البلاد، غير أن إنجازات أردوغان يخيّم عليها الآن ميله الواضح نحو الاستبداد، والذي سيتكرّس بالتعديلات الدستورية التي ستمنحه صلاحيات مطلقة للتحكم في البلاد.

أبرز التعديلات المطروحة

- يحصل الرئيس التركي على المزيد من الصلاحيات التنفيذية ومن بينها إصدار مراسيم لها قوة القانون.
- إلغاء منصب رئيس الوزراء، وبدلا من ذلك سوف يقوم الرئيس بتعيين نائب له.
- يعين الرئيس الوزراء، بدلا من موافقة البرلمان عليهم، وهو الجهة التي لا تزال تتمتع حتى الآن بصلاحية مراقبة الحكومة، ويمكن للرئيس استحداث وزارات وإلغاء أخرى.
- يمكن للرئيس أن يكون عضوا في حزب سياسي، ومن الناحية التاريخية في تركيا، يقطع الرئيس علاقته بالحزب الذي ينتمي إليه، ويصبح شخصية محايدة لدى توليه منصبه.
- يتم منح البرلمان صلاحيات واسعة لمراقبة الرئيس، مع ضرورة توافر أغلبية الثلثين لإجراء تحقيق شامل معه.
- توسيع نطاق الشروط التي تتيح للرئيس إعلان حالة الطوارئ في البلاد.
- تعقد المحاكم العسكرية جلساتها فقط في حالات الصراع لنظر جرائم الحرب.
- إعادة تنظيم أسلوب تعيين القضاة، ووضع هذه العملية بشكل أكبر تحت سيطرة الرئاسة والسياسيين.
- تعرض الرئاسة مشروع الميزانية العامة للدولة، ويتعين على البرلمان الموافقة عليها.
- تتضمن التعديلات المقترحة أيضا زيادة عدد أعضاء البرلمان من 550 إلى 600 عضوا، وخفض الحد الأدنى لسن العضوية من 25 إلى 18 عاما.
- تجرى انتخابات الرئيس والبرلمان كل خمس سنوات، وفي نفس اليوم، على أن يكون الموعد التالي لإجرائها هو الثالث من نوفمبر عام 2019.
- يمكن للبرلمان أو الرئيس الدعوة إلى إجراء انتخابات مبكرة، ومع ذلك، إذا دعا البرلمان إلى إجرائها خلال الفترة الثانية للرئيس، عندئذ يتم السماح للرئيس بخوض الانتخابات للفوز بفترة رئاسية أخرى، ودون ذلك تقتصر مدة الرئاسة على فترتين فقط، ويعني ذلك، من الناحية الفنية، أن هناك طريقا أمام أردوغان للبقاء في الحكم حتى عام 2034.
- تنظم التعديلات المقترحة الطريقة التي يتم من خلالها سنّها، وبعضها يحظى بالأولوية، مثل إمكانية انضمام الرئيس لحزب سياسي، بينما البعض الآخر منها، مثل إلغاء منصب رئيس الوزراء، يتم تطبيقه بعد الانتخابات المقبلة.

قوات تركية وفصائل سورية تسابقان قوات الأسد نحو مدينة الباب

❑ **بيروت** – دخلت القوات التركية وفصائل سورية معارضة تدعمها السبت إلى مدينة الباب التي تحاصرها من ثلاث جهات وتعدّ آخر أبرز معاقل تنظيم الدولة الإسلامية في محافظة حلب في شمال سوريا، وذلك غداة تقدم قوات النظام جنوبها.

ويأتي تقدم هذه القوات التي تحاصر المدينة من الجهات الغربية والشمالية والشرقية، غداة وصول قوات النظام السوري وحلفائها إلى مشارف المدينة من جهة الجنوب، حيث باتت على بعد 1.5 كيلومتر منها، بحسب المرصد السوري لحقوق الإنسان.

وتشكل مدينة الباب منذ شهرين ، والتي سيطر عليها الجهاديون منذ العام 2014، هدفا لهجوم يشنه الجيش التركي دعما لفصائل سورية معارضة في إطار عملية "درع الفرات"، قبل أن تبدأ قوات النظام السوري وحلفاؤها ومنذ أسابيع وبدعم روسي هجوما موازيا للسيطرة على المدينة.

> ليس واضحا ما إذا كان الجانبان التركي والروسي الواقفان على طرفي نقيض في النزاع السوري يتسابقان ميدانيا للوصول إلى مدينة الباب أو إن كان هناك اتفاق غير معلن بينهما، خصوصا أن روسيا قدمت دعما جويا للعملية التركية

وليس واضحا ما إذا كان الجانبان التركي والروسي الواقفان على طرفي نقيض أصلا في النزاع السوري، يتسابقان ميدانيا للوصول والسيطرة على مدينة الباب أو إن كان هناك اتفاق غير معلن بينهما، خصوصا أن روسيا قدمت في وقت سابق دعما جويا للعملية التركية الداعمة للفصائل.

وبدأت تركيا منذ 24 أغسطس 2016 حملة عسكرية غير مسبوقة داخل سوريا ضد تنظيم الدولة الإسلامية والفصائل الكردية المقاتلة. وحققت العملية تقدما سريعا في بدايتها، إلا أنها تباطأت مع اشتداد القتال للسيطرة على مدينة الباب ديسمبر الماضي.

وبحسب ما أوردت وكالة أنباء دوغان الخميس، قتل منذ بدء التوغل التركي في سوريا، 66 جنديا تركيا معظمهم بنيران تنظيم الدولة الإسلامية. وأعلنت تركيا الخميس مقتل ثلاثة جنود أتراك "خطأ" في غارة للطيران الروسي على منطقة الباب.

وأكد الكرملين أن الغارة استهدفت "إرهابيين" طبقا لإحداثيات قدمها الأتراك لكن هيئة الأركان التركية سارعت إلى التأكيد أنها أبلغت الروس بإحداثيات تمركز جنودها في المنطقة.

وكانت تركيا وروسيا وقعتا اتفاقا في الثاني عشر من يناير الماضي حدد الآليات اللازمة "لتنسيق" الضربات الجوية في سوريا. وعكس هذا التعاون تحسنا في العلاقات بين البلدين إثر أزمة نشبت في نوفمبر 2015 عندما أسقطت تركيا مقاتلة روسية على الحدود مع سوريا. وأثمر التقارب التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في سوريا يستثني الجهاديين ولا يزال ساريا منذ 30 ديسمبر 2016.

ويشهد الريف الشرقي لمحافظة الرقة مواجهات بين الجهاديين وقوات سوريا الديمقراطية، تحالف فصائل كردية وعربية، في إطار هجوم "غضب الفرات" لطرد التنظيم من أبرز معاقله بدعم من التحالف الدولي بقيادة واشنطن. وتتقدم هذه القوات ببطء نحو مدينة الرقة.

ويربط قياديون في قوات سوريا الديمقراطية ذلك بالألغام والمفخّخات التي تركها التنظيم خلفه. وبحسب المرصد السوري لحقوق الإنسان، باتت هذه القوات على بعد نحو ثمانية كيلومترات شرق مدينة الرقة، علما أنها تحاصرها من جهة الشمال أيضا.

تأتي هذه التطورات الميدانية قبل أقل من عشرة أيام من موعد حددته الأمم المتحدة لاستئناف مفاوضات السلام حول سوريا في جنيف. وفي خطوة استباقية لمحادثات جنيف، أعلنت وزارة خارجية كازاخستان في بيان السبت أنه "تقرر عقد محادثات جديدة رفيعة المستوى في إطار عملية أستانة لإيجاد تسوية للوضع في سوريا في 15 و16 فبراير".

وأشارت إلى دعوة "الحكومة السورية" و"ممثلي المعارضة المسلحة السورية" والموفد الدولي للأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا إلى هذه المفاوضات.

وتأتي هذه الدعوة إثر جولة محادثات أولى استضافتها أستانة الشهر الماضي برعاية روسية تركية إيرانية لبحث تثبيت وقف إطلاق النار، انتهت بدون تحقيق تقدم في حل النزاع المستمر منذ نحو ست سنوات والذي أسفر عن مقتل أكثر من ثلاثمئة وعشرة آلاف شخص (310).

وسيتم خلال الجولة المقبلة من محادثات أستانة مناقشة وقف إطلاق النار وإجراءات إحلال الاستقرار في مناطق معينة وغيرها من "الخطوات العملية" التي يجب اتخاذها تمهيدا لمحادثات جنيف، بحسب خارجية كازاخستان.

واتفقت روسيا وإيران وتركيا على ضرورة مشاركة فصائل المعارضة في المحادثات التي ستجرى في جنيف برعاية الأمم المتحدة في الـ20 من فبراير الحالي. وتعقد الهيئة العليا للمفاوضات الممثلة لأطياف واسعة في المعارضة السورية اجتماعا منذ الجمعة في الرياض، تمهيدا لاختيار أعضاء وفدها إلى جنيف.

الدبابات التركية على طريق مصيري

كم هي عميقة الجذور التي زرعها رفيق الحريري

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ كلّما مرّت الذكرى، كلّما اكتشف المرء عنصرا جديدا يؤكد أن الجريمة لم تكن تستهدف الرجل بمقدار ما أنّها كانت تستهدف لبنان بكلّ أبنائه. كانت تستهدف سوريا أيضا التي تحولت مدنها إلى أطلال في غياب رفيق الحريري.

للمرّة الثانية عشرة تطلّ ذكرى غياب رفيق الحريري الذي اغتيل ظلما مع رفاقه بهدف التخلص من لبنان. للمرّة الثانية عشرة يتبيّن أن الجريمة التي ارتكبت في الرابع عشر من شباط ـ فبراير 2005 لن تمرّ. من كان يصدّق، أن النظام السوري الذي كان، في أقل تقدير، متواطئا مع منفذي الجريمة انتهى في اليوم الذي اغتيل فيه الشخص الذي يرمز إلى المحاولة الجدية الوحيدة، منذ العام 1975، لإعادة الحياة إلى لبنان انطلاقا من بيروت.

> جرت المحاولة تلو الأخرى من أجل القضاء على ما بناه رفيق الحريري في وقت قياسي. تكمن مشكلة الذين يقومون بهذه المحاولات في أنهم لا يدركون مدى عمق الجذور التي لمشروع رفيق الحريري

ما تشهده سوريا في هذه الأيام أسوأ من نهاية لنظام. إنّها نهاية لبلد كان يمكن أن يكون من أفضل بلدان المنطقة، لو وجد فيه من يستمع لرفيق الحريري بدل أن يرفع شعارات "المقاومة" و"الممانعة" لتبرير الجرائم المرتكبة في حقّ اللبنانيين والسوريين في آن.

في اثني عشر عاما، جرت المحاولة تلو الأخرى من أجل القضاء على ما بناه رفيق الحريري في وقت قياسي. تكمن مشكلة الذين يقومون بهذه المحاولات في أنّهم لا يدركون مدى عمق الجذور التي لمشروع رفيق الحريري. هذا المشروع الذي يتلخص بعبارة بناء الإنسان والحجر في آن.

أصبح رفيق الحريري رئيسا لمجلس الوزراء في العام 1992. ما يفوت كثيرين أن عملية إعادة بناء لبنان لم تبدأ بتشكيل الحكومة الحريرية الأولى. بدأت العملية منذ أصبح رفيق الحريري قادرا على مساعدة لبنان واللبنانيين من ماله الخاص الذي كسبه بعرق جبينه في بلد الخير الذي اسمه المملكة العربية السعودية.

على المرء ألاّ يستحي من تسمية الأشياء بأسمائها. هناك شخص يعرف لبنان. كان هذا الشخص، "المهووس بلبنان" على حدّ تعبير نهاد المشنوق، مستعدا للتبرع بثروته الضخمة، أو على الأصح بقسم كبير منها من أجل البلد وكي "يبقى البلد"، كما كان يقول رفيق الحريري نفسه.

من تعرّف على رفيق الحريري مطلع تسعينات القرن الماضي، قبل أن يصبح رئيسا لمجلس الوزراء، يدرك كم تطوّر الشخص في غضون خمسة عشر عاما. كان من الزعماء القلائل الذين لا يستحون من قول عبارة "لا أعرف" عندما كان أمام سؤال لا يمتلك جوابا عنه أو قضية غريبة عنه. لكنه كان في المقابل يعرف من هو الشخص الأفضل للإجابة عن هذا السؤال أو للتعاطي مع هذه القضية بشكل فعّال.

في هذه القدرة على التطوّر والتأقلم مع المتغيّرات ومعرفة من يصلح لماذا، تكمن أهمّية رفيق الحريري الذي سعى إلى إقامة علاقات مع جميع اللبنانيين وعمل في الوقت ذاته على التأسيس لشبكة علاقات عربية ودولية لم يكن هناك من مثيل لها. كان مهتمّا بكل شاردة وواردة من أقصى المغرب العربي إلى كل دولة من دول الخليج، مرورا بالطبع بالمشرق العربي. قليلون يعرفون أن رفيق الحريري شارك في صياغة الدستور الفلسطيني عن طريق أفكار معيّنة ساهمت في إغناء الدستور وإعطائه بعدا إنسانيا.

لعلّ أكثر ما يلفت في رفيق الحريري أنّه كان يعرف كيف يبني وكيف يؤسس. امتلك معرفة عميقة بلبنان واللبنانيين. كان يعرف أهمّية الجامعات والمدارس والمستشفيات والمصارف والفنادق والمطاعم وكلّ المرافق السياحية في لبنان. استثمر فيها وفي الإنسان اللبناني. لذلك علّم عشرات آلاف اللبنانيين على حسابه. عرف معنى الجامعة الأميركية في بيروت ومستشفاها وأهمّيّة الجامعة اليسوعية والجامعة العربية والجامعة الوطنية (الجامعة اللبنانية). لولا رفيق الحريري، لكان ممكنا أن تقفل الجامعة الأميركية أبوابها وأن يهاجر أساتذتها وجميع الأطباء الذين كانوا يعملون في مستشفاها. حمى رفيق الحريري الجامعة الأميركية والجامعات الأخرى التي خرّجت شبانا لبنانيين وآخرين من العرب برعوا في كلّ الميادين. أحد خريجي الجامعة الأميركية تبرّع أخيرا للجامعة وكلية الهندسة فيها بمبلغ كبير. اسمه مارون سمعان وهو شاب لبناني من الجنوب تخرّج من كلّية الهندسة. أراد بكل بساطة أن يكون وفيّا لمن قاده إلى النجاح. أراد أن يكون وفيّا للبنان وللجامعة التي قدّمت له الكثير. تلك مدرسة وطنية بحدّ ذاتها ساهم في تعميمها رفيق الحريري وآخرون سبقوه في ذلك، لكنّ أيّا منهم لم يقدّم ما قدّمه في ظروف في غاية الصعوبة والدقة.

اليد التي اغتالت الجسد لم تستطع اغتيال المشروع

حمى رفيق الحريري كلّ المؤسسات الوطنية. كان يعرف معنى دعم الجيش وقوى الأمن ومعنى أن تجد جريدة "النهار" ورقا كي تستمرّ في الصدور ومعنى أن يبقى للبنان شركة طيران خاصة به اسمها "الميدل إيست".

هذا غيض من فيض ما عمله رفيق الحريري الذي أعاد لبنان إلى خريطة الشرق الأوسط. كانت لرفيق الحريري جذور عميقة في لبنان. زرع هذه الجذور الواحد تلو الآخر. كان دؤوبا. كان عصاميا. كان يعرف أن الرهان على لبنان في محله. لذلك بعد اثني عشر عاما على اغتياله لا يزال رفيق الحريري حاضرا أكثر من أيّ وقت. يعرف كلّ لبناني شريف ماذا فعل رفيق الحريري للبنان. يعرف قبل أيّ شيء آخر أنّه لولا رفيق الحريري، لكانت بيروت مدينة مقسمة وسطها مكان تسرح فيه وتمرح الكلاب الشاردة.

قبل المباشرة بإعادة وسط بيروت، كان هذا الوسط مساحة تحوّلت إلى أدغال. نبتت أشجار في وسط المدينة. مررت بالوسط في العام 1990 وكان معي ابني الذي كان بلغ في حينه الرابعة من العمر. نظر حوله وقال لي بالحرف الواحد: "لقد قتل الصيّادون المدينة". كان يقصد بالصيادين أولئك الوحوش الذين ينتمون إلى ميليشيات مختلفة. لم يكن لدى هؤلاء من هدف سوى قتل بيروت.

بفضل رفيق الحريري، انتصرت ثقافة الحياة على ثقافة الموت. هذا معنى إعادة بناء بيروت. أقام جذورا لثقافة الحياة. هذه الجذور عميقة إلى درجة يصعب اقتلاعها. هذه الجذور جعلت اللبنانيين ينتفضون في الرابع عشر من آذار ـ مارس 2005 بعد شهر من اغتيال رفيق الحريري. أخرج اللبنانيون بصدورهم العارية القوات السورية من لبنان بعد احتلال استمر نحو ثلاثة عقود.

لا شيء يعوّض عن خسارة رفيق الحريري الذي يعرف كلّ لبناني من اغتاله ولماذا اغتيل بعد أقلّ من سنتين من تسليم الإدارة الأميركية العراق إلى إيران وبدء الانطلاقة الجديدة للمشروع التوسّعي الإيراني الذي استهدف أوّل من استهدف رفيق الحريري ومشروعه الوطني.

المحزن في الأمر أنّ رفيق الحريري لم يكن فرصة أضاعها لبنان. كان فرصة أضاعتها سوريا أيضا. لا شيء يحدث بالصدفة. ليس صدفة انهيار سوريا بعد سنوات قليلة على غياب رفيق الحريري. لم يكن الرجل حاميا للبنان فحسب، كان حاميا لسوريا أيضا. لبنان سيتمكن من التقاط أنفاسه، وإن بصعوبة. ولكن كيف لم يستطع بشّار الأسد فهم أنّ اغتيال رفيق الحريري سيؤدي به وبنظامه وسيجعله أسير مشروع إيراني ذي أهداف واضحة كلّ الوضوح من بين ضحاياه سوريا ولبنان وكلّ ما هو عربي في المنطقة؟

أي الشخصيات الدوستويفسكية يشبه بوتين

لفهم السياسة الروسية الراهنة يقول الخبراء إنه يجب الرجوع إلى الأدب الروسي. ويعتبر الأدب الروسي أفضل مرجع لتفسير الأحداث في أوكرانيا وسياسة الرئيس فلاديمير بوتين الإقليمية والدولية. وذهب وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر إلى حد اعتبار بوتين "أحد شخصيات دوستويفسكي"، هذا الروائي الذي يقول تقرير نشرته مؤخرا نشرية سياسية تصدر عن جامعة هارفارد إن الرئيس الروسي متأثر برؤيته حول الكبرياء الروسي العظيم.

❑ **لندن** – كتبت نينا خروتشيفا، حفيدة الزعيم السوفييتي الأسبق نيكيتا خروتشوف، تقول "روسيا ثقافة افتراضية. فنظرا لأننا عشنا تحت حكم مستبدين طيلة معظم تاريخنا فقد تعودنا على العيش في الخيال عوضا عن الواقع".

لكن إذا كانت روسيا تعيش في عالم خيالي مشدود بشخصيات أكبر من الواقع وبحبكات مسرحية، ماذا عسانا نقول عن رئيسها فلاديمير بوتين؟ كيف يمكن للرواية الروسية الكلاسيكية أن تسلط الضوء على الرئيس وسياساته؟

خذ الدراما السياسية الواقعية جدا في القرم على سبيل المثال. لقد تطورت الأزمة الأوكرانية إلى صراع على السلطة يعدّ الأكثر دموية في شرق أوروبا منذ كانت يوغسلافيا بلدا موحدا. بدأت الأزمة في شكل تعليق للمحادثات التجارية بين الكرملين والرئيس الأوكراني فيكتور ينوكوفيتش، ثم تصاعدت إلى عنف مسلح بين المحتجين الموالين للغرب وقوات الأمن المحلية، مما فتح المجال للروس لاختراق القرم.

يقول أندرو د. كوفمان، أستاذ الأدب الروسي في جامعة فرجينيا، إن الصراع في أوكرانيا "ليس مجرد صراع جيوسياسي، بل هو دراما مترسّخة في الروح الروسية منذ قرون".

بالنسبة إلى كوفمان، هذه الدراما تحيلنا إلى ما قال عنه كتّاب روس من القرن التاسع عشر، وخاصة فيودور دوستويفسكي، إنه الروح الروسية. وهذه الروح هي من النوع الذي يصلح للاستبداد الامبريالي.

إذن لم تكن أفعال الرئيس في القرم حدثا معزولا، ولا كانت خاصة به. ناهيك عن أن بوتين يحظى بمساندة شعبية تقارب الـ70 بالمئة مما يجعله يقف على قاعدة ثابتة من الدعم. لكن لماذا؟ ما الذي يوجد في المجتمع الروسي يجعل هذا المستبد العدواني يحظى بشعبية؟ لفهم فلاديمير بوتين جيدا يجب الرجوع إلى كتابات فيودور دوستويفسكي التي شخّصت بشكل بارع الروح الروسية.

عندما التقى جورج بوش الابن في بداية فترته الرئاسية بفلاديمير بوتين للمرة الأولى سارع بمدح شخصيته، حيث قال بوش في مؤتمر صحافي بعد اللقاء "نظرت في عيني الرجل، وتمكنت من فهم شيء من روحه". كان الهدف من اللقاء، الذي سمّي لاحقا "قمة سلوفينيا"، إقامة علاقة دبلوماسية بين روسيا والولايات المتحدة وإقامة ركيزة للمفاوضات المستقبلية.

أثناء تقلده السلطة كان الرئيس الروسي شخصية غير قابلة للنفاذ وغامضة ومتجهمة. يتصور روسيا قوية تُحكم قبضتها على المواطنين والبلدان في الجوار تحت اسم الوطنية. في ردة فعل تجاه حادثة قرصنة معلوماتية روسية أضرّت بالانتخابات الرئاسية الأميركية لسنة 2016، نعت جو بايدن بوتين بالدكتاتور، قائلا إنه "رجل يخلط بين الصخب المتبجح والقوة".

بالطبع، الاستبداد والعدوانية ليسا جديدين على روسيا فالبلاد على مدى قرون تتصارع مع هويتها القومية. لم يكن بوش في حاجة إلى النظر في عين بوتين ليفهم ذلك، بل كان بإمكانه أن يلجأ إلى الكتّاب الروس الذين حددوا تلك الطبيعة بشكل واضح.

اعتقد دوستويفسكي أن لروسيا مهمة ربانية لقيادة إمبراطورية مسيحية سلافية، حيث كتب في "يوميات كاتب" يقول "وبذلك ستغزو روسيا السلاف وفي النهاية تجذبهم نحوها. في البداية سيلجأون إليها في زمن الكوارث لكن بعد ذلك سيعودون إليها في يوم ما وسيلتصقون بها كلهم بثقة طفولية تامة. سيعودون كلهم لعشهم الأصلي".

في نظر دوستويفسكي، روسيا هي البلد الأكثر تطورا من الناحية الروحية من كل البلدان السلافية. وبصفتها البلد الأم لعائلة من الدول ستمتص حتما هذه البلدان والشعوب القريبة وتضمّها في بوتقة واحدة، وعلى زعمائها العمل في اتجاه تنفيذ هذه المهمة.

في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي وما تبع ذلك من اضطراب روحي، تمسك الروس بهذا التفكير التنبؤي الانتصاري. ويقول كوفمان "بعد كل مآسي التاريخ الروسي في القرن العشرين وإهانات العشرين سنة الماضية خاصة، يبحث الكثير من الروس العاديين عن دليل قاطع على جدارتهم الوطنية –أو التفوق– بين الأمم".

وخلافا لتولستوي، الذي كان وطنيا لكنه أقرّ بتفرد كل بلد وقيمته وإنسانيته، ادعى دوستويفسكي أن مهمة روسيا هي "التوحيد العام لكل الناس من كل القبائل التابعة للعرق الآري العظيم". عندما بدأ غبار الحرب الباردة يستقر تبنى الروس فكرته القائلة بأمة مقدّر عليها توحيد الخارج القريب وحكمه. وقد استخدم بوتين هذه الفكرة.

يعلق ويليام ميلز تود، أستاذ الآداب في جامعة هارفارد، في مقابلة مع المجلة السياسية لجامعة هرفارد، بقوله "من المعروف جيدا أن بوتين وزّع بعض كتابات دوستويفسكي على حكام الأقاليم في روسيا". وما تفضيل بوتين لدوستويفسكي على تولستوي إلا دليل على تعطشه لكتلة موحدة من البلدان السلافية بقيادة روسية. عندما يتكلم بوتين عن "إخوانه في السلاح" أو إعادة الوحدة بين أوكرانيا وروسيا فهو رجع لصدى دوستويفسكي. وعندما قام بتحركه العدواني للاستيلاء على القرم وضمها إلى الفيدرالية الروسية فقد تصرف حسب مفهوم "الروح الروسية".

في المدينة الفاضلة الدوستويفسكية يتولى الزعماء الروس حكم الإمبراطورية السلافية بنوايا خالصة وتواضع وحب. وهكذا تكون روسيا المبنية على المبادئ المسيحية والأعمال الخيرية القائمة على نكران الذات غير عدائية ومرحبة بجيرانها في القرم. ونظرا لكونه كان ضحية لقمع الدولة كان دوستويفسكي معارضا بشدة لقمع الصحافة والتلاعب السياسي والحكومة مفرطة السلطات غير المسؤولة، وهي كلها أشياء يمارسها بوتين اليوم.

عمد بوتين إلى تجريد وسائل الإعلام الكبرى من استقلاليتها وحوّلها إلى قنوات لدعاية الكرملين، إلى جانب استهداف واغتيال الصحافيين المؤثرين المنتقدين لإدارته مثل أنّا بوليتكوفسكايا. ولإثارة الاضطراب الداخلي ومنح الشرعية لأعماله التسلطية ينشر الحديث عن الجواسيس الأجانب والتدخل الغربي في الشؤون الروسية. ومن ثم قام بوتين بتشويه وتحريف فكر دوستويفسكي ليتناسب مع مصالحه.

يؤكد كوفمان أنه "مثلما هو الحال عادة مع الافتراضات الثقافية، اقتصر بوتين على الجوانب التي يجدها متجانسة مع أهدافه من رسالة دوستويفسكي". وسيبني بوتين إمبراطوريته مهما كانت التكاليف، حتى وإن كان ذلك يعني إثارة ضغينة الغرب.

بطل دراما «الروح الروسية»

> ما تفضيل بوتين لدوستويفسكي على تولستوي إلا دليل على تعطشه لكتلة موحدة من البلدان السلافية بقيادة روسية. فعندما يتكلم بوتين عن «إخوانه في السلاح» أو إعادة الوحدة بين أوكرانيا وروسيا فقد تصرف حسب مفهوم «الروح الروسية»

أميركيات يدافعن عن مسلمين يرفضون حرية المرأة

أسعد البصري
كاتب عراقي

❏ جرأة كبيرة أن يعيش الإنسان، وجرأة أكبر أن يقول رأيا. يقول المؤرخون الأنثروبولوجيون إن الإنسان يحتاج مجتمعا بسبب المشقة في تربية الأطفال. لا يعيش الأطفال دون جماعة ومساعدة وحماية. في عالم القردة مثلا إذا تم طرد قرد من مجموعته يكون حظه بالبقاء ضئيلا ناهيك عن تربية الأطفال. الشيء نفسه حدث للبشر وبسبب نشوء المجتمع احتاج إلى ثقافة لتنظيم الصحّ والخطأ والأخلاق والعلاقات الجنسية، وهكذا ظهرت الديانات.

الذي يحدث في المهجر هو طرد "القرد" من مجموعته كما في ظاهرة اللجوء بسبب انهيار مجتمعات ودول بالحروب والنزاعات الدينية. هذه المجتمعات اللاجئة تعجز أحيانا عن التكيف، فهي حاملة للغة وثقافة وذاكرة مختلفة، فماذا تفعل؟ تبني مسجدا وحسينية وتمارس الدين. إن اجتماعهم ينظم مشاكلهم النفسية، ويقدم لهم فرصة للتعارف والتزاوج والتناصح بالغرب. المشكلة الآن وبسبب انتشار التصادم الحضاري صاروا يخافون ارتياد دور العبادة. اليهودي مثلا يذهب إلى معبده بالغرب، والسيخي والبوذي وغيرهم. وحده المسلم عليه إظهار خصومة مع ثقافته، وهذه الخصومة تزيد من اغترابه.

العوائل المسلمة بأميركا صارت تسحب أموالها من البنك وتحتفظ بالمال نقدا بالبيت. يخافون من أن الرئيس ترامب يصادر أموالهم. ربما هذا غير ممكن، لكن المسلم صار يرى كل شيء ممكنا. المهاجر المسلم يحتاج المسجد بسبب الغربة، والمسجد ليس رسالة إيمانية ونشر عقيدة بل هو مكان اجتماع، وجمع تبرعات، وحل لمشاكل بعضهم البعض. صار المسلم المهاجر لا يعرف ما يفعل، في بلاده حروب ومشاكل وفقر فيهاجر إلى الغرب، ولكن هو إنسان وحامل لثقافة بالنهاية. يحتاج مسجدا وحسينية وهوية حتى لو يذهب مرة بالسنة لا مشكلة.

الديانات ساعدت البشرية في فترات الطاعون والجفاف، وساعدت في تربية الأطفال واستمرار العائلة، فلماذا تبقى العائلة متماسكة؟ في معظم الأحيان يلعب الدين دورا قويا في موضوع الأسرة. لا نعرف كيف ستنتهي مشكلة العالم. التصادم الحضاري يتصاعد، والمسلمون المهاجرون انسحبوا من مساجدهم. صاروا يخافون وصمة الإرهاب. عدد قليل منهم بدأ يتحول إلى نصراني ويجد الخدمات النفسية بالكنيسة، صحيح أن الكنيسة في الغرب كريمة، وليس عليها شبهة الإرهاب، غير أن هذا صعب على كثير من المسلمين، مهما كان عندهم من هوية عزيزة.

عدد كبير من الغربيين ملحد، ولكنهم في وطنهم وأهلهم ولغتهم. الغريب يحتاج وطنا وذاكرة ولطالما كان الله ملجأ للغرباء والشتات. إن الأحداث متسارعة جدا، ولا نعرف حقا كيف سيكون مصير الشعوب، خصوصا الضعيفة. لنأخذ مثالا امرأة ولدت في ألمانيا عام 1900 وعاشت مئة عام لتموت سنة 2000. هذه المرأة عاشت طفولتها في ظلال الرايخ الثاني والحكم الملكي حتى صار عمرها 18 عاما، عندها انبثقت الثورة الألمانية بسبب هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وهذه المرأة وجدت نفسها تعيش في ظلال جمهورية فايمار. وهكذا تغير العالم من حولها وأصبحت الحكاية المنتشرة للبلاد مختلفة عن سابقتها، والناس تصرفوا وفقا للعهد الألماني الجديد.

فجأة انفجرت الثورة النازية عام 1933، حكاية مختلفة تماما والناس تبدلوا من جديد وفقا لتبدل الحكاية الرسمية التي يسردها الحكم الجديد عن البلاد والعالم. حكاية القيم والتربية والسلوك كلها تغيرت بشكل جوهري في الـ12 عاما التي تلت. عاش الناس مؤمنين بالحكاية النازية وفجأة جاء عام 1945 مع هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية. اجتاح الروس البلاد لتأسيس نظام جديد في مدينة هذه السيدة الألمانية التي صار عمرها 45 عاما. عالم شيوعي جديد ينهض أمام عينيها، وللمرة الرابعة تجد نفسها في عالم وحكم جديدين بقيم وأسلوب وثقافة مختلفة.

الاقتصاد والمجتمع والسياسة تنقلب انقلابا كاملا في كل مرة. واستمر الحكم الشيوعي 40 سنة حتى صار عمر السيدة 89 عاما وسقط جدار برلين، وتم الإعلان عن العولمة، وصعود العالم الليبرالي الديمقراطي، وتوحدت ألمانيا، وللمرة الخامسة وجدت هذه السيدة نفسها في مجتمع جديد ومختلف عن كل ما عهدته سابقا، لتعيش أواخر حياتها كمواطنة في ألمانيا ليبرالية موحدة.

يتخذ علماء الأنثروبولوجيا هذه السيدة مثالا لكي نفهم قدرة الإنسان على التكيف والتبدل حسب الظروف، فلا توجد أيّ طفرات في الجينات الألمانية خلال مائة عام، ولكنها مجرد تبدّلات ثقافية، وهنا خطورة الثقافة. لأنها تغير الإنسان فهو يتأثر بالأساطير.

هناك نوعان من الأساطير؛ الأساطير الحديثة والأساطير الدينية وبينهما يعيش المجتمع في حالة من الخيال الواقعي. في الغرب مثلا يقولون لك إنه عالم المؤسسات فماذا يقصدون؟ الشركات متعددة الجنسيات، وهذه مجرد حكاية أسطورية في النهاية لا وجود حقيقي لها. العالم تغير منذ نشوء التعاونيات الحديثة. شركة بيجو مثلا الفرنسية للسيارات علامتها إنسان برأس أسد، وهي تشبه علامة التمثال الذي عثر عليه علماء الآثار وعمره 30 ألف سنة كدلالة على انبثاق الخيال الإنساني وظهور الأديان.

كانت الملكية مطلقة قبل ظهور الشركات الحديثة فأنت تملك تجارتك ملكية مطلقة، وإذا خسرت وصرت مدينا بالمال تتم مصادرة أملاكك وأرضك ومالك. وفي بعض الأحيان تتم مصادرة أطفالك وزوجتك لبيعهم كعبيد. فكما تملك شركتك ملكية مطلقة، فأنت تعتبر المالك لزوجتك وأطفالك وهذا ما لم نفهمه في الغرب. فالرجل الغربي اليوم لا يملك زوجته ولا أطفاله، يمكنهم طرده من البيت والدولة تساعدهم لأن قانون الملكية قد تغير وتبعه مباشرة قانون العائلة.

لم تعد هناك ملكية مطلقة، وهذا بدأ منذ الثورة الفرنسية نهاية القرن الثامن عشر حين تغير الحق من الملكية المدعومة بالكنيسة والحق الإلهي إلى سيادة الشعب والديمقراطية. وهذا طبعا يفرض الحرية الجنسية وحرية المرأة، بل يفرض ميلاد إنسان جديد هو الإنسان الغربي الحديث الذي أعلن نهاية الدين وموت الإيمان القديم.

> علينا كمسلمين أن نتعلم من دونالد ترامب أيضا. فهو يرغمك على محبته واحترامه حين يقول إنه سيصادر أموال المسؤولين العراقيين في أميركا، فليس من العدل أن يموت الجندي الأميركي ليأتي لصوص عراقيون يسرقون شعبهم بهذا الشكل

العدالة عمياء

المسيحية الحديثة في الغرب لا علاقة لها بالمسيحية القديمة. دين جديد مناسب للعالم المتبدل المعاصر.

في الماضي قد تذهب إلى السجن حتى تسديد ديونك. ومع تطور الاقتصاد الحديث تغير القانون، صارت الشركة لها ذات مالية مستقلة، فإذا خسرت وأصبحت الشركة مدينة لا يؤثر ذلك على حياة مالكها ومديرها. يمكن لشركتك أن تغلق بالشمع الأحمر وأنت المالك تعيش حياة الأثرياء، لأن الشركة هي المدينة وليس المالك. هنا صار الاقتصاد الغربي يتحرك بسرعة ويغامر لانعدام المسؤولية الذاتية، بينما الشرق بقي نائما في فقه المعاملات الإسلامي والمحاكم الشرعية والحلال والحرام ورفض الربا.

إن الإنسان قابل للتبدّل كما حدث للسيدة الألمانية، ويعرف بأن الشرق بلا مؤسسات، يعني أنه يحتاج ثقافة اقتصادية وقوانين جديدة وليس إلى أموال بيد مجتمعات راكدة. الإسلام كحكاية يمكن تعديلها حسب حاجة السوق، فليس المطلوب ثقافة علمانية فقط لأن الشيوعية والفاشية والنازية كانت علمانية. المطلوب ثقافة اقتصاد حديث واستثمارات حديثة بقيم ليبرالية، وهذا سر تقارب الإنسان السعودي مع الأميركي مثلا رغم أن السعودي يعتبر في عيون الجهلة "وهابيا". الحقيقة هي كما قال الأمير محمد بن سلمان أن المواطن السعودي قد تعلم الاستثمار والبورصة والاقتصاد الحديث، بينما العراقي مثلا لا يفهم شيئا عن هذا العالم الخطير. ما زال يعيش فلسفة قديمة.

من العار أن يقف المسلمون ضد تحرير المرأة بينما السيدات الأميركيات أقوى المدافعين عنهم في العالم. نانسي بلوسي ممثلة الديمقراطيين في الكونغرس تقول إن البابا يقول من العار طرد اللاجئين، ومطارنة الولايات المتحدة قالوا ليس من المسيحية طرد اللاجئين. إن الإنجيل يقول لا يجب طرد الغرباء، وإن تمثال الحرية دموعه تنهمر بسبب قرارات الرئيس ترامب بشأن اللاجئين وشعلته تنطفئ، وحتى تمثال الرئيس لنكولن عيناه غارقتان بالدموع لأجل الضعفاء وتقول نانسي إن لنكولن قال "الناس هم مصدر الحقيقة".

وزيرة الخارجية الأميركية السابقة مادلين أولبرايت تقول "نحن فخورون بتقاليدنا الأميركية التي تأوي الذين يهربون من العنف والظلم، وكنا دائما قادة العالم في إعادة توطين اللاجئين. كلاجئة هربت من تشيكوسلوفاكيا بعد استيلاء الشيوعيين عليها، انتفعت من كرم هذا البلد وتقاليد الانفتاح فيها.

قرارات ترامب قد تنهي هذه التقاليد، وتمارس العنصرية على هؤلاء الذين يهربون من الحرب الأهلية الدموية في سوريا. اللاجئون السوريون يتعلمون الإنكليزية، ويجدون أعمالا جيدة، يشترون البيوت، ويفتحون محلات جديدة. ويقومون بكل ما قامت به أجيال اللاجئين الأخرى بمن فيهم أنا شخصيا".

وزيرة العدل المؤقتة في البيت الأبيض سالي ييتس فقدت عملها لرفضها الدفاع عن قرار الرئيس ترامب بشأن اللاجئين وقالت في جلسة استجواب إنها لا تعتقد أن الدفاع عن الأمر سيكون "منسجما مع التزام هذه المؤسسة الراسخ بالسعي دوما من أجل العدالة والدفاع عن الصواب" وأن من مسؤوليتها التأكد على أن القانون ينسجم مع الدستور، ومن واجبها تقديم النصح للرئيس الأميركي بالتراجع.

وكذلك لا ننسى كبيرة المتحدثين باسم رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو التي طالبت قناة فوكس نيوز في الولايات المتحدة بسحب أو تحديث تغريدة على تويتر ذكرت أن المسلح الذي قتل ستة أشخاص في مسجد في كيبيك من أصل مغربي، لأن المشتبه به في الواقع فرنسي كندي أبيض.

ومَنْ من المهاجرين لم تدمع عيناه حين سمع خطاب الناشطة النسوية والفنانة المبدعة آشلي جيد وهي تدافع عن المرأة والفقراء والمهاجرين ضد رئيس بلادها فتقول إنها امرأة "وقحة" ومتمردة وترى أن الجنوب لم يسقط ومازالت قيم العبودية تطاردنا، بل تقول إنها ترى عودة للنازية وهتلر. طبعا هذه مبالغة، ولكنها نتيجة حرية المرأة، سيدات أميركيات جميلات يدافعن عن مسلمين يرفضون حرية المرأة.

يقول فيلسوف إسرائيلي إن أعظم اكتشاف حدث في بداية التنوير الأوروبي قبل خمسة قرون هو "اكتشاف الجهل" حين اكتشف الإنسان أنه "جاهل" بحقيقته وحقيقة العالم وأن الدين لا يمثل إجابة نهائية للفكر الإنساني. عند هذا الاكتشاف العظيم تحقق حلم الإنسان بامتلاك حريته وبناء حضارته المعاصرة، هي نفسها هذه الحضارة التي يهددها الجهل والتطرف الديني الإسلامي.

علينا كمسلمين أن نجلس كتلاميذ متواضعين في حضرة سيدة مثل نانسي بلوسي زعيمة الحزب الديمقراطي في الكونغرس وهي تجيب شابا أميركيا يسألها عن اليسار. تقول إن أميركا رأسمالية في النهاية وأن الخير يتحرك ليس بإرادة الدولة ولكنه بـ"اليد الخفية" للنظام الرأسمالي. وقد استعارت المصطلح من آدم سميث في كتابه "ثروة الأمم" حيث يقول "كل فرد يعمل بالضرورة ليساهم في إنتاج الريع السنوي للمجتمع بأقصى ما يستطيع من طاقة. هو لم يقصد أن يكون عمله منتجا لأهداف الشعب، وكذلك لا يعلم إلى أيّ مدى هو ينتج ذلك الهدف. هو مهتم فقط بمصلحته الخاصة، وفي هذا العمل الأناني كما في معظم الحالات يكون منقادا بـ'يد خفية' تحفزه".

ومع كل ما تقدم، علينا كمسلمين أن نتعلم من دونالد ترامب أيضا. فهو يرغمك على محبته واحترامه حين يقول إنه سيصادر أموال المسؤولين العراقيين في أميركا، فليس من العدل أن يموت الجندي الأميركي ليأتي لصوص عراقيون يسرقون شعبهم بهذا الشكل. وحين يسأله بل أو رايلي عن سبب التعاون مع فلاديمير بوتين وهو قاتل؟ يقول له هناك الكثير من القتلة، هل تظن بأن أميركا بريئة؟ ترامب يهاجم بعنف حتى سياسة بلاده الخارجية. إيران الفاشية بحاجة إلى شدة دونالد ترامب لتتأدب، وكذلك جميع الإسلاميين المتشددين بحاجة إلى صعقة ترامب لإعادة النظر في قيمهم وأوهامهم.

الموت لأميركا، قادمون يا ترامب

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ وأخيرا ظهر الرد (العظيم) الذي هدد به الولي الفقيه دونالد ترامب على عنصريته وعداوته مع الإسلام والمسلمين. فقد غصت شوارع العاصمة والمدن الإيرانية، كافة، بمسيرات الـ"جماهير الثورية الإيرانية العريضة"، حاملة شعارات كتب عليها "الموت لترامب"،"الموت لأميركا".

والحقيقة أن من حق المرشد الأعلى علي خامنئي، ومعه جماهيره الإيرانية العريضة، أن يغضب على ترامب حين يراه منهمكا بتسخين حرارة الحديدة الأميركية على إيران، بعد رحيل الرئيس الذي جعلها بردا وسلاما عليها وعليه.

ولكن من غير المفهوم ومن المستغرب أن تلذع حرارة الحديدة الأميركية قفا أحد من قادة الحشد الشعبي العراقي الذي صار، شرعا و قانونا، جزءا من حكومة عراقية حليفة لأميركا، لا يكف رئيسُها عن تأكيد اعتزازه بالتفاهم والتعاون مع الرئيس الجديد. فقد هدد أحد قادة الحشد (المجاهدين)، الأمين العام لقوات أبوالفضل العباس، أوس الخفاجي، بضرب بوارج الولايات المتحدة الأميركية قبالة سواحل اليمن، وراح يصرخ من على شاشة قناة "المسيرة" التابعة للحوثيين، ردا على قرار ترامب القاضي بمنع دخول الإيرانيين ومواطني ست دول إسلامية أخرى من السفر إلى أميركا، "قادمون يا ترامب"، إن "انتصاراتنا في حلب قادمة، وهي علامة على نصر الأمة العربية والإسلامية، إن بوارجكم في سواحل اليمن مهددة أيضا فامنعوا ما شئتم".

الظاهر أن الجماهير العريضة في بلادنا العربية والإسلامية ذات الرمال الحارقة تكاد تكون هي الأبرع من غيرها من شعوب العالم كله في جهاد الهتافات والشعارات وأناشيد المقاومة والصمود. لا يُشبهنا فيه أحد. نتظاهر بالخناجر والسيوف، ونزحف وننتقم، ونهدم بيوت أعدائنا على رؤوسهم، ولكن بصواريخ الكلام الفاضي، وثم، حين يجدّ الجدّ، وتقع القارعة نبلع أصواتنا، ونتخفى بثياب النساء.

في اليابان، مثلا، لا يسير المتظاهرون الغاضبون على حكومتهم إلا بعد أوقات الدوام الرسمي، فيملأون الشوارع صامتين، في صفوف منتظمة هادئة، مكتفين بشعارات قليلة مخطوطة بأناقة تترجم همومهم ومطالبهم، دون كلام. وفي اليونان يسيرون في تظاهراتهم وفي أيديهم أقداح الأوزو، راقصين على موسيقى زوربا، وهم غاضبون. أما في دول أوروبا "الباردة" فقليلا ما تخرج تظاهرات. وإذا ما خرجت فلا ترفع سوى لافتات بيضاء مكتوبة بحبر الورد، وقليلا ما تسير فيها جماهير عريضة تشبه جماهيرنا العريضة في علوّ الصوت، وبذاءة الكلام، ومنع المرور، وتعطيل حياة العباد.

والظاهر أن الله غضب علينا، نحن العرب والمسلمون فقط، فعلّمنا الحب الأعمى، والكره الأعمى، ولا شيء بينهما. فحين نغضب نعمى ونطرش، ولا نرى غير أنفسنا، ولا نسمع غير أصواتنا، ولا نتخيل أيّ فضيلة فيمن نكره، وأيّ منقصة فيمن نحب.

لا نعرف الوسطية ولا نحترمها ولا نقدر عليها. فمنذ انتهاء عهد الخلفاء الراشدين وإلى اليوم ونحن لا نتقن غير الصراخ، (يعيش يعيش)، ولا يعيش من ندعو له بالحياة، و(يسقط يسقط)، ولا يسقط من ندعو عليه بالسقوط. يجيء حاكم ويرحل حاكم، ولكن لا يبقيه أهلُه في حكم، ولا يسقطه أهلُه من سلطة، والفضل كله للأميركان والفرنسيين والإنكليز وللطليان.

ما أبأس هذا الزمن، وما أضل جماهيره العريضة التي لا تجيد غير اللطم وغير الصراخ والعويل!

فمن أيام الخميني وقادة الحرس الثوري، ووكلاؤه العراقيون واللبنانيون والسوريون واليمنيون، من عام 1979 وإلى اليوم وهم يصرخون "الموت لأميركا" "الموت لإسرائيل" وما زلنا ننتظر.

مثل كثيرين من حكام العالم الثالث الذين وعدوا جماهيرهم "العريضة" بأن يهزموا لها أميركا، بدءا بغيفارا وكاسترو وماوتسي تونغ وهوشي منه، وستالين وخروتشوف وكيم إيل سونغ وولده كيم جونغ إل وحفيده كيم جونغ إون، ووصولا إلى بن لادن والظواهري وشافيز وخالد مشعل وحسن نصرالله وصدام حسين، وأخيرا قاسم سليماني.

وقد أرانا التاريخ، بعيدُه وقريبُه، حكاما كثيرين أصابهم غرور القوة القاتل، فعميت أبصارهم وبصائرهم، ثم ناطحوا صخورا لا قِبَل لهم بمناطحتها، ولا قدرة لشعوبهم المستضعفة على تحمل أثمان حماقاتهم ونتائجها الماحقة. ثم ذهبوا، جميعُهم، كلٌ في طريق، وبسرعة. والمحظوظ منهم صار سجينا. وغير المحظوظين سقطوا بسهولة ثم راحت الجماهير العريضة نفسُها التي كانت تتغنى بأمجادهم، تضرب تماثيلهم بالأحذية، والعياذ بالله.

> لا نعرف الوسطية ولا نحترمها ولا نقدر عليها. فمنذ انتهاء عهد الخلفاء الراشدين وإلى اليوم ونحن لا نتقن غير الصراخ، (يعيش يعيش)، ولا يعيش من ندعو له بالحياة، و(يسقط يسقط)، ولا يسقط من ندعو عليه بالسقوط

وبدل أن يطلب الوليّ الفقيه من جماهيره العريضة، ومن جيوش وكلائه العراقيين واللبنانيين واليمنيين أن تهتف "قادمون يا ترامب" كان ينبغي أن يدعوها إلى التواضع، وينصحها بأن يمد كل قائد رجليه على قدر لحافه، وأن يأمرها بتأمين سلامة مؤخرات جيوشها وميليشياتها من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله وشعبَه والعالم بقلب سليم وبعقلٍ غير مسكون بالعفاريت.

قائد عملية «الرمح الذهبي» بعد عقدين من الغياب

هيثم قاسم طاهر

أول وزير للدفاع بعد الوحدة اليمنية يدخل المعركة بصمت

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – كان كل شيء يبدو مثاليا على وقع الفرحة التي عمت أرجاء اليمن صبيحة الثاني والعشرين من مايو 1990، أصبح اليمن واحدا بمساحة شاسعة تفوق النصف مليون كيلومتر مربع، وبجيش كبير تكوّن قوامه من دمج جيشين على رأسهما وزير دفاع مثير للإعجاب والحماسة بطلته المهيبة وهيئته العسكرية الحاسمة.

لم يخف اليمنيون إعجابهم بالعميد هيثم قاسم طاهر أول وزير دفاع في اليمن الموحد والعسكري المخضرم الذي يسبقه تاريخه حيثما ذهب كقائد استثنائي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، استطاع أن يحسم الحرب عام 1986 لصالح فصيل ضد آخر بقوات المدرعات التي كان يقودها آنذاك.

ينحدر طاهر من مديرية ردفان بمحافظة لحج (شمال عدن) والتي اندلعت منها شرارة الثورة ضد الاستعمار البريطاني في العام 1963. وتشتهر المنطقة التي ينتمي إليها بكونها مركز ثقل سياسي وعسكري مهمّ في جنوب اليمن نظرا لكثرة القادة العسكريين الذين ينتمون إليها.

ولد في أجواء اجتماعية تحفّز على الالتحاق بقطاع الجيش. وتمكن من شق طريقه في هذا المجال والحصول على التأهيل الذي أوصله لتبوّؤ منصب عسكري كقائد لسلاح الدبابات وآخر حزبي، توجّب انضمامه لعضوية اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني في انتخابات المؤتمر العام الثالث في أكتوبر1985.

تدخل حاسم

كانت حمّى التنافس على السلطة قد أخذت بعدا جهويا ومناطقيا في جنوب اليمن بين فصيلين سياسيين أحدهما يقوده الرئيس علي ناصر محمد والآخر يتزعمه وزير الدفاع علي أحمد ناصر عنتر وبلغ الصراع ذروته مطلع العام 1986، الأمر الذي استدعى تدخل وسطاء يساريين عرب من بينهم جورج حاوي الأمين العام السابق للحزب الشيوعي اللبناني الذي زار عدن للوساطة قبيل أيام من اندلاع الحرب.

ذكر حاوي في شهادة لاحقة له أن علي عنتر قال له في اللقاء الأخير بينهما "عقدنا اجتماعاً للمكتب السياسي للحزب في 9 يناير واعترض علي ناصر محمد على كل المشاريع التي قدمناها فلم نتوصل إلى نتيجة. واليوم سنعقد اجتماعاً آخر فإذا ما رفض علي ناصر المشاريع المقدمة، فإنني سأقتله شخصياً بمسدّسي"، وهو ما يعتقد أن حاوي نقله حرفيا لصديقه علي ناصر وكان أحد أسباب تفجر الحرب.

صباح الثالث عشر من يناير 1986 انفجرت المواجهات العسكرية في عدن إثر إقدام الرئيس على تصفيه معارضيه في اجتماع للمكتب السياسي للحزب الاشتراكي، نتج عن ذلك مقتل وزير الدفاع علي عنتر وعدد من أبرز المتحدّرين من محافظة الضالع التي كانت "ردفان" تتبع لها إداريا وجيوسياسيا.

انقسم المشهد الجنوبي إلى قسمين وكانت الكفة في بداية الأمر تميل لصالح الرئيس علي ناصر الذي تخلص من أبرز خصومه، غير أن قائد إحدى أهم الوحدات العسكرية تسبب في تغيير النتيجة لصالح الطرف الآخر خلال فترة قياسية، حيث اصطف العقيد هيثم قاسم طاهر قائد سلاح الدبابات في الجيش مع فريق علي سالم البيض، وتمكن من حسم المعركة خلال أيام قليلة، وغادر الرئيس علي ناصر وضباطه إلى شمال اليمن، وذاع صيت العقيد طاهر الذي كان بطل الحرب، واحتفى به الطرف المنتصر وتم تعيينه رئيسا لأركان الجيش في جنوب اليمن.

عواصف الوحدة وعواطفها

إلى جانب مهامه العسكرية كرئيس لأركان الجيش تم انتخاب طاهر عضوا في اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني أرفع سلطة في البلاد في ذلك الحين. فشارك في جولات الحوار السياسي بين شمال اليمن وجنوبه من أجل تحقيق الوحدة بين الشطرين.

حضر ما سمّي حينها بلقاء قمة تعز الذي عقد في أبريل 1988 بين العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية العربية اليمنية القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام، وعلي سالم البيض أمين عام اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني، وهو اللقاء الحاسم الذي سبق توقيع اتفاقية الوحدة بفترة وجيزة.

نجحت الحوارات التي غلبت عليها عواطف الجنوبيين وطموحات الرئيس صالح فأعلن عن قيام الوحدة بين شمال اليمن وجنوبه في 22 مايو 1990 وشكّلت أول حكومة في عهد الوحدة برئاسة المهندس حيدر أبوبكر العطاس وعيّن العميد هيثم قاسم طاهر وزيرا للدفاع، وخلال الفترة التي تلت الوحدة كان قاسم الشخصية الأكثر حضورا على المستوى الشعبي، وبدا أن الرجل مهيأ على كل المستويات للعب دور أكبر في المرحلة القادمة، غير أن تداعيات الصراع السياسي بين شركاء الوحدة لم تمهله للعب الدور الذي يتناسب مع مكانته الرفيعة في المخيّلة الشعبية.

وبدلا من أن يمارس مهامه كوزير لدفاع الوحدة سرعان ما تحول طاهر إلى رجل لإطفاء حرائق الاحتكاكات العسكرية التي نشبت بين وحدات عسكرية شمالية وأخرى جنوبية في مختلف مناطق اليمن. وعلى الرغم من قربه سياسيا من الطرف الذي يمثله نائب الرئيس علي سالم البيض إلا أنه قام في تلك الفترة بما يمكن وصفه بالدور الأكثر إيجابية محاولا وقف التدهور السياسي والعسكري بين صالح والبيض.

في نوفمبر 1993 توجه وزير الدفاع هيثم قاسم طاهر إلى المنطقة الحدودية السابقة بين شمال اليمن وجنوبه وتمكن من تهدئة الأوضاع المتوترة التي أعقبت تحرك وحدات عسكرية من الجنوب نحو الشمال قادمة من معسكر صلاح الدين وقاعدة العند الجوية لتعزيز الوحدات الجنوبية على الحدود الشطرية السابقة.

وقد تكرر هذا النموذج في الكثير من المواقع مع تصاعد المواجهات العسكرية بين معسكرات الجيش، كما شكل العديد من اللجان العسكرية لوقف الانهيار المتعاظم على الأرض، غير أن اتساع رقعة الصراع السياسي وتفشي حمّى الاغتيالات التي طالت العشرات من كوادر الحزب الاشتراكي اليمني في العاصمة صنعاء ومن بينهم ماجد مرشد مستشار وزير الدفاع نفسه فاقما من حدة التوتر بين الوحدات العسكرية الجنوبية والشمالية، ولم تتمكن حكومة الوحدة في تلك الأجواء من إعادة نشر الوحدات والألوية العسكرية، بالرغم من سعي بعض أعضاء الحكومة لعقد اجتماع لاتخاذ قرار لوقف النزيف العسكري غير أن الاجتماع عقد في الوقت الضائع وقاطعه معظم الوزراء الجنوبيين الذين غادروا إلى عدن ومن بينهم هيثم قاسم طاهر الذي وصل إلى مرحلة مل فيها من لعب دور الإطفائي وكان لزاما عليه أن يصطف مع حزبه لخوض مواجهة وشيكة.

في مايو 1994 اكتملت دائرة الاصطفافات وانفجرت الحرب بشكل رسمي بين القوات الجنوبية التابعة للحزب الاشتراكي اليمني بقيادة نائب الرئيس علي سالم البيض الذي انتقل هو وجميع طاقمه إلى عدن والقوات الشمالية التي يقودها الرئيس علي عبدالله صالح، وأخذت الحرب منحى آخر بعد إعلان البيض في مساء 20 مايو 1994 فك الارتباط مع شمال اليمن واستعادة دولة الجنوب وأعقب ذلك في 2 يونيو 1994 بتشكيل أول حكومة في "جمهورية اليمن الديمقراطية" التي أعلن عنها، وشغل فيها هيثم قاسم طاهر مجددا منصب وزير الدفاع.

كان وزير الدفاع طاهر الذي أقاله صالح من منصبه وعيّن عبدربه منصور هادي بدلا عنه يكافح في سبيل إيقاف زحف القوات الشمالية نحو عدن، غير أنه أدرك متأخرا أن الفترة التي قضاها في محاولة إيقاف التدهور انطلاقا من مسؤولياته كوزير دفاع، كان الطرف الآخر يعمل فيها على تعزيز قواته.

> هيثم قاسم طاهر، وبدلا من أن يمارس مهامه كوزير لدفاع الوحدة، سرعان ما تحول إلى رجل لإطفاء حرائق الاحتكاكات العسكرية التي نشبت بين وحدات عسكرية شمالية وأخرى جنوبية في مختلف مناطق اليمن

وقال في مقابلة صحافية أجريت معه بصفته وزير دفاع اليمن الجنوبي في يونيو 1994 وقد غلب على حديثه اليأس والشعور بمرارة الغدر في الوقت الذي كانت وسائل إعلام الطرف الآخر تتحدث عن مقتله "لقد اتضح جلياً لنا أن الرئيس الشمالي يريد التصفية الجسدية ليس فقط لمعارضيه السياسيين بل لكل ضابط وجندي من أبناء المحافظات الجنوبية، وهو ما تأكد عملياً من خلال الحرب الشاملة التي شنها من مختلف الجهات وجعل من القرى والمدن والمنشآت المدنية أهدافاً للقصف المدفعي والصاروخي والجوي الهمجي والعشوائي".

وعندما سئل عن سبب اقتصار دور قواته على الدفاع كون المعارك تدور في جنوب اليمن، أجاب ومرارة الخديعة تملأ فمه "من الطبيعي جداً أن تدور المعارك في الأراضي الجنوبية على حدّ وصفكم، ذلك أن قوات الرئيس علي عبدالله صالح التي استعدت منذ وقت بعيد لهذه الحرب الشاملة ضد أبناء المحافظات الجنوبية حشدت لها وسخّرت كل القوى والوسائل، في الوقت الذي تعاملنا فيه نحن مع الوحدة بروح عاطفية بريئة وكأنها مسألة لا رجعة فيها، لذلك كانت أعمالنا القتالية دفاعية".

كما تحدث عن الاختراقات التي حدثت في الوحدات التابعة له قائلا "من الطبيعي تماماً أن يجد علي عبدالله صالح أنصاراً له في صفوف وحداتنا، لأننا كنا نعتبر أنفسنا دولة واحدة وجيشاً واحداً، لكن الرئيس الشمالي وأنصاره كانوا يتصرفون بأسلوب تآمري انتهازي".

في تلك اللحظات كان طاهر يؤمن بشدة في أعماقه بأن الحرب انتهت، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك بشهر تقريبا حيث اجتاحت قوات صالح عدن في 7 يوليو 1994.

تداعيات الهزيمة

غادرت قيادات الحزب الاشتراكي البارزة إلى سلطنة عمان وجيبوتي وتفرّقت بعد ذلك في أصقاع الأرض. وكان من بين من غادر وانقطعت أخباره بشكل تام العميد هيثم قاسم طاهر الذي آثر الصمت لفترة طويلة جدا تتناسب مع طبيعته التي لا تحبّ الأضواء.

في مارس1998 أصدرت المحكمة الابتدائية بصنعاء حكماً غيابياً بحق ما عرف بقائمة 16 1– التي تضم قادة الحزب الاشتراكي اليمني الذين أدانتهم المحكمة بتهمة الخيانة العظمى ومحاولة تنفيذ مؤامرة الانفصال وإشعال الحرب صيف العام 1994.

وقد قضت المحكمة بإعدام خمسة من بينهم أول وزير دفاع في دولة الوحدة وجاء في حيثيات الحكم أن المتهمين الخمسة ومن بينهم العميد طاهر وردت أسماؤهم في محضر اجتماع المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني في 16 فبراير 1994 و"أصدروا قرارات بفصل ميزانية المحافظات الجنوبية والشرقية والقوات المسلحة والأمن فيها، وتعيين وكيل لوزارة المال في عدن. وثبوت إصدارهم التوجيهات والأوامر وإعدادهم الخطط وجرد الأسلحة والذخائر وتكديسها وتوزيعها لفروع منظمات الحزب ولبعض الشخصيات بكميّات كبيرة وإثارة الشغب والتحريض على التخريب وإقلاق الأمن والتلغيم والقتل وتدبير الاغتيالات وجلب أسلحة وذخائر متنوعة وأجهزة اتصالات واستجداء الدعم الخارجي وحصولهم على أموال نقدية بلغت مئات الملايين من الدولارات وتسخيرها لتنفيذ المخطط الانفصالي، وإن ما ورد في الأدلة يفضح جملة وتفصيلاً أن الجريمة هي خيانة الوطن والمساس باستقلال الجمهورية اليمنية ووحدة وسلامة أراضيها وإشعال الحرب".

غير أن الرئيس صالح أصدر قراراً بالعفو عن المتهمين في 21 مايو 2003 في ذكرى الاحتفال بأحد أعياد الوحدة.

الرمح الذهبي

استقر المطاف بطاهر ضيفا على دولة الإمارات العربية المتحدة. وقد فضّل في تلك المرحلة الابتعاد عن الأضواء والعيش بسلام بعيدا عن تداعيات الحرب والانفصال. وحتى ما تلا ذلك من حراك جنوبي اجتذب الكثير من زملائه في قيادة الحزب الاشتراكي، ولم يتناول خلاله طاهر في تلك الفترة إلا من خلال بعض الإشاعات عن انضمامه لجماعة التبليغ الإسلامية.

غير أن ارتفاع حدة الصراع بين الرئيس صالح والحوثيين من جهة والرئيس عبدربه منصور هادي الذي عيّنه صالح في 1994 وزيرا للدفاع بدلا عنه أعادت طاهر للواجهة الإعلامية مجددا عامي 2014 و2015 وقيل حينها إن الرئيس هادي دعاه مرارا للعودة للعب دور سياسي وعسكري. غير أن كل محاولات إعادته للمشهد الذي كان يشبه مشهد 1994 باءت بالفشل، وقد ظهر لأول مرة في تلك الفترة من خلال صور وهو برفقة علي سالم البيض الذي أراد استقطابه لحراكه الانفصالي، وأيضا من خلال صور أخرى وهو برفقة نائب الرئيس ورئيس الوزراء السابق خالد بحاح.

بعد فترة غياب طويلة ظهر طاهر لأول مرة في مدينة المكلا في أعقاب تحريرها من قبضة تنظيم القاعدة في عملية خاطفة للتحالف العربي، ودار حديث عن قيامه بدور استشاري لصالح التحالف العربي. كما أشرف على عمليات تجنيد واسعة في قاعدة العند الجوية التي يعرفها جيدا، واستمر ظهوره الإعلامي في تلك الفترة من خلال صور غير رسمية في ظل احتفاظه بطبيعته القديمة في الابتعاد عن الأضواء والعمل بصمت.

ثم ظهر في أحدث صور له وهو يلوّح لكاميرا إحدى القنوات العربية بعدم التصوير بينما كان يرتدي الزيّ العسكري كقائد لعمليات "الرمح الذهبي" التي أطلقها التحالف العربي لتحرير السواحل الغربية لليمن من أيدي ميليشيا الحوثي وقوات صالح.

● غياب طويل يسبق ظهور طاهر لأول مرة في مدينة المكلا في أعقاب تحريرها من قبضة تنظيم القاعدة في عملية خاطفة للتحالف العربي، حيث دار حديث عن قيامه بدور استشاري لصالح التحالف العربي. كما أشرف على عمليات تجنيد واسعة في قاعدة العند الجوية التي يعرفها جيدا، قبل أن يقود عملية "الرمح الذهبي" في السواحل الغربية. (في الصور مع خالد بحاح وعلي سالم البيض وفي الميدان).

صحافي يستمتع بالتنزه وسط المعارك، ويحيك المشاكل اللذيذة

«مولانا» إبراهيم عيسى
مجدد يطلق النار عليك وتقول هل من مزيد

أحمد أبودوح

❑ **لندن** – يجلس بجسمه الممتلئ أمام الشاشة مرتديا قميصا من دون جاكيت، يظهر حمالتين تضيفان إلى كاريزمته المتقدة. وبحركاته التي تنم عن تعقل لا يظهر دائما في لهجة كلامه، يقفز إبراهيم عيسى يمينا ويسارا بارتجال بين أكثر القضايا سخونة في مصر: السياسة، الاقتصاد، المجتمع، والخطاب الديني.

ويختبر إبراهيم عيسى تضاريس الواقع السياسي المصري عبر نقل الخط الأحمر الذي يتعين على كل صحافي في مصر اليوم أن يضعه أمام عينيه، بصبر وببطء حذرين خطوة خطوة إلى الأمام بيديه اللتين لا تتحرك واحدة منهما من دون الأخرى، كاشفتين عن أصابع صغيرة يحتلها خاتم زواج عتيق.

> إبراهيم عيسى رأس الحربة في مواجهة الإخوان إلا أن النظام المصري، الذي أيده عيسى في الإطاحة بالرئيس الإخواني محمد مرسي عام 2013، لا يأمن جانبه. والسبب هو أن إبراهيم عيسى يقول ما يعتقد أنه صواب، ويحظى بشعبية واسعة

وأول ما تدور الكاميرا في برنامجه الذي كان يبث على الهواء مباشرة على قناة "القاهرة والناس" الفضائية الخاصة، كان الإسلاميون ومسؤولون كثر في مصر يضعون أيديهم على قلوبهم خشية ممّا قد ينزلق من فم إبراهيم عيسى، ولا يحسب عقباه.

ورغم أنه كان رأس الحربة في الإعلام المصري ضد الإخوان المسلمين، ما زال النظام المصري، الذي أيده إبراهيم عيسى في الإطاحة بالرئيس الإخواني محمد مرسي عام 2013، لا يأمن جانبه. والسبب هو أن إبراهيم عيسى يقول ما يعتقد أنه صواب، ويحظى بشعبية واسعة، ويستطيع إقناعك بالشيء وعكسه في نفس الوقت إن أراد.

لكنه اختار فوق هذا كله أن يعيش لأجل قضيتين كما يقول: الديمقراطية وتنقيح خطاب ديني أنتج ما بات عقدة العالم العربي لاحقا "أسلمة السياسة وتسييس الدين".

ويقول إبراهيم عيسى إن التاريخ الإسلامي "مزوّر"، إذ يكافح الإسلاميون لتقديس الصحابة والإصرار على تحويل كل عصور الحكم الإسلامي إلى "يوتوبيا" جاؤوا هم لاستعادتها.

وترجم إبراهيم عيسى عصارة أفكاره في رواية "رحلة الدم"، التي صدرت العام الماضي، وأنزل بين صفحاتها الـ700 كثيرا من "القديسين" في التاريخ الإسلامي على الأرض مرة أخرى، إذ يكتشف القارئ، بعد تدقيق وتمحيص في ملامح وجوههم، أنهم بشر مثله تماما.

ولم يستأذن ويتنحنح ويتلعثم إبراهيم عيسى قبل أن يدخل على صحابة مقربين من النبي محمد في محرابهم المقدس الذي رسمه الإسلاميون لأجيال جديدة أشقّ عقوبة لها هي القراءة. وحوّل الرواية، التي تسمعك صهيل الخيول وصليل السيوف واصطكاك أسنان أسرى الحروب من شدة الخوف بمجرد النظر إلى غلافها الخارجي، إلى آلة زمن تدور بالقارئ بين البيوت والمساجد والوغى ومجالس الخمر والسمر.

ويقول المفكر والباحث الاجتماعي سعدالدين إبراهيم إن "ما قصده إبراهيم عيسى في 'رحلة الدم' هو أن تاريخ المسلمين الأوائل كما تعلّمناه كان تاريخاً مُعقماً لا شوائب فيه، وهذا التاريخ المُعقم تقدمه الحركات الإسلامية المُعاصرة، وفي مُقدمتها جماعة الإخوان المسلمين، كما لو كان فردوسًا فقدناه، وهم الآن يبغون استعادته، وأن كلمتي السرّ في هذه الاستعادة للفردوس المفقود، هما الشريعة والخلافة، وبالتالي فإبراهيم عيسى بدد أسطورة الفردوس المفقود".

وقصمت تصورات إبراهيم عيسى الدينية ظهر كل ما آمن به المصريون الذين انتخبوا مرسي، في الانتخابات الرئاسية التي أجريت العام 2012 ضد الفريق أحمد شفيق، آخر رئيس وزراء في عهد مبارك، وقاطعها هو.

ومنذ ذلك الحين دخل في مواجهات فكرية مع نظام الإخوان، ثم مع أكبر المؤسسات الدينية الرسمية، ثم مع نظام الرئيس عبدالفتاح السيسي.

وخلال خوض معاركه، تمكن إبراهيم عيسى من جذب التسلل إلى وجدان قطاع واسع من المصريين الذين كان يعبّر عنهم وسط ساحة إعلامية ضربها التصحر. لكن لم يتمكن عيسى من الولوج إلى الجانب القلق من نفوس مصريين آخرين، تربّوا في أوج هيمنة فكر قومي بال، تصارعه أفكار سلفية متشددة وغريبة عن المجتمع المصري.

لكن السخرية ظلت أقوى سلاح كان إبراهيم عيسى يشهره أمام دفاعات خصومه، إذ يملك موهبة السخرية من الإسلاميين والحكم والمجتمع والحكومة، وحتى من نفسه.

«إراقة دم أفكاري»

في نظر السلطة، إبراهيم عيسى منبع الصخب ومصدر الصداع الأساسي في الإعلام المصري، إذ لم تخرج علاقته برجال الأمن المسؤولين عن الإعلام عن حيز الخصومة في أيّ مرحلة من حياته العملية الطويلة.

وفي هرولته اليومية يمينا ويسارا في عقل مشاهديه، أزعج إبراهيم عيسى دولا عربية محورية، وهشم صورة "المقاوم" التي كانت تسبق طلة الرئيس السوري بشار الأسد في الإعلام، وحنا كثيرا على الشيعة، وتردد في مهاجمة إيران. وكان هذا طعما التقطه السلفيون والمتشددون مكّنهم من أن يلقوا عليه برداء "قائد النفوذ الشيعي في الإعلام المصري".

وولعه بموالد السيدة زينب والحسين في وسط القاهرة، وطربه بأناشيد ياسين التهامي وأمين الدشناوي، رسما في شخصيته مسحة صوفية معادية للتزمّت، تحولت فيما بعد إلى هدف يتدرب عليه السلفيون كل يوم لتصويب الاتهامات بـ"شيعية" إبراهيم عيسى.

وتحول معظم هؤلاء السلفيين إلى حلفاء للأمن بعد الإطاحة بالإخوان المسلمين. وليس أسهل من المزايدة على الأمن بأنه "يحارب الإسلام" كي يسرع إلى استخدام "حق اللجوء" سريعا إلى السلفيين، ومراياهم العاكسة داخل مؤسسة الأزهر العريقة.

ورغم تأسيس شرعية النظام على محاربة الإسلاميين وإطلاق "ثورة دينية" في المفاهيم التقليدية، لم ينتبه النظام إلى أن كل ما فعله هو قلب العملة على وجهها السلفي فقط. وضرب إبراهيم عيسى على هذا الوتر بحنكة، وهو ما استنفر رصيده عند أجهزة الدولة بسرعة لم تكن متوقعة.

وقال إبراهيم عيسى في حوار مع جريدة "المصري اليوم" المحلية إن "أعلى مواقع مسؤولية في مصر كلموني لتوضيح الصورة والأسباب، وكانت هناك حوارات وعشاءات (لقاءات عشاء) عن وضع البلد، ومبررات وتفسيرات عما أطرحه من أفكار معارضة". وأضاف أنه رغم كل ذلك "جهات أمنية وأطراف كثيرة تطلب دم أفكاري".

وأجري هذا الحوار بعد أسابيع من إغلاق برنامج إبراهيم عيسى الذي كان يشبه مسلسل السهرة عند كثير من محبيه. وكان هذا المسلسل، على تشويقه، يستهوي أيضا خصومه الذين اختطفوا كاريزما إبراهيم عيسى التي قلّ وجودها اليوم في مصر، لاتهامه بـ"الأداء المسرحي".

التجديد في الدين والصحافة

منذ مولده في مركز قويسنا محافظة المنوفية (شمال مصر) في نوفمبر العام 1965 كانت الكاريزما محور تحلق الطلاب حول الطالب خفيف الظل، الذي سيصبح لاحقا الأول على محافظته بالقسم الأدبي في الثانوية العامة.

منذ أن كان صبيا يصطحبه والده الحاج سيد إلى المسجد الذي يقع آخر الشارع الذي يسكن فيه، تشكلت علاقة إبراهيم عيسى بالعمامة والجبة والقفطان الأزهري الذي كان معلقا طوال الوقت أمام عينيه في غرفة والده، الذي كان أحد رجال الأزهر المعتبرين في محافظته.

ويقول إبراهيم عيسى عن والده، الذي توفّي في يونيو من العام الماضي، في كتابه "على مشارف الخمسين"، "لم يضربني أبي أبدا.. مازلت مندهشا وأنا على مشارف الخمسين، كيف لم يؤدبني والدي في طفولتي ومراهقتي ولو بصفعة خفيفة على وجهي، بل ولا بضربة سريعة على كتفي؟ لم أكن طفلا استثنائيا".

ولم تفارق ذهن إبراهيم عيسى صورة خاله وهو راجع إلى البيت، الذي كان يقع على مقربة من بيت العائلة، من المعهد الأزهري الذي كان يرأسه متحليا بنفس زيّ والده.

ومنذ العام الأول في كلية الإعلام جامعة القاهرة، التحق إبراهيم عيسى بمؤسسة "روز اليوسف" إحدى أعرق المؤسسات الصحافية في مصر، كي يتربّى في مدرسة صحافية تقليدية، سينقلب عليها لاحقا.

وخلال رئاسة تحرير جريدة الدستور اليومية، قلب إبراهيم عيسى صناعة الصحافة في مصر رأسا على عقب، في التصميم والمحتوى والتناول والتحليل، ووصل إلى مستويات غير مسبوقة في معارضة النظام الحاكم.

وكان بإمكانك قراءة عنوان مثل "متى كانت آخر مرة غضب فيها حسني مبارك من أجل كرامة ودم المصريين؟" في صدر الصفحة الأولى، ثم تجد في الداخل تحقيقا عن جمال مبارك يحاصره من كل اتجاه، ولوجا حتى إلى نواياه.

ولا أحد بإمكانه نسيان مقالات كـ"يفتح الله" و"دستوره" و"وطن معتقل"، مرسخا بذلك مدرسة صحيفة "ليبراسيون" الفرنسية في مصر.

ولا يوجد في مصر من مُنعت صحف ترأس تحريرها وبرامج تلفزيونية كان يقدمها مثلما حصل مع إبراهيم عيسى، منذ جريدة الدستور وبرنامج "على القهوة"، وصولا إلى برنامجه الشهير "مع إبراهيم عيسى"، الذي أجبرت كاميراته على إطفاء أضوائها مطلع العام 2017.

وقال في بيان أصدره حينها إنه "... في الوقت الذي ساهم فيه (البرنامج) في اتساع عقول تسبب كذلك في ضيق صدور".

وأضاف "إنني أتقبل أن تكون هذه اللحظة مناسبة للتوقف عن تقديم البرنامج، حيث أظن أن مجريات الوقائع وضرورات الوقت وطبائع المقادير تقود لأن أترك مساحة التعبير التلفزيوني لمرحلة أخرى، ووقت لعله يأتي".

لكنه لم يمنح الفرصة لخصومه، خصوصا في مؤسسات الأمن، كي يستريحوا من طنينه المستمر بوتيرة واحدة دون توقف، إذ كان يصل إلى آذانهم المتضخمة أصلا، صخبا مشوشا يحمل طلاسم غير مفهومة.

وفي حواره الصحافي الأخير كشف إبراهيم عيسى أن "أطرافا وجهات مختلفة في الدولة وليست جهة واحدة توافقت على غلق برنامجي.. حتى لا تقول جهة واحدة أو شخص واحد: أنا من أغلق برنامج إبراهيم عيسى".

كان هذا مناكفة إبراهيم عيسى للأمن، لكن أين حصة الإسلاميين ورجال الدين المتشددين؟

«مولانا» إبراهيم عيسى

لم ينقض أسبوع واحد على غلق برنامجه، حتى فجّر إبراهيم عيسى قنبلة وضعها تحت عمامة حاتم الشناوي، رجل الدين الأمنجي والثائر، والمجدد الحذر في فيلم "مولانا".

وبينما كان التصفيق يعلو والأنوار تضاء من جديد في قاعة السينما التي شهدت العرض الأول للفيلم في القاهرة، تحت صيحات الإعجاب والثناء، علا صراخ آخر بلغة عربية مقعّرة تنقصها الفصاحة على شاشات الفضائيات لرجال دين لم يشاهد أغلبهم من الفيلم أكثر من إعلانه الترويجي.

لكن اسم إبراهيم عيسى على "الأفيش" كان كفيلا بتحويل هؤلاء من شيوخ دين مازالوا يدّعون الوسطية، إلى شيوخ قبيلة الأزهر، الذين اختاروا التمترس خلف عباءتها الفضفاضة، إذ تحجب الرؤية أمام أغلب من يملكون نظرا قصيرا لمجتمع مصريّ بلا قاع.

وعكس سيناريو الفيلم، المأخوذ عن رواية كتبها إبراهيم عيسى بلغته الساخرة المعهودة وتحمل نفس الاسم، أفكاره التي لطالما كانت وقودا لسجال ديني وفقهي لم يتوقف.

وينفي إبراهيم عيسى مثلا أن هناك "عذاب قبر"، كما لا يقول بعقوبة تارك الصلاة "إذ لا يوجد في القرآن الكريم عقوبات خاصة بمعصية معينة".

وأثار نفيه لاعتبار حجاب المرأة من أركان الدين عاصفة من قبل مشايخ في الأزهر وخارجه، ودفع ذلك إبراهيم عيسى إلى الرد قائلا "كل ما قلته أن الحجاب ليس من أركان الإسلام الخمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.. هل يوجد حجاب هنا؟".

وألقى "مولانا" حجرا في مياه راكدة، إذ رسم الفيلم من أفكار إبراهيم عيسى لوحة مبسطة يفهمها الجمهور، بدلا من تصوّرات رجال الدين التقليدية الأقرب إلى إحدى لوحات الفن التشكيلي الغامضة.

وكشف "مولانا" عن علاقة مقعدة على كرسي متحرك بين المسلمين والمسيحيين في مصر، إذ تحول عمودا الأمة من وتدين راسخين يسندان سقفا عاليا من التسامح، إلى منسأتين أكلتهما عقول أمنية شائهة، تدير الملف الديني في مصر.

وضرب إبراهيم عيسى على لسان حاتم الشناوي على أصل وجود الحركات الإسلامية وهو الخلافة. ولم يأل صاحب "مولانا" جهدا في حشر الخلافة بأذرعها الفكرية وذيولها التاريخية في صندوق ضيّق اسمه "نظام الحكم".

بالنسبة إليه لم تكن الخلافة الإسلامية أعلى مقاما من الإمبراطورية الفرنسية أو البريطانية التي هيمنت على نصف العالم. ويقول إن الخلافة فلسفة توسعية للحكم ليس أكثر، وأن لا قرآن ولا سنة فرضت الخلافة ولا سنّتها، وأن "لا شيء يسمّى خلافة في الإسلام أصلا".

ويطبق نظام الحكم في مصر حكم الشرع بحذافيره في الأحوال الشخصية والميراث كما يقول، وبالنسبة إلى إبراهيم عيسى لا وجود لـ"الشريعة الإسلامية". ويردد دائما أن ما يشكل أسانيد الفقه الإسلامي اليوم ليست أكثر من ضوابط "استقاها المسلمون من فهمهم لأوامر الرسول، وهو ما يضعها حتما في سياق الاجتهاد البشري".

> معاركه، تمكن إبراهيم عيسى خلال خوضها، من التسلل إلى وجدان قطاع واسع من المصريين الذين كان يعبر عنهم وسط ساحة إعلامية ضربها التصحر. لكن لم يتمكن إبراهيم عيسى من الولوج إلى الجانب القلق من نفوس مصريين آخرين، تربوا في أوج هيمنة فكر قومي بال، تصارعه أفكار سلفية متشددة وغريبة عن المجتمع المصري

ولن يتوقف إبراهيم عيسى قريبا، إذ أن قضيتي الديمقراطية وتجديد الخطاب الديني هما له بمثابة الابنين الثالث والرابع بعد يحيى وفاطمة إبراهيم عيسى.. وهل يتوقف المرء عن الحياة من أجل أبنائه، إلا في لحظة يلقى فيها ربه؟

● عصارة أفكاره يضعها إبراهيم عيسى في رواية "رحلة الدم"، التي صدرت العام الماضي، بعد أن أنزل بين صفحاتها الـ700 كثيرا من "القديسين" في التاريخ الإسلامي على الأرض مرة أخرى، إذ يكتشف القارئ، بعد تدقيق وتمحيص في ملامح وجوههم، أنهم بشر مثله تماما.

بطل «لا لا لاند» الذي يثير إعجاب العالم

رايان غوسلينغ
نجم كندي ينتظر جائزة الأوسكار بفارغ الصبر

فادي بعاج

❑ **عمان** – تعددت المواهب والفنان واحد. الرقص، الغناء، التمثيل والإخراج، فنون جمعها الشاب الكندي رايان غوسلينغ، بشخصيته التي تنطوي على العديد من المفاجآت. فهو ينتمي إلى ذلك الصنف النادر من الممثلين اللامعين، يتمتّع بشكل خارجي جذاب، وحضور قوي جداً، لديه غرام مع الشاشة ويفرض نفسه من خلال حركاته ونظراته التي تسبق كلامه دوما.

ينتظر غوسلينغ اليوم تحقيق الحلم الكبير في عالم السينما، وهو الفوز بجائزة الأوسكار عن دوره في فيلم الموسيقى والغناء والرقص "لا لا لاند"، الذي حقق حتى الآن إيرادات وصلت إلى 130 مليون دولار أميركي حول العالم.

خارج المنزل مع بريتني سبيرز

ولد غوسلينغ في مقاطعة أونتاريو الكندية عام 1980 لأمّ اسمها دونا كانت تعمل كسكرتيرة، وأب اسمه توماس كان عاملا في مطبعة، تطلقا بعد عدة أعوام، ليبقى رايان بحضانة والدته التي تكفّلت بتعليمه وأمّنت له دروسا خصوصية في المنزل.

في عمر الثانية عشرة، قرّر غوسلينغ الرحيل من منزله في أونتاريو، وترك عائلته المنتمية إلى طائفة المورمون بهدف المشاركة في نادي "كل النجوم في ميكي ماوس"، وفي العام 1993 انضم رسميا للنادي، وقام بالغناء والرقص والتمثيل لمدة سنتين إلى جانب كلّ من بريتني سبيرز وكريستينا أغيليرا وجاستن تيمبرليك.

التحق بعد ذلك بجامعة كورنوال حيث درس الفنون الجميلة، وأخذ يبحث عن فرصة لاكتشاف موهبة الغناء لديه، وتزامن ذلك مع صداقته للنجم الصاعد وقتها جاستن تيمبرليك، حيث أنه كان يقطن مع عائلة الأخير خلال تلك المرحلة.

تحول غوسلينغ إلى التمثيل من خلال دراسته في دورات تدريبية، فتمكن من الظهور في عدد من العروض التلفزيونية بدءاً من العام 1995 في مسلسل "الكسارة العالية" الذي عُرض على قناة "يو تي في" الكندية وقناة "يو بي أن" الأميركية. بعد ذلك، ظهر في سلسلة من البرامج التلفزيونية مثل "أسطورة الكونغ فو" العام 1996، وشارك بالمسلسل الناجح "الشاب هرقل" في العام 1998.

طوال فترة عمل غوسلينغ في التلفزيون، كان يسعى للوصول إلى السينما. وتحقق له ذلك في العام 2001 عندما سنحت له فرصة الوقوف أمام الممثل الكبير دينزل واشنطن في فيلم "تذكّر العمالقة"، نجاح الفيلم بشكل عام لفت أنظار مخرجي هوليوود إلى ذلك الشاب الوسيم، حيث اختاره المخرج الأميركي هنري بين ليكون بطل فيلمه "المؤمن" والذي كتب له السيناريو بنفسه، وهو الفيلم الذي أثار الجدل لأنه دخل في دهاليز النازية من جهة وفي الديانة اليهودية من جهة أخرى.

توالت الأعمال السينمائية لرايان غوسلينغ فلعب دور البطولة في فيلم "الولايات المتحدة ليلاند" إلى جانب دون شيدل وكريس كلاين، وكان له دور مميز في فيلم الإثارة النفسية "إبقَ" بمشاركة كوكبة من نجوم هوليوود مثل نعومي واتس، إيوان مكريغور، وبوب هوسكينز، كما التقى غوسلينغ بالعملاق أنطوني هوبكينز في فيلم "كسر".

دفتر الملاحظات

استطاع غوسلينغ الاستحواذ على الأنظار بشكل كامل في العام 2004 عن طريق الفيلم الرومانسي الشهير "دفتر الملاحظات"، الذي شاركته البطولة فيه الممثلة الكندية ريتشل ماك أدمز التي تكبره بعامين. ومع ذلك استطاعت ريتشل أن توقع غوسيلنغ في غرامها، فتزوجا بنفس العام.

أعجب الجمهور بالثنائي الرومانسي، وكيف أكملا قصة الحب من السينما إلى الواقع الحقيقي. إلا أن ذلك الزواج لم يدم أكثر من ثلاثة أعوام، ليعلن النجمان انفصالهما بشكل نهائي العام 2007.

أصبح غوسلينغ فجأة بسبب فيلم "دفتر الملاحظات" أحد أشهر النجوم الشباب، ووضعته مجلة "الناس" الأميركية في قائمة أكثر نجوم هوليوود إثارة وجاذبية، لتزداد شعبيته بين جمهور السينما خاصة الفتيات منهم. وفي السنوات التالية قام غوسلينغ ببطولة عدد من الأفلام المميزة أشهرها "عيد الحب الأزرق" و"جنون غباء حب" وفيلم التشويق والإثارة "فرقة العصابات" بمشاركة الممثل المخضرم شون بن.

فرقة موسيقية مرعبة

إلى جانب موهبته في التمثيل، يظهر غوسلينغ بين الحين والآخر شغفه بالموسيقى، حيث كتب ولحّن وقام بتأدية الأغنية الرسمية لفيلم "وادي روميس" الذي أنتج عام 2004، ويترأس غوسلينغ حاليا فرقة موسيقية تدعى بـ"عظام الرجل الميت".

قدم النجم الكندي أدوارا مختلفة ولم يقم بحصر نفسه في زاوية واحدة، بل على العكس يحاول دوما خوض تجارب قد تبدو غريبة عن شخصيته، مثل الدور الذي قدمه في فيلم "القيادة" تحت إدارة المخرج الدنماركي نيكولاس ويندينغ، حيث انطبعت صورة هذا الرجل في مخيّلة الناس، وهو يُعتبر بطلاً معزولا وغامضاً وصاحب قيم مثالية.

يمتلك غوسلينغ نزعته الانتقائية في اختيار أعماله، فهو لم يشترك لحدّ الآن في أفلام الأبطال الخارقين، التي تُعرف بمردودها المادي الكبير، ومن الممكن أن يشارك النجم الكندي في فيلم لا يشبهه ظاهريا مثل فيلم "الشابان اللطيفان" الذي صدر في العام الماضي، وبالنظر إلى المظهر الذي أطلّ به. وتدور أحداث الفيلم في سنوات السبعينات من القرن العشرين، وفيه يلعب غوسلينغ دور المفتّش الذي يتولى قضيّة التحقيق في وفاة ممثلة في لوس أنجلوس، وبعد التحقيقات المستمرّة، سيكتشف مع رفيقه الممثل راسل كرو أنّ هناك مؤامرة وراء مقتلها.

غوسلينغ من فئة الفنانين الذين يهتمون بالوضع الإنساني، ويخصصون له وقتا في حياتهم، ومثال على ذلك حين سافر النجم الشاب عام 2005 إلى دولة تشاد الأفريقية، وقام بتصوير وإخراج فيلم وثائقي عن واقع الحياة المأساوي هناك.

العام 2011 كان مليئاً بالأعمال السينمائيّة المتعدّدة لغوسلينغ، حيث قدم ثلاثة أفلام، قرّر بعدها أن يخفف قليلاً من وتيرة أعماله، ليطل في العام التالي بعمل واحد فقط وهو "المكان خلف أشجار الصنوبر"، وهو الفيلم الذي بفضله وقع في غرام السمراء الحسناء إيفا ميندیز التي شاركته البطولة، وحتى هذه اللحظة تشاركه الحياة والحب.

مشاكل كثيرة واجهت الثنائي الهوليوودي، لكنهما استطاعا التغاضي عنها بسبب تعلقهما الشديد ببعضهما، وأكبر أزمة حصلت بين النجمين كانت في شهر سبتمبر 2013، بسبب اختلافهما في مستقبل علاقتهما، حيث أن رايان كان يرغب بتأسيس عائلة وإنجاب أطفال، وهذا ما عارضته إيفا بشدة في البداية، لكنها في نهاية المطاف رضخت لمطالب حبيبها رايان، وأنجبت منه طفلتين، الأولى أسمياها أزميرالدا في شهر سبتمبر العام 2014. والطفلة الثانية في شهر مايو العام 2016 وأسمياها أمادا، وعبّر رايان عن سعادته بطفلتيه وزوجته خلال مقابلة تلفزيونية في برنامج "صباح الخير أميركا" ووصفهم بالملائكة، حيث قال "الأمر يشبه السير في وسط حقل من الزهور، إنها الجنة وأنا أعيش مع الملائكة"، وتابع غوسلينغ "إنجاب طفل يشبه شعاع الشمس في وسط الأوقات المظلمة".

في لقائه مع مجلة "أي. سي" الأميركية أفصح غوسلينغ عن رأيه بأن النساء أفضل من الرجال، وأنهن يتفوقن عليهم في الكثير من المجالات، وأضاف "يمكنك أن تدرك ذلك عندما تكون لديك طفلتان، ستلاحظ على الفور كيف أن الفتيات في السنوات الأولى من أعمارهن يمكنهن التفوق بسهولة على الفتيان الصغار في نفس أعمارهن".

قدم رايان مؤخراً رسالة شكر علنية إلى زوجته إيفا ميندیز، خلال تسلمه لجائزة "غولدن غلوب" بعد فوزه بها كأفضل ممثل في دور رئيسي عن فيلمه الأخير "لا لا لاند". كانت اللحظة المؤثرة حين وجه لها الشكر، لناحية دعمها له دائماً بحيث كانت السند له، حتى عندما كانت في أصعب ظروف حياتها، عند مواجهة شقيقها لمرض السرطان وخسارته للمعركة ووفاته في أبريل من العام الماضي.

> فيلم «دفتر الملاحظات» يجعل من غوسلينغ فجأة أحد أشهر النجوم الشباب، ووضعته مجلة «الناس» الأميركية في قائمة أكثر نجوم هوليوود إثارة وجاذبية، ولتزداد شعبيته بين جمهور السينما خاصة الفتيات منهم

الغولدن غلوب والأوسكار

"لا لا لاند" الفيلم الذي يشغل العالم حاليا، وخصوصا بعد كسره لحاجز الرقم القياسي في جوائز الغولدن غلوب من خلال الفوز بـ7 جوائز من أصل 7 ترشيحات، وأصبح مخرجه داميان جازيل أصغر مخرج سينمائي يحوز على جائزة غولدن غلوب.

ينتمي الفيلم إلى النوع الموسيقي الراقص واستطاع بجدارة مخرجه واحترافيّة بطليه غوسلينغ وإيما ستون، أن يكسر الأرقام القياسية و يطيح بكافة الأعمال والأفلام التي طرُحت في الأسواق مؤخراً والتي رُشحت لجوائز الأوسكار 2017. وما جعل الفيلم مختلفاً هو اختيار القالب الموسيقي الموفّق من مخرج الفيلم جازيل، فقد أوصل الفيلم الجمهور إلى تلك الحالة الرومانسية الخالصة، مازجاً بين الحلم والواقع، بين العصر الحديث وأجواء العصر الذهبي للسينما في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين.

قصة الفيلم بسيطة وتدور حولميا الممثلة الطموحة، والتي تقدم المشروبات لنجوم الأفلام بين تجارب الأداء، وعلاقة حبها بسيباستيان الموسيقيّ المتخصص بالجاز الذي شق طريقه بصعوبة من خلال عزف الأغاني خلال الحفلات، لكن مع تصاعد أحلامهما يبدآن في مواجهة الواقع.

نال "لا لا لاند" 14 ترشيحا لجوائز الأوسكار، من بينها الجائزة الكبرى وهي أفضل فيلم، وجائزة أفضل ممثل عن دور رئيسي وهي التي يتطلع إليها رايان غوسلينغ، وهي فرصته الثانية بعد ترشيحه عام 2007 عن دوره في فيلم "نصف نيلسون".

وسيتنافس في فئة أفضل فيلم مع ثمانية أفلام هي "مانشستر باي ذا سي"، "أريفال"، "مونلايت"، "هيدين فيجرز"، "هاكسو ريدج"، "هيل أور هاي ووتر"، "فنسز" و"ليون". وبهذه الترشيحات ينضم "لا لا لاند" إلى قائمة الأفلام الأكثر ترشيحا في تاريخ الأوسكار، إلى جانب فيلمين هما "تايتانيك" و"كل شيء حول حواء".

هل سيدخل "لا لا لاند" التاريخ، ويفوز بالجوائز المرشحة للأوسكار بفضل إخراجه وإنتاجه والموسيقى الخاصة به، وما إلى هنالك من عوامل وعناصر كانت هي السبب في النهاية في جعله الأهم على الإطلاق، وهل سيغدو البطلان الأعلى أجراً من الآن فصاعداً وتتضاعف أمامهما العروض للمشاركة فيها؟

هذان هما السؤالان اللذان يُطرحان اليوم، إلى حين أن نعرف الإجابة عليهما في آخر شهر فبراير الجاري عندما سيُقام حفل الأوسكار السنوي، ولكن مما لا شك فيه هو أنّ هذا العمل لن ينساه الجمهور بسهولة.

من ناحية أخرى، يذكر أنّ ترشيحات الأوسكار هذا العام أتت صادمة ومفاجئة للغاية لأنها تضمّنت أسماء 7 ممثلين من أصل 20 ينتمون إلى البشرة السوداء، وهذا موضوع يأتي اليوم بعد الهاشتاغ الشهير الذي أطلق السنة الماضية، والذي تم اتّهام إدارة الأوسكار على أساسه بأنّها عنصريّة ولا تعطي قيمة إلا للممثلين الذين ينتمون إلى العرق الأبيض، وهذا ما جعل حفل العام 2016 يسجّل أدنى نسبة مشاهدة في التاريخ كلّه.

● فيلم "لا لا لاند" يحصد 14 ترشيحا لجوائز الأوسكار، من بينها الجائزة الكبرى وهي أفضل فيلم، وجائزة أفضل ممثل عن دور رئيسي وهي التي يتطلع إليها رايان غوسلينغ، وهي فرصته الثانية بعد ترشحه عام 2007 عن دوره في فيلم "نصف نيلسون".

درس الفلسطيني الذي اخترع لغة بصرية لشعبه

إسماعيل شموط
رسام الذاكرة وحارس الهوية الوطنية

فاروق يوسف

❑ **لندن** – "لم نرسم مناظر طبيعية ولا طبيعة جامدة. لا زهور ولا فواكه" تقول تمام الأكحل وهي رفيقة عمره منذ سنة 1959 حتى وفاته. غير أن تلك المرأة كانت أيضا شريكة مغامرته الفنية.

حتى الزهور التي رسمها إسماعيل شموط في عدد قليل من لوحاته كانت أشبه بالرسائل التي تكشف عن مزاجه الذي اشتبك بمزاج شعب معذب. لذلك كانت زهورا متألمة وموجعة.

مخترع لغة معذبة

كان مزاجه الفني الذي يصنع موضوعاته يتأثر بتجليات ما يقع من حوله. ذلك الرسام الذي لم يكن يملك الوقت لما هو شخصي كان ملكا لقضية أكبر منه وكان في الوقت نفسه واحدا من رسلها إلى العالم.

فكانت لوحاته بمثابة مؤشرا يسجّل بحركته، ارتفاعا وانخفاضا ما يجري لذلك الشعب المعذب الذي أوكل إليه مهمة التعبير عن فجيعته من خلال الرسم. ولم يكن شموط كأي رسام فلسطيني آخر. كان بسبب ريادته خالق لغة، ستشكل مفرداتها في ما بعد المعجم الذي ينهل منه رسامون فلسطينيون، قدّر لهم أن يتمسكوا بهوية وطنية، كان العالم كله قد قرر محوها.

بهذا المعنى يكون شموط واحدا من قلائل، هم صناع المعجزة الفلسطينية. معجزة فرضت على العالم واقعا كان بالنسبة إلى الكثيرين قد ذهب إلى عدمه. بالنسبة إلى فلسطيني من نوع شموط فإن الانفصال عن ذلك الواقع كان خيانة لإرث الألم والعذاب والقسوة والظلم.

يمكن أن يستثنى فن شموط من كل شروط وأحكام مسبقة بسبب تلك المعجزة. فالنظر إلى ذلك الفن ينبغي أن يتم من داخل التجربة الفلسطينية، كان فنا مختلفا إذا ما تمت مقارنته بالتجارب الفنية لفنانين عرب، هم من جيل شموط أو من الأجيال التي سبقته. وهو ما يهبه خصوصية، فيها الكثير من العناد والمجازفة. ذلك لأن شموط قد نظر إلى الرسم من جهة وظيفته التاريخية التي وضعته في خدمة قضية إنسانية، لم تكن السياسة إلا واجهتها الزجاجية الشفافة. لذلك لا يمكن الحكم على فن شموط باعتباره فنا سياسيا. فالرجل وإن كان قريبا من السياسة كان رساما قبل أيّ صفة أخرى.

رجل التاريخ والحكاية الفلسطينية

ولد إسماعيل عبدالقادر شموط في اللدّ العام 1930. بعد النكبة التي حلت بالفلسطينيين العام 1948 بقيام دولة إسرائيل على أرضهم التحق بصفوف المطرودين حيث أقام مع عائلته في مخيم للاجئين في خان يونس بقطاع غزة الذي ألحق بمصر.

درس فن الرسم في القاهرة بين عامي 1950و 1954 وكان قد أقام معرضه الشخصي الأول في مدينة غزة عام 1953 وحين تخرّجه أقام معرضه الشخصي الثاني بمشاركة زميلته تمام عارف الأكحل. بعدها مباشرة تابع دراسته الفنية في روما لينهيها العام 1956. بين عامي 1957 و1983 عاش في بيروت وكان قد أصبح أمينا عاما لاتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين العام 1969، بعدها بعامين أنتخب في بغداد ليكون أمينا عاما لاتحاد الفنانين العرب. انتقل من بيروت إلى الكويت ثم قضى سنتين في ألمانيا ليستقر أخيرا في عمان غير أنه توفي في أحد مستشفيات ألمانيا العام 2006.

ألّف شموط كتبا، تمحورت مثل رسومه حول فلسطين وشعبها وهي الفنان الصغير (1957) موجز تاريخ فلسطيني مصور (1972) الفن الشعبي الفلسطيني (1976) فلسطين– تاريخ وحضارة (1977) الفن التشكيلي في فلسطين (1989). وكما هو واضح من عناوين كتبه فإن حكاية شعبة هي الجزء الحقيقي الوحيد الذي يستحق أن يُروى بلسانه.

> رسوم شموط جزء من التاريخ الفلسطيني كما ننظر نحن إليها. غير أن الفلسطينيين ينظرون إليها بطريقة مختلفة تماما. ذلك لأن تلك الرسوم لا تزال تقيم في لحظة المقاومة التي تعرضت للكثير من الخذلان

"مسيرة شعب" هو عنوان اللوحة الكبيرة (ستة أمتار طولا) التي أنجزها شموط العام 1980 ولم يكن يخطر في ذهنه أن تلك اللوحة ستتشبّه به فتتعرض لما تعرض له من غزو وتشرد وتغييب وقسوة ومن ثم رعاية من قبل الغرباء المتأنقين.

في تلك اللوحة مزج الفنان بين مأساة شعبه وحياته الشخصية. أكثر من ستة أشهر قضاها وهو يرسم. كانت تلك اللوحة بمثابة وصيته وخلاصة حياته في الوقت الذي يرى فيه المتابعون لمسيرته الفنية أنها كانت أهم أعماله على الإطلاق.

عرضت تلك اللوحة أول مرة في العام 1981 في دار الكرامة ببيروت ثم ذهبت في جولة لتعرض في دمشق وماليزيا والكويت وعمان وأبو ظبي لتستقر أخيرا في رام الله.

في العام 2002 وقع الاجتياح الإسرائيلي، حينها أخفيت اللوحة الكبيرة في كيس مخدة بعد أن طويت من قبل مدير المتحف في رام الله. وبعد وفاة شموط ومدير المتحف معا، استطاعت زوجة الفنان تمام الأكحل أن تستعيد اللوحة العام 2008 لتقوم بعرضها للبيع من خلال مزاد كريستيز.

رسم شعبه ورسم حياته الشخصية لينتهيا إلى ظلمة كيس مخدة لسنوات ولن يظهرا على العالم إلا في مزاد علني. أليست تلك الرحلة التي خاضتها اللوحة هي التجسيد الأمثل لمسيرة الشعب الفلسطيني من منفاه الداخلي إلى غربته الخارجية؟

أيقونة الرسم المقاوم

"مسيرة شعب" اللوحة هي اسم على مسمى. لقد عاشت ما عاشه الشعب الفلسطيني وما عاشه رسامها شخصيا من أسفار وأهوال ومعاناة لتنتهي أخيرا بضاعة في مزاد علني. لقد صنعت تلك اللوحة عن طريق الصدفة قدرا حوّله رسامها إلى خبرة عيش. تلك الخبرة هي خلاصة التيه الفلسطيني الذي حوّلته الذاكرة إلى متحف حيّ.

كانت لوحات إسماعيل شموط متحفا للذاكرة الفلسطينية. لقد حرص الفنان على أن يكون وفيا لما يتذكره من طفولته. غير أن لوحاته في الوقت نفسه لم تكن مجرد استعادات لحياة لم تعد ممكنة. ففي مرحلة سطوع نجم الأمل من خلال المقاومة الفلسطينية امتلأت لوحات شموط بالتفاؤل.

لقد اخترع الفنان لغته من مواد صلبة كانت قد تسربت إلى ذاكرته غير أنه استفاد كثيرا من المواد السائلة التي كانت الوقائع المقاومة تضعها بين يدي العالم. كان هناك شعب لم يتخل عن هويته ولم تنجح كل المحاولات في إذابته يقاوم، بل ويخرج إلى الحياة المعاصرة باعتباره رمزا للمقاومة.

كان شموط رسام فلسطين باعتبارها طائر العنقاء الذي ينبعث من رماده. رسّام أيقوناتها الذي صار هو شخصيا أيقونة بالنسبة إلى سواه من الرسامين الفلسطينيين. ومثلما استحضر شموط الرموز الفلسطينية الحية فإن التاريخ الفني لشعبه يستحضره باعتباره رمزا لحيويته.

ننظر اليوم إلى رسوم شموط باعتبارها جزءا من التاريخ. غير أن الفلسطينيين ينظرون إليها بطريقة مختلفة تماما. ذلك لأن تلك الرسوم لا تزال تقيم في لحظة المقاومة التي تعرضت للكثير من الخذلان.

لا يزال الفنان الذي صنع معجما للغة التعبير الفلسطيني من خلال الفن صادما في إخلاصه للبعد الملحمي الذي انطوت عليه قضية الشعب الفلسطيني، بعيدا عن كواليس السياسة، بكل ما تخللها من مؤامرات فجة. الفلسطينيون الذين رسمهم إسماعيل شموط هم الممثل الحقيقي لفلسطين ببعدها الإنساني. ذلك البلد الغريب الذي صار مع الوقت يتخذ بعدا تجريديا. شموط هو الابن الحقيقي لذلك الشعب. استحضره بصريا غير أنه في الوقت نفسه استلهم قوته صامدا.

فن إسماعيل شموط عميق حين يتعلق الأمر بالجوهر. فلسطين لا تزال موجودة. هذا هو درس الفلسطيني الذي مات في ألمانيا.

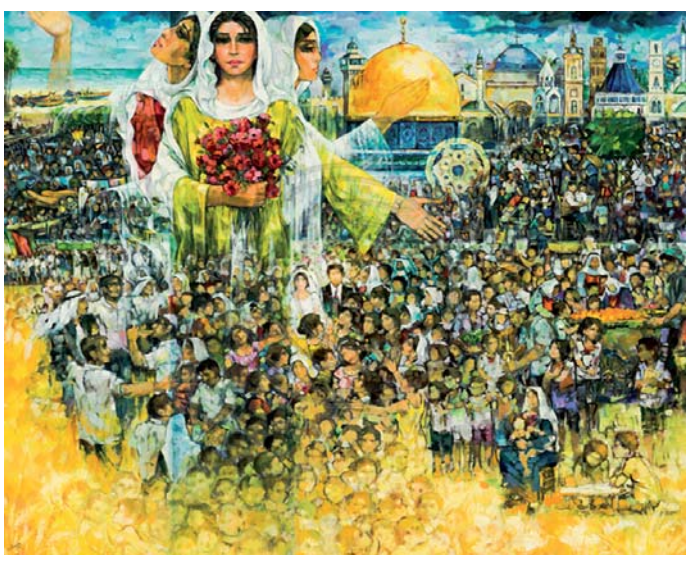

بحيرة العجائب السبع وضفاف الثقافات

عن أوروبا المتنكرة لوجهها في المرآة والشرق المحترق

نوري الجراح
شاعر من سوريا مقيم في لندن

❏ المتوسط، بحيرة العالم القديم، والوسيط، والحديث بلا شك، وبحيرة المستقبل. وهو رئة الوجود البشري التي بها تنفس المعنىٰ، والفم الذي نطق كلمات العالم. هنا، في المتوسط، افتتح الأبطال والحكماء والشعوب تاريخ البشر ونقشت اللغات بالأزاميل علىٰ حجارة صلبة، وشويت بالنار الأولىٰ علىٰ رقيمات الطين. هنا ولدت أبكر الكلمات وبها أضاء البشر مغامراتهم الفكرية، وفي صحائف المتوسط كتبوا أجمل القصص وأطول الملاحم وأعظم الشعر.

هنا، من علىٰ ضفاف الشرق سن حمورابي في بابل قوانينه التي ستتحدر من سطورها المضيئة شرائع الأمم، وافتتحت في بيروت أعظم مدرسة للحقوق، وولد في دمشق أبولودور (عطية الله) أقدم معماريي العالم، ورفع سقراط في أثينا كأسه لأجل مجد الفلسفة وكرامة الموقف. وواجهت زنوبيا وردة الصحراء في تدمر وحشية روما واستعلائيتها، ونقش السوريون في أوغاريت أول أبجدية في الأرض.

المتوسط، البحيرة التي توردت بدماء الشعوب لتنتج الأفق، والضفاف التي شهدت مراكب الأمم، تارة تبحر في خضمّ الماء وعباب الأزمنة لتتلامس وتتخاطب وتتبادل وتترجم بشغف الرغبة في فك طلاسم الذات والآخر، واختراق المجهول سعيا وراء المعرفة والتعارف، منصتة إلىٰ أصداء لغاتها، وتارة أخرى لتتصادم وتضرب مجاذيفها في حمرة الدماء، وتبحر في لجة من قتامة الشك والتوجس والخوف مدفوعة برغبات جامحة لامتحان القدرة علىٰ حيازة الأكثر وطلب التفوق الإمبراطوري، ولو كان ذلك علىٰ حساب العدل والحكمة والحق والجمال الإنساني.

المتوسط، واسطة العقد، ولبّ الكتاب، أينما مضيت في العالم، ومهما ابتعدت في الأرض ستجده في الطعام واللباس والعمارة واللغة. وتجده في الأغنية والرقصة وموسيقىٰ المعبد. وكذا في الخرائط والألوان. وتجده مقبلا عليك حيثما وليت وجهك في الغرب الأوروبي، أو في الغرب الأميركي. وعندما تطأ بقدميك أرض الجنوب الأبعد في الجغرافيا حيث وصل المغامرون الأوروبيون بمراكبهم الشرهة، وحيثما وقعت علىٰ سحر فاحت في أسراره أسرار المتوسط، وإذ تستقبل نسمة في أقصىٰ العالم، سوف تهبّ معها روائح المتوسط. فهو سرة الأرض وعروة الأشياء.

وعندما لم تكن أميركا قد ظهرت في الخرائط، فإن واحدة من أكثر الخرائط بساطة وعبقرية وسحراً بالنسبة إليّ، أنا المولع بالجغرافيا، هي تلك الخريطة الكنسية الأوروبية البسيطة من العصر الوسيط: غصن وفيه ثلاث ورقات هي أوروبا وأفريقيا وآسيا، وفي الوسط منها بيت المقدس.

***

في وقت أسبق كان للبشرية أيقوناتها الكبرى وعجائبها التي تحدّرت إليها من صنيع أجداد أسطوريين وواقعيين؛ دليلا إلىٰ طبائع نزوعهم نحو الكمال الذي تصوروه كل مرة في مثال وتطلع إلىٰ مثال يعكس ما يمور في أعماقهم، ويتراءى علىٰ سطح تلك البحيرة العظيمة، المتوسط؛ سبع هي عجائب الدنيا كما حفظتها أقدم السجلات، ووصفتها ببراعة مكنت الرسامين من تخيلها ورسمها، آخرها وأولها زوالا هو تمثال رودس الذي بني في القرن الثالث قبل الميلاد، وأزاله من الوجود بعد حوالي نصف قرن من بنائه زلزال مدمر، لكنّ شاعراً سوريا من صيدون خلده في سطور مكتوبة باليونانية بعد قرن كامل من زواله نقلا عن مشاهدات مدونة لسياح أغارقة وصفوه.

سبع هي عجائب الدنيا، وكلها في المتوسط. فهل هذه مصادفات الأزمنة أم أقدار الجغرافيا علىٰ ضفاف بحيرة العجائب؟

سبعُ شواهق أبدعتها ثقافة أبناء المتوسط ومغامرات مخيّلاتهم الجامحة ومعارفهم الحاذقة، وقرائحهم. ولا حاجة بي لأكثر من أن أسميها فكل قارئ شغوف بالمعرفة إنما عرف شيئا قليلا أو كثيرا عن أهرام مصر، ومنارة الإسكندرية وجنائن بابل، وبوابة عشتار، وهيكل أرتيميس، وتمثال زيوس، وضريح موسولوس وكلها أتت عليها الزلازل والحرائق والحروب، ولم يسلم منها سوى هرم خوفو. ومن بين من ذكرها المؤرخ اليوناني الأكبر هيرودوت.

***

لكن عجائب الدنيا ليست سبعاً وحسب، بل لعلّها أكثر من ذلك بكثير. أوَليست إلياذة هوميروس بما حفلت به من صور خيالية بالغة الروعة للأبطال والآلهة، للخالدين والفانين معا وهم في اشتباك أسطوري هائل، ينطقه عن نفسه شاعر أعمىٰ، أوَليست هذه الملحمة العظيمة أعجوبة الأعاجيب؟ وهو ما ينطبق علىٰ الأوذيسة العجيبة أيضاً، وعلىٰ ملحمة جلجامش وألواح سومر وبابل وآكاد وألواح أيبلا وأبجدية أوغاريت التي أنطقت العقل لغته في رسوم مدونة، وينطبق أيضاً علىٰ كتاب الموتىٰ الفرعوني الذي أمدنا بمخطط عجيب للرحلة الأخروية بحثاً عن مغامرة الخيال بحثاً عن الخلود بعد الموت. أوَليست هذه الرحلة ومعها رحلة جلجامش الأرضية وراء عشبة الخلود وصولا إلىٰ أشجار الأرز في جبال لبنان المطلة علىٰ زرقة المتوسط بأدبيتها الراقية وأصواتها الشجية، هي أيضاً من عجائب الدنيا التي اصطادها الخيال وتصورها العقل.

ليس العراق ببعيد عن المتوسط، كما هو الحال بالنسبة إلىٰ مصر وإسكندريتها العظيمة، لا بل إنه في القلب منه مادامت أزهىٰ حقبه الجمالية والفكرية والاقتصادية متصلة بأشور التي جمعت في تراب مجدها القديم سوريا والعراق، فجغرافيته علىٰ اتصال طبيعي بالبحيرة العظيمة التي وصلت الشرق بالشرق، والشرق بالغرب. والأمر السالف نفسه ينسحب علىٰ تونس التي أخرجت حنون ملك قرطاج ليؤسس سبع مستوطنات للتجارة والثقافة علىٰ المتوسط والأطلسي، في مغامرة الاتصال مع الآخر، في وقت سيستقبل السوريون في حواضرهم الموظف الفرعوني نأمون القادم إلىٰ سوريا بحثاً عن الخشب لبناء المراكب.

> ❏ المتوسط، واسطة العقد، ولب الكتاب، أينما مضيت في العالم، ومهما ابتعدت في الأرض ستجده في الطعام واللباس والعمارة واللغة. وتجده في الأغنية والرقصة وموسيقى المعبد. وكذا في الخرائط والألوان. وتجده مقبلا عليك حيثما وليت وجهك في الغرب الأوروبي، أو في الغرب الأميركي ❏

***

علىٰ أن أكثر قصص المتوسط قدرة علىٰ ترميز العلاقة العضوية بين ضفافه إثارة للخيال، بينما نحن نتأمل في هذه البحيرة العظيمة، إنما هي تلك القصة التي تمزج التاريخ بالأسطورة والحقيقة بالخيال، لتروي لنا حكاية الضفاف كلها ووزن الشرق في ظهور الغرب، وأعني بها اختطاف أوروب ابنة ملك صور السوري (الفينيقي) أكينور علىٰ يدي الإله زيوس الذي احتال عليها عندما تجلىٰ لها في صورة ثور مجنح، وفر بها إلىٰ كريت.

***

المؤثر أن أوروب الأميرة الشرقية هي من أعطىٰ الضفاف الغربية للبحيرة، ومن ثم القارة كلها اسمها، وقد أرسل والدها إخوتها قدموس وفينيق وقيليق ومعهم حاشية كبيرة بحثا عنها، ورافقتهم في تلك الرحلة الشيقة أمهم. ولسوف يتحول ذلك الخروج الكبير بحثاً عن الأخت المحبوبة الغائبة، من رحلة بحث عن أخت مخطوفة إلىٰ رحلة نقل للحضارة من ضفة إلىٰ ضفة؛ من نشر الكتابة إلىٰ بناء العمائر إلىٰ غيرها من نشاط مبتكر وخلاق اشتهر به سكان سوريا القديمة (فينيقيا). ففي جزيرة ثيرا سيبني أبناء أكينور معبداً ويعلّمون أهلها الكتابة، ويبقىٰ بعضهم في الجزيرة ويصبحون حكاما عليها. وفي جزيرة تاسوس سيبنون مدينة ويعطونها اسم الجزيرة، وفي تراكيا ستموت الأم وتدفن هناك، ويعود فينيق وقيليق إلىٰ سوريا، لكن قدموس سيواصل رحلته بحثا عن أخته. وفي معبد دلفي سينصحه العرّافون بأن ينهي رحلة البحث عن الأخت المخطوفة، ويبني بدلا من ذلك مدينة. أي أن ينشئ مملكة. وخلال رحلة البحث عن مكان لبناء المدينة سوف يخوض مغامرات عديدة يتكشّف لنا من خلالها عمق الروابط التاريخية والأسطورية بين اليونان وسوريا القديمة، والمكانة الروحية والفكرية المهمة لسوريا في حياة اليونان.

***

لقد اختفت الأخت أوروب جهة الغرب، ونهضت بدلا منها قارة تدين إلىٰ الشرق بعلومها ومعارفها وخبراتها، وكذلك اسمها، وتجعل من تناظر الضفاف في الجغرافيا زواجاً مرآويا في الحضارة والأسطورة والتاريخ. إنها أجمل ما يملكه الشرق وقد صارت قارة اسمها أوروبا.

لكن سوريا، الأم العريقة لأوروبا، هي اليوم ضحية أعمال شنيعة لكائنات شريرة لجيش متعدد الجنسيات من الأبالسة أين منها كائنات الظلام في أساطير المخيلات القديمة لشعوب المتوسط. وسوريا التي كانت كريمة مع العالم، إلىٰ الدرجة التي جعلت عالم آثار أوروبي شهير يقول "لكل إنسان في العالم وطنان، وطنه وسوريا"، إنما هي تحترق، اليوم، ويقتل أبناؤها ويهجّرون من أرض آبائهم وأجدادهم وتدمّر آثارها في الحضارة، وتمسح معالمها، تحت سمع العالم وبصره، ومن دون أن يلتفت إليها أبناؤها في الحضارة وقد أصمّت الآذان بأصوات استغاثتها. فلا نظرة عطف علىٰ تلك الأم الكريمة، ولكن قسوة لا تدانيها قسوة، ونكران لا نكران بعده هو ما يلقاه الوطن الثاني للإنسان، حتىٰ لكأنّ القدر الجغرافي المشترك بين الضفاف لا قيمة له في ظل عالم لم تعد الروابط الحضارية هي ما يميز أدواره في العصر، ولكن القوة العمياء واللاأخلاقية والاستئثار والأنانية وقد جعلا إنسان العصر مسخاً قلقاً من ذاته وخائفا من آخره. مريضاً مرض المستوحد في الحضارة، لا هو بالطفل ولا هو بالناضج، اكتفىٰ من دفاتر الأجداد بأسمائها البراقة، وضجر من علومهم وشرائعهم وأقاصيص فروسيتهم، ونبل أسمائهم فأعطىٰ ظهره لجنّة العقل وفيحاء الحكمة، وها هو يقف كالمهرّج المفتون بملابسه الملوّنة وخطبه الهزلية علىٰ أبواب العدم. فأيّ قدر إنساني أليم نحن فيه، وأيّ مآل آلت إليه المصائر الإنسانية في الضفاف الشرقية من بحيرة المتوسط.

***

"اكسر سيفك واحمل معولك واتبعني لنزرع المحبة في كبد الأرض"، هذا ما جاء في رقيم طيني سوري كتب قبل خمسة آلاف سنة في رسالة موجهة من الإله بعل إلىٰ رعاياه، عثر عليه في أوغاريت، وهو ما يجعلني، اليوم، أهتف بغضب "خذوا عني آلهتكم التي تحمل السيف، وأعيدوا لي آلهتي المرحة وفي يدها المعول".

* لوحة: صفوان داحول

كوكب غارق أم حلم غارب

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ هل يحق لكائن أرضي أن يحلم بكوكب آخر؟ ترى أيّ الكواكب سترحّب بكائنات يائسة دمرت كوكبها بحروبها وعنفها واستهلاكها وعقائدها الفاتكة وفقدانها لإنسانيتها؟ ألا يحمل الإنسان خرابه أينما يتجه؟ ألن يخرّب الكواكب الأخرى التي سيحط عليها؟ هل سيرحل مغسول الدماغ دون أن يحمل كل أدرانه الأرضية ومرارته ويأسه في حقيبة الروح والذاكرة؟ أما أخبرنا كافافي في قصيدته "المدينة" بمقولته الخالدة "فطالما خربت حياتك هنا في هذا الركن الصغير، فقد دمرتها في كل مكان من العالم".

يشدو مدحت صالح بأغنية حلمية تنشد يوتوبيا مستحيلة، ويردد في مطلعها "رافضك يا زماني يا مكاني يا أواني أنا عايز أعيش في كوكب تاني.. فيه عالم تاني فيه لسه أماني، فيه الإنسان لسة إنسان عايش للتّاني..".

لقد اختصر مدحت صالح أو شاعر الأغنية معضلتنا البشرية في هذه الكلمات حيث أحلامنا المجهضة وأمانينا المقتولة وعقائدنا التي أجهزت علىٰ إنسانيتنا، حيث الكائن البشري تخلىٰ عن إنسانيته مقابل ثمن بخس لرفاه خادع ووعود أيديولوجية لم تحقق للبشرية سوى المزيد من الموت والتهجير والتدمير الممنهج والحرمان من الحرية.

يبدو أن مصير كوكبنا مهدد بالغرق والنهايات الفاجعة، ليس في المحيطات التي احتضنته منذ نشوء الحياة، وإنما في بحار من دماء تسفكها الحروب الدينية الجديدة التي أعادت دورة القرون الوسطىٰ، حروب يقاتل محاربوها بأسلحة مدمرة مسندة بأفكار تبدو خيرة في ظاهرها كـ"الديمقراطية" أو "العدالة" أو "دولة الشريعة"، وعقائد تدعو إلىٰ إقامة دين واحد وتطبيق شرائعه بوسائل تحوّل البشرية إلىٰ قطعان مذعنة مسلوبة الإرادة، فمن سبي وحرق واغتصاب وقطع رؤوس، تشتعل هذه الحروب بإدارة عقول متخفية تقرر مصير الكوكب بالتعاون مع مصانع الأسلحة والسيارات والسموم والأدوية التي تستوردها الدول الصغرى المأمورة بتنفيذ خطط دمار المستقبل الإنساني.

سيغرق الكوكب الأزرق الجميل وتفنىٰ بغرقه الملاحم والمآثر الفكرية والفلسفات العظيمة والأعمال الفنية وعجائب الدنيا -قديمها وحديثها- وقصص العشق الباهرة وحكايات البطولة، ومعه ستفنىٰ الدكتاتوريات والنظم الثيوقراطية والنظم العشائرية والقبائل البدائية في الغابات ومافيات العنف والمخدرات في نيويورك أو موسكو أو طوكيو أو صقلية أو بغداد، وتصبح قصة كوكبنا أمثولة ترويها كائنات الكواكب العاقلة لعلها تتعلم من فنائنا ما يبقيها فتعيد النظر في شؤون كواكبها؛ فلا منجىٰ من الغرق والفناء إذا ما سادت الكواكب أفكار ومطامع الأرضيين ونزعاتهم المدمرة منذ نشوء الحياة بأشكالها الأولية وحيدة الخلية مرورا بظهور العباقرة العظام كغاليليو ودافنشي وابن الهيثم وابن رشد وأنشتاين حتىٰ ظهور الكائنات الأكثر تفاهة في زمننا علىٰ شاكلة الدكتاتوريين العرب وأوباما وترامب وهيلاري كلينتون وبوكو حرام وداعش ومشرّعي البرلمان العراقي الذين يحاولون إعادة الزمن الأرضي إلىٰ عصر الأميبيات الغبية. يأخذنا كوكبنا معه في رحلة الغرق القيامية، كوكبنا الذي تصوره البابليون والإغريق والهنود علىٰ شكل قرص يعوم في محيط مائي وتصوره آخرون بشكل دائرة منبعجة، ومضت التخيلات البدئية تصنع أساطيرها الأولىٰ عن شكل عالمنا وطريقة نشوئه فتخيلته قصيدة الخليقة البابلية متخلقا من أشلاء الأم الأولىٰ "تيامات" التي اغتالها ابنها ومن نصفها صنع الأرض والجبال ومن النصف الآخر صنع السماء والنجوم ولم يتبق لنا من مهرب في الأرض المدورة كما اشتكت طفلة صغيرة في قصيدة لها "لو كانت الأرض مربّعة لاختبأنا في إحدى الزوايا، ولكنها مدورة لذا علينا أن نواجه العالم".

أمير عاشق وفتاة من الشعب

«أمانة الحب» للبنانية إسكندرة قسطنطين الخوري

هيثم حسين
كاتب من سوريا

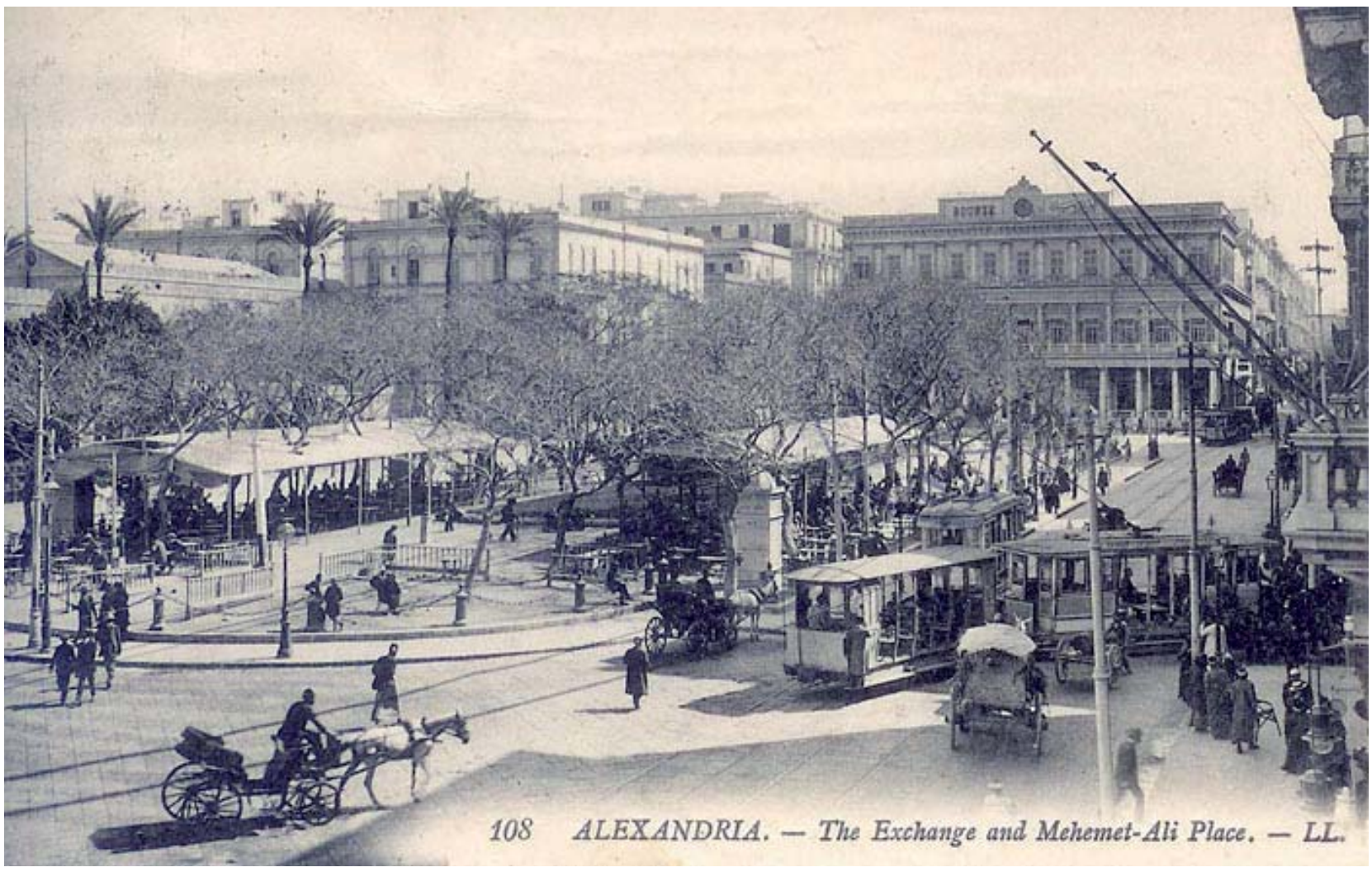

الإسكندرية مطلع القرن الماضي: مدينة التفاعل بين ثقافات المتوسط

❏ استوحت الكاتبة والأميرة لبنانية الأصل إسكندرة قسطنطين الخوري (1872–1927) نص مسرحيتها "أمانة الحب" من أجواء قصور الملوك والأمراء، رسمت قصة عشق بين أمير وفتاة جميلة من عامة الشعب، تشير من خلالها إلى قوة الحب في مواجهة الطبقية والقيود الاجتماعية الموضوعة، وتخطّي تلك الحواجز بإصرار وعناد، برغم ما قد يواجهه العشاق من تقريع محتمل ومن تأنيب من محيطهم الاجتماعي وتجاوزهم للخطوط الحمر التي تصبح خطوط نار تحرق العشاق الذين لا يكترثون لها.

يلفت محقق الكتاب سيد علي إسماعيل إلى أن نص مسرحية "أمانة الحب" يعتبر من النصوص المهمة لعدة أسباب يجملها في تأكيده أن النص ظلّ مخطوطاً ولم ينشر منذ كتابته سنة 1899، حيث يعد من النصوص المسرحية اللافتة والنادرة في زمن كانت الترجمة والتعريب من أهم الصفات الغالبة على النصوص المسرحية، ويعتبر من الآثار المجهولة لصاحبته التي تعتبر من الرائدات العربيات في التأليف المسرحي، والتي كانت تحمل لقب أميرة، ناهيك عن تضمينها قصائدها الشعرية في عملها.

كانت إسكندرة قسطنطين نعمة الله الخوري قد ولدت في بيروت سنة 1872، ثمّ انتقلت إلى الإسكندرية مع أسرتها، والتحقت بمدرسة الراهبات، واستعانت بأستاذ علّمها العربية، ثمّ تزوّجت بتاجر إيطالي يُدعى ملتيادي أفيرينوه، ليُصبح اسمها إسكندرة ملتيادي أفيرينوه ، وهو الاسم الذي لازمها منذ زواجها وحتى وفاتها.

أصدرت مجلة "أنيس الجليس" 1898 في الإسكندرية، كما كان لديها صالون أدبيّ وفنّيّ يرتاده عدد من مشاهير مثقّفي عصرها، وقد منحها العديد من الملوك والسلاطين ورجال الدين جوائز وأوسمة رفيعة، منهم السلطان العثماني عبدالحميد والشاه مظفر علي شاه إيران والبابا ليون الثالث عشر، بالإضافة إلى عدة أوسمة أخرى من عدد من الدول حول العالم. وقد طردها الملك فؤاد من مصر إثر اشتباهه بعلاقتها بالخديوي المخلوع عباس حلمي وبالإنكليز وقام بمصادرة أوراقها وترحيلها إلى إنكلترا وظلت في لندن حتى مماتها سنة 1927.

حضرت إسكندرة مؤتمرات في باريس وأوروبا، توثقت علاقتها بالأميرة الإيطالية فيزنيوسكا التي كتبت وصيتها التي

> نص مسرحية «أمانة الحب» يعتبر من النصوص المهمة لعدة أسباب يجملها في تأكيده أن النص ظل مخطوطاً ولم ينشر منذ كتابته سنة 1899، حيث يعد من النصوص المسرحية اللافتة والنادرة في زمن كانت الترجمة والتعريب من أهم الصفات الغالبة على النصوص المسرحية

أوصت فيها بتنازلها عن اسمها ولقبها إلى إسكندرة، وعهدت إلى ملك إيطاليا بتنفيذ هذه الوصية بعد وفاتها. وعندما تُوُفيت كتب زوجها إلى إسكندرة يخبرها بوصية زوجته، وصدّق عمانوئيل الثالث ملك إيطاليا على تحويل هذا اللقب إلى إسكندرة. وهكذا أصبحت إسكندرة قسطنطين الخوري، أو إسكندرة ملتيادي أفيرينوه تُدعى رسميًا الأميرة ألكسندرة أفيرينوه فيزنيوسكا.

كان يفترض أن يتم تمثيل نص "أمانة الحب" المسرحي من قبل فرقة مسرحية معروفة في الإسكندرية في ذلك الوقت، حتى أن المخطوطة التي تم العثور عليها هي مكتوبة بخط أحد أفراد الفرقة المسرحية نفسها، لكن ذلك لم يتم، وبقي النص حبيس المخطوط الذي لم ينشر إلا بعد عشرات السنوات من كتابته.

تدور أحداث المسرحية حول عشق إيميليا لأمير إسبانيا، الذي رأته مرة واحدة فوقعت في حبه، ومن ثمّ أرسلت له مع خادمها خطابًا موقّعًا باسمها، تعترف فيه بحبّها له. فيردّ عليها برسالة قصيرة قائلاً "ليس له عندي جواب"، ذاك الرد الذي سبب لإيميليا أذى وكان نكبة عليها، ثم كان أن تلقت رسالة من أحدهم يعترف بحبه الشديد لها، برغم عدم معرفته باسمها، ولكنه أحبّها منذ أن شاهدها للمرة الأولى على شاطئ البحر، فما كان منها إلا أن ردت بعبارة الأمير نفسها، وكأنها مارست انتقامها من الأمير عبر عاشقها المجهول، وبتصاعد أحداث المسرحية، يكتشف القارئ أن العاشق المجهول هو الأمير المعشوق نفسه، وتنتهي المسرحية بزواج العاشقين إيميليا والأمير.

تبني الكاتبة فصول مسرحيتها بطريقة المناجاة الشعرية، لدرجة أن المسرحية تبدو مسرحية شعرية غنائية أكثر منها سردية، تضمنها قصائدها وأشعارها التي تثريها بمشاعرها وأحاسيسها وحبها، وكأنها تبلور شخصية بطلتها بطريقة تصور فيها نسخة عن ذاتها باسم مسرحي مستعار.

من شخصيات المسرحية –وكان يتم تعريف الشخصيات بالمشخّصين حينها– الدون كارلوس، وهو أمير إسبانيا، والدون بيدرو، وهو بارون إسباني يزاحم الأمير في عشقه لإيميليا، والدون سيزار وهو كاتم أسرار الأمير، والدون فيليب والد إيميليا، بالإضافة إلى بطلة المسرحية الدونا إيميليا وصديقتها جوليا وخادمها، وعدد من الشخصيات الكومبارس حيث يمثل حضورهم ملء المشاهد بالحركة.

تستهل إسكندرة مسرحيتها بمقطع شعري تناجي فيه إيميليا العاشقة أميرها المعشوق مفاضلة بين الحب والجمال والإمارة، ومؤكدة له أن الحب لا يقف عند حدود الإمارة أو عتبة المنع والقيد، وتسأله ألا يكفي الجمال لعقد حب يكون به لقلبيهما اتصال، وما إن كان قلب الأمير كالإمارة لا ينال، وتؤكد له أن الألقاب ليست إلا ثياباً تخفى تحتها الرجال، وأن قلب المرء لا يعلو به أيّ لقب أو مال، وترجو الوصال وإلا فستكون عرضة للعذاب المضني.

ثم تكون في محادثة مع خادمتها جوليا، تحدثها كيف أن السر يقض مضجعها، وأن تبقى في انتظار كلمة من أمير قلبها، وتخشى عواقب الحب وحواجز الواقع، وهي التي تجد نفسها أسيرة جماله وسحره وتميزه، في الوقت الذي يكون قد عشقها من دون أن يعرف أنها هي تلك التي تراسله، وتلك الحلقة المفقودة في العلاقة تضفي التشويق على المسرحية، وتبقي الشخصيات مكتوية بلظى عشقها المتأجج.

ويشار إلى أن إسكندرة كانت من الداعيات لإنصاف المرأة وحصولها على حقوقها، نراها تكتب في مجلتها "أنيس الجليس" مطالبة الحكومة حينها بضرورة إنصاف النساء وعدم معاملتهن بطريقة مجحفة تنال من إنسانيتهن. وفي مقال آخر تكتب عن أهمية الفن والكتابة والتأليف في الحياة، تقول إن لفنّ الروايات التمثيلية تمام الفائدة الأدبية، إذا أنكرت علاقته بالفائدة المادية، وهو أن الشاعر أو الكاتب لا تؤهّله حالاته الدنيوية لأن يتعرض لكل شيء، ويكتب في كل فن، فقد تكون له أفكارٌ ومعانٍ سامية في مواضيع حياتية مختلفة، ولكنّه لا يتّفق له إظهارها في أثناء حياته، فإذا لم يُودِعها الرواية ضاعت معه.

وكانت تؤكد في كتابتها، وبنظرة استشرافية حينها، أن فن الروايات التمثيلية

> تدور أحداث المسرحية حول عشق إيميليا لأمير إسبانيا، الذي رأته مرة واحدة فوقعت في حبه، ومن ثم أرسلت له مع خادمها خطابا موقعا باسمها، تعترف فيه بحبها له. فيرد عليها برسالة قصيرة قائلا «ليس له عندي جواب»، ذاك الرد الذي سبب لإيميليا أذى وكان نكبة عليها

قد حسّن الآداب كثيرًا وأكثر فروعها، وأوجد فيها فنونًا لم تكن تتسع له وحدها، بحيث كان هذا الفن كحياة جديدة جاءت للآداب؛ لأن النظم والإنشاء في طرقهما المعروفة، قد ملّهما الشعراء والكُتّاب، وأمّا الروايات فلا يملها أحد.

يعتبر نص "أمانة الحب" إضافة للمكتبة المسرحية التراثية العربية وتوثيقاً لتاريخ التأليف المسرحي العربي في نهاية القرن التاسع عشر، الذي حمل بذور تنوير لاحق، ويدل على تقدم المرأة العربية ومغامرتها في الكتابة والتأليف، سواء كان في المجال الصحافي أو في المجال الأدبي والمسرحي.

رف الكتب

أعداء الغرب

❏ جديد ألكسندر ديل فال أستاذ العلاقات الدولية والجغرافيا السياسية كتاب بعنوان "أعداء الغرب الحق"، يدين فيه هو أيضا الشمولية الإسلامية وانحراف تركيا "النيوعثمانية"، ويبين أنه آن الأوان كي تغير بلدان حلف الناتو "حبكتها الإعلامية" الموروثة عن الحرب الباردة، والتي كانت ترى في روسيا العدوّ الأكبر، وفي بعض البلدان المشرقية السنية (المملكة السعودية، قطر، الكويت، باكستان، تركيا) أصدقاء والحال أنها، تعمل بالتعاون مع الإخوان المسلمين ومنظمة التعاون الإسلامي على التوسع عبر العالم، وإضعاف قيم المجتمعات المنفتحة تحت غطاء الدفاع عن الدين. وبعد الكشف عن استراتيجيات الإسلاميين وأهدافهم الحربية، يوصي الكاتب بضرورة معرفة العدو وتهديده، من أجل إعادة النظر في التحالفات الاستراتيجية، وتحديد العدو للتصدي له. فالأولوية في نظره هي الدفاع عن الوطن قبل إعطاء دروس في حقوق الإنسان لبقية العالم.

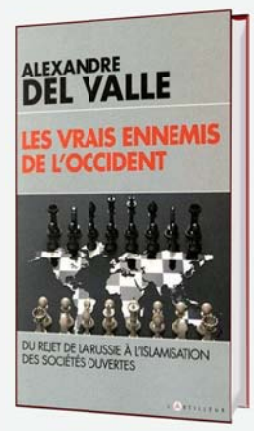

عودة القتلة

❏ يعتبر دفيد تومسون، مراسل إذاعة فرنسا الدولية، من الصحافيين الميدانيين القلائل الذين واكبوا عن كثب ثورات الربيع العربي، والحروب التي تلتها، وخالطوا عددا من الشبان المجندين للحرب في العراق وسوريا، وكتبوا عنهم. وبعد "الفرنسيون الجهاديون" الصادر منذ عامين، نشر تومسون كتابا جديدا بعنوان "العائدون"، عن المجندين الذين عادوا من أرض المعركة إلى فرنسا، وهم قلة إلى حدّ الآن، فهو يعرفهم، ويعرف مسارهم منذ أن غادروا البلاد عام 2012 ملتحقين بالجماعات الجهادية. ويصوّر لنا شبانا يلتقون في بعض الملامح ويختلفون في بعضها الآخر. منهم المتقزز من عنف النزاع في سوريا، ومنهم المستاء من تجربته، دون أن يندم أو يتوب. وإذا كان من بينهم من يواجه أزمة نفسية حادة، فإن من بينهم أيضا من ينتظر خروجه من السجن كي يقوم بعمليات إرهابية على الأرض الفرنسية.

الهوية المسيحية لمقاومة التطرف الإسلامي

❏ أصدر فرنسوا فيّون مرشّح اليمين للانتخابات الرئاسية المقبلة في فرنسا كتابا بعنوان "النصر على الشمولية الإسلامية"، يتمثل فيه قولة كليمنصو في المجال السياسي "علينا أن نعرف ما نريد. إذا عرفناه، علينا أن نملك الشجاعة لقوله. وإذا قلناه، فعلينا أن نملك الشجاعة لفعله". ولكنه لا يلتزم الموضوعية بل يضخّم الواقع لاستمالة أصوات الناخبين، فيزعم أن فرنسا تشهد غزوا إسلاميا داميا، يهدد بقيام حرب عالمية ثالثة، ولا يتورع عن الإعلان عن مسيحيته، في بلد علماني جعل من العقيدة مسألة خاصة، لا يجوز استعمالها في المعارك السياسية. والثابت أن الرجل، أمام اعتراض شرائح عريضة على برنامجه الانتخابي المفرط في الليبرالية، ليس له ما يستدر به القواعد الجماهيرية غير تهويل الخطر الإسلامي، واستثارة "الهوية المسيحية".

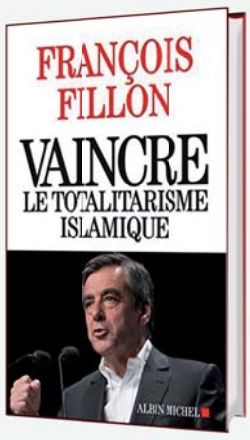

هل صدام الحضارات إعلان حرب على الإسلام

إعادة قراءة لأطروحة صاموئيل هانتنغتون

نجيب جورج عوض
كاتب من سوريا

❑ لم يحظ كتاب هانتنغتون "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي الجديد" حين نُشرَ لأول مرة أواخر القرن الماضي باهتمام واسع، كما قد يظن البعض، إذ لم تطلع عليه شريحة كبيرة من القراء خارج الإطار الأكاديمي والثقافي الضيق، فلاقت أطروحته بعض النقد والتحليل من حفنة من المفكرين والكتاب في الشرق والغرب.

مع مطلع القرن الحالي، وترافقاً مع الخطاب الديماغوجي الصدامي لجورج دبليو بوش رداً على أحداث 11 أيلول، والتي وصفها الرئيس المذكور ببداية صدام تاريخي جديد بين الخير والشر، بين الغرب والباقين، "من معنا ومن ضدنا"، عادت أطروحة هانتنغتون مجدداً إلى دائرة الضوء بزخم أقوى من السابق. وبدأت تحظى باهتمام متعدد الأطراف، خاصة في الشرق الأوسط. منذ بضع سنوات، ترجمت دار الساقي كتاب هانتنغتون للغة العربية متيحةً لأكثر من 250 مليون عربي فرصة قراءته. وقبل وصول الكتاب للأسواق العربية كانت عبارة "صدام الحضارات" واسم هانتنغتون قد سبقاه إلى المنطقة وصارا على كل لسان. لم تعد تخلو مقالة أو بحث حول السياسة بعد 11 أيلول من تلميح صريح أو مموّه يندد فيه بالكاتب وبالكتاب. حتى أنه يمكن القول إنّ المفكرين والكتاب العرب أجمعوا على نقد حاد، بل وعنيف أحياناً، لأطروحة صدام الحضارات لأنها برأيهم أطروحة ضد الإسلام حصراً وتحديداً، لأنّ كاتب الكتاب، على حد زعمهم، يبشر صراحةً بحرب حضارية وسياسية ووجودية ضد العالم الإسلامي. يمكن بسهولة ملاحظة حظوة هذا الإجماع بالتأييد الشعبي في الشارع العربي، فما أكثر الذين يحيلونك إلى كتاب هانتنغتون كدليل على البغض والعداء والتعطش الغربي العارم للهيمنة على الإسلام ودحره من الوجود في العالم المعاصر.

بعد أن قادني هذا الإجماع لدراسة الكتاب -وقد قرأته بلغته الأصلية، الإنكليزية- وفحص منهجيته بشكل هادئ وغير متحيز وبعيد عن الغرائزية، صرتُ أتساءل هل يدعو هانتنغتون فعلاً الغرب إلى عداء وحرب ضد الإسلام؟ هل أطروحة الصدام الحضاري عظة أصولية تبشر بقرع طبول الحرب على الإسلام؟ وهل من المنصف اتهام الكاتب والكتاب بأنهما صنيعة الأنتلجنسيا الغربية التي تطمح لتسويق أطروحة تبريرية للسياسة الأميركية تعيدنا لعصر حروب صليبية بائدة، خاصة بعد أن ضرب الإرهاب أقوى دول الغرب والعالم في عقر دارها؟ قراءتي الشخصية للكتاب ودراستي لمنطلقاته الفلسفية تجعلني أقول إنّ العداء الغربي المزعوم لا يمكن إرجاعه إلى أطروحة كتاب "صدام الحضارات" تحديداً. وإن كانت الأوساط الحاكمة الأميركية تردد اليوم عبارات "صدام" و"الغرب والباقين" فهذا لا يدل على أنّ كتاب هانتنغتون هو النص المقدس الذي يستلهمون منه عقائدهم. وإذا كانوا يعتقدون أن الكتاب المذكور يدعم طروحاتهم فهم أيضاً مثل معظم المفكرين العرب، على خطأ. مشكلة طرح الكتاب لا تكمن في نوايا كاتبه ولا في أيّ عداء مزعوم للإسلام، بل في القاعدة المنطقية الناظّمة التي يؤسس عليها هانتنغتون نظريته.

العالم وحضاراته

يبدأ هانتنغتون الحديث في كتابه عن عالم اليوم واضعاً إياه في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وبداية عصر العولمة الجارف. فبعد أن كان العالم مقسماً إلى معسكرين رأسمالي وشيوعي، صار اليوم مقسماً إلى "نحن وهم". يخلص هانتنغتون من هذا إلى أن علينا، بشكل أساس، أن نتحدث اليوم عن "الغرب والباقين" (Huntington، The Clash of Civilizations، pp. 32–33). يؤسس هانتنغتون تلك الرؤية على فرضية أساسية تقول إننا "لا نعرف هويتنا إلا عندما نعرف ما لسنا إياه وغالباً حين نعرف من نعادي" (Huntington، p.21). لما هذه الفرضية وليس سواها؟ لأنّ ما يشكل العامل الأساسي للتكامل أو للصدام أو للتشرذم في عالم ما بعد الحرب الباردة، برأي هانتنغتون، هو الهويات الحضارية الموجودة فيه، وما يصنع السياسات الدولية السائدة هو طغيان العامل الحضاري إذ أنها سياسات مؤسسة على مقومات عرقية ومحكومة بعوامل التقارب الثقافي بين الشعوب وليس المصالح والمبادئ الأيديولوجية القديمة، الأمر الذي من شأنه أن يخرج مظاهر الاختلاف والتضاد بين حضارة وأخرى ويضعها على السطح ويسبقها على أي مظهرٍ آخر (نفسه، ص. 28).

لا شك أنّ العالم يعيش في فوضى كونية، إلا أنّ سببها ليس صراعات قومية وأيديولوجية، يحاجج هانتنغتون، بل صدامات بين جماعات دولتيه تنتمي لحضارات مختلفة (نفسه، ص.36). وبما أنّ تلك الحضارات مؤسَّسة بجوهرها على معتقدات دينية، فإن هذا يجعل من الدين من صلب العوامل التي تخلق التنافر في العالم المعاصر. الحضارة، إذن، هي تلك الـ"نحن" المبادئية التي نعرِّف بها ذاتنا في اختلافنا عن الـ"هم" الخاصة بمن ليسوا مثلنا (نفسه، ص.43 وما يليها). من هنا فإنه لا مجال لفهم عالم اليوم، برأي هانتنغتون، إلا من خلال استقراء خريطة حضارات العالم المعاصر في سياق اختلافها عن بعضها وعلى قاعدة وعيها لتضادها مع بعضها البعض على قاعدة أنّ "الشعوب تعرِّف نفسها (وتعرفها) بالاعتماد على اختلافها عن الآخرين في سياق معين" (نفسه، ص.67).

يقسم هانتنغتون العالم في بداية كتابه إلى الحضارات التالية: الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية، الأرثوذكسية (مركزها روسيا وهي استمرار للإرث البيزنطي)، الغربية، الأميركية اللاتينية وأخيراً الأفريقية (نفسه، ص.45–48). ويقدم في فصول كتابه اللاحقة قراءة تاريخية عن كل حضارة وصداماتها وعلاقاتها التاريخية مع الحضارات الأخرى؛ قبل أن يختم بالتنبؤ بالتحالفات المحتملة بين الحضارات وتلك غير المحتملة، مشدداً على أنّ معطيات نظام التطور التاريخي وحقائق الاستقراء العلمي تؤكد على أنّ أبرز صدام قادم هو الصدام بين الإسلام والغرب. القراءة المتأنية تبين لنا أن هانتنغتون لا يبشر بالصدام ولا يتعطش إليه شخصياً، إلا أنه يقترح أنّ الصدام محتوم تاريخياً لأنّ الطرف الأكثر تضاداً مع الإسلام، والأقدر بالتالي على دفع الإسلام لمعرفة الذات وتحقيقها في علاقة قوامها تضاد، هي الحضارة الغربية دون سواها. ما يغذي حتمية هذا الصدام، برأي هانتنغتون، هو عودة الدين للعب دور عضوي في تكوين وتوجيه الحراك الحضاريّ، لا في حضن الإسلام ولكن في ظهرانين الحضارة الغربية أيضاً. "العودة للمقدس هي رد الناس على رؤية العالم كفضاء أحادي مفرد،" يقول هانتنغتون (نفسه، ص.68). وفي عالم تسوده جهودٌ عارمة لعولمة الحضارات، يصبح تأثير حضارة على سواها مؤشراً على قوتها الذاتية (نفسه، ص.91)، وبالتالي مؤشراً على قوة وتفوق الخطاب الديني الذي يقف وراء تلك الحضارة ويشكل أحد أهم حواملها التقليدية والإرثية. يصبح

> هل يدعو هانتنغتون فعلا الغرب إلى عداء وحرب ضد الإسلام؟ هل أطروحة الصدام الحضاري عظة أصولية تبشر بقرع طبول الحرب على الإسلام؟ وهل من المنصف اتهام الكاتب والكتاب بأنهما صنيعة الأنتلجنسيا الغربية

الدين مقياس الرِفعَة أو الدنو في الصدام الحضاري.

لا يحصر هانتنغتون منطق الصدام الأنطولوجي الذي يخلق معرفة قوامها التضاد مع الآخر بحضارة واحدة أو اثنتين، بل يعتبره ناظماً لبنيان كل الحضارات على حد سواء. إلا أنّ بروز الصدام في إحدى الحضارات دون الأخرى يعود بتفسير هانتنغتون لما تملكه تلك الأولى من إمكانات سياسية، اقتصادية، عسكرية، تقنية وبشرية. قراءة ماضي تلك الحضارات يفتح أمامنا نافذة على مستقبلها ويجعلنا نمسك بزمام منظومة حراكها الداخلية والخارجية فيصبح توقُّع مآلها المستقبلي ممكناً بمنتهى اليسر. يجعلنا الحراك الحضاري الشمولي، كما يرى هانتنغتون، نؤكد على وجود ثوابت أساسية مرجعية في هوية كل حضارة وإدراك أن تلك الثوابت هي التي تجعل الصدام أمراً لا مفر منه "الغرور الغربي، التعصب الإسلامي، واليقينية الصينية" (نفسه، ص.183). تلك هي عناوين المستقبل، إذ ستنشأ كل أنواع الحروب من صدام تلك الحضارات الثلاث بسبب ثوابتها المذكورة (الغرور والتعصب واليقينية) وسيندر وجود الثقة والصداقة في العالم (نفسه، ص.207). يثبت الحراك التاريخي لهانتنغتون أنّ الصدام بين الإسلام والغرب ليس طارئاً أو ظرفياً خلقته خلافات بين الغرب وتيار إسلامي أصولي محدد. إنه صدام للغرب مع "الإسلام" بحدّ ذاته. الأمر مماثل من جانب الإسلام، فصدامه ليس مع أطراف معينة في الغرب بل مع "الغرب" بحد ذاته أيضاً (نفسه، ص.217–218). وهو يجزم أنّ خطاب الصدام موجود في الغرب كما هو موجود في الإسلام. كلاهما يعتقد بالصدام كما يثبت الحراك التاريخي المحتم لكلا الحضارتين. ويخلص هانتنغتون إلى أنّ تسليمنا بتلك المنظومة الأنطولوجية لحركة التاريخ يمكننا من استباق حدوث المستقبل الصدامي المحتم بكل يقين.

الصدام الحضاري والحتمية التاريخانية

يمكن وصف منهجية هانتنغتون في فهم الحراك الحضاري وأسس تشكل الهوية الحضارية بالمنهج السوسيولوجي التاريخاني بامتياز. وباعتقادي أنّ مشكلة الكتاب هي هذه المنهجية بالذات.

في حديثه عن الأيديولوجيا التاريخانية، يبيّن الفيلسوف المعاصر كارل بوبر أنّ أهم مشكلة في تلك الفلسفة هو أنها تتعمد أن تنكر جانب المعرفة المتأتية من مراقبة التطورات الحدثية الآنية للحاضر بأن تدفعنا لتبني منهج معرفي شمولي فوقي يعوِّل على قونَنة معطيات الماضي وفرض قوالب مؤدلجة على الحاضر مؤسسة على هذا الماضي وتعميمها على المستقبل (كارل بوبر، بؤس الأيديولوجيا، ص.60). من حيث المبدأ، لا مشكلة في استخلاص ماهية المجتمعات والتعرف عليها من خلال الإطلالة على حراكها التاريخي. حراك التاريخ عنصر أساسي في قوام المعرفة. إلا أنّ المشكلة المعرفية في التاريخانية تكمن في تنميط الحراك التاريخي لدرجة تجعل الباحث التاريخاني يعتقد بامتلاكه قدرة مرجعية جامعة مانعة على التنبؤ بتطورات الحراك على كافة مستوياته الماهوية، بل وقدرته على نظم قوانين كلية مؤسسة على نبوءاتٍ "واسعة النطاق" وبعيدة المدى "تقرر مسبقاً مآل الحراك وغاياته" (بوبر، ص.49 وما يليها).

في حديثه عن الصدام الحضاري، يقدم هانتنغتون الحضارات كأجسام مجتمعية ذات قوانين وأطر عامة نمطية وثابتة يؤسس عليها فهمه لكل حضارة ومستقبل حراكها الداخلي والخارجي المحتوم. كأنه يحاول لعب دور عالم الطبيعيات الذي تنحصر مهمته العلمية بتوصيف الواقع واستقراء الظواهر الطبيعية التي تتكرر بطبيعتها، نائياً بنفسه عن أي تحليل استنتاجي تقييمي. لا يمكن في الواقع إنكار محاولة هانتنغتون التوصيف وتجنب التقييم. ولذلك لا يمكن اتهامه بالتبشير الشخصي بحرب على الآخر. ولذلك لا يشكل كتابه خطاباً ضد حضارة معينة لصالح حضارة أخرى، وهو ليس بالهجوم المبطن على الإسلام أو على سواه. إلا أنني أعتقد أنّ نهجه التوصيفي لم يلتزم بقواعد التحليل الموضوعي الداخلية لأنه حاول لعب دور العالم الطبيعي في فضاء معرفي لا ينفع معه هذا الدور لأنه فضاء من طبيعة معرفية وماهوية مختلفة عن عالم الطبيعيات. مناهج البحث العلمي الطبيعي لا تنطبق على الفضاء المعرفي التاريخي والمجتمعي، فالطبيعيات لها قانون يتصف بنوع من الثبات والنمطية إلى حد ما، في حين النمطية أبعد ما يكون عن الحرَاك البشري والتاريخي. لذلك، المسألة ليست في مدى كفاءة هانتنغتون بل في مدى مشروعية استخدامه لمناهج معرفية في غير إطارها الصحيح. يذكّرنا كارل بوبر مصيباً بأنه من غير المجدي تطبيق منهجيات المعرفة السوسيو-تاريخانية بناء على افتراض أنها تنتج وصفاً استقرائياً يبرر الاعتقاد بنظام شمولي ثابت يفسر حراك الحضارات في كل زمان ومكان. المعرفة التاريخانية لا يمكن أن تكون وضعية وصفية لأنها تركز على الغايات والمعاني وليس على العلل والمسببات (نفسه، ص.31). كما أنّ النظرة العمومية التي تتقصّى مراقبة الظاهرة من خارجها، من خلال نسق تطوري عام يحكمها، لا تمثل نظرة علمية إلى جماعة تعيش في التاريخ حيث ديناميكية الحياة تتغير بشكل معقّد غير نمطي أغلب الأحيان. "الكليات بمعنى مجموع الصفات والعلاقات لا تصلح موضوعاً للدراسة العلمية ولا يمكن أن تكون موضوعاً لأيّ عمل آخر كالتحكم فيها أو إعادة تركيبها" (نفسه، ص.92).

فات هانتنغتون، برأيي، الانتباه لتنوع الأطياف الماهوية التي تشكل البشر خارج حدود الإطار الحضاري الجمعي المتوارث في كل حضارة على حدة. فهو تحدث مثلاً عن الإسلام في الشرق ووصف الإنسان المسلم بناء على فهم كلّي افتراضي استقاه من قراءة ثابتة لتاريخ الإسلام. ولكن، ماذا عن الإسلام في الغرب؟ هل تنطبق عليه نفس المنظومة؟ ملايين من المسلمين ولدوا لعائلات مسلمة تعيش في الغرب ولا تعرف الشرق ولم تر الفضاء الإسلامي الشرقي يوماً. عاشوا في بيوت يدين أهلها بالإسلام، إلا أنهم نموا وترعرعوا في مجتمعات غير مسلمة بل غربية. هم مسلمون غربيون لا ينتمون للفضاء الحضاري الإسلامي الناظم ولا ينتمون أيضاً للفضاء الحضاري الغربي مائة بالمائة.

الإقامة في السؤال

عبدالغني فوزي
شاعر وكاتب من المغرب

❑ ما الذي يدفع للقيام بحوار ما، أعني الحوار الأدبي؟ ما هي خلفياته من الجانبين: المحاور والمبدع؟ ولأيّ غاية أو غايات؟ أسئلة أطرحها على نفسي كلما أردت القيام بحوار ما مع الكتاب أساسا. أعيد طرحها عبر هذا المقام، لأثير سؤال الحوار فقط، وإذا ضاقت السبل والصدور، فإني أطرحه على نفسي، ولا ألزم به أيّ محاور أرضا أو سماء.

لا ينكر أحد أن الحوار مع المبدعين، يعتبر من أساسيات الكتابة نفسها باعتبارها تقدم إضاءات مختلفة، منها على سبيل التمثيل: علاقة الكاتب بالنوع الذي يكتب ضمنه كطريقة ورؤيا للذات والعالم. وعلاقة الكاتب بقنوات تصريف الفعل الإبداعي من كتاب ومؤسسة، بما فيها المؤسسة الأدبية، هذا فضلا عن علاقة الكاتب بالعلائق التي يثيرها الأدب هنا والآن. بهذا، فالحوار لا يقدّم فقط كلمة الكاتب، بل بصمة المحاور من خلال زاوية نظر ما، تقتضي هندسة الأسئلة والتي ليست لدفع الأديب ليتحدث؛ بل لوضعه أمام نفسه في المرآة التي تقتضي الفكرة والرأي الهادئ.

يغلب ظني، أن الحوارات من أصعب أشكال الكتابة أولا، فطرح الأسئلة يقتضي الإحاطة بتجربة الكاتب وتفاعلاتها المختلفة والإصغاء إلى ما يعتمل فيها على كافة الجوانب. فالحوارات الأدبية ليست مناسباتية أو آنية، بقدر ما ينبغي أن تكون مفتوحة على المستقبل، تقدم إضاءات المبدع، فالحوار بهذا المعنى، يدفعه ليتحدث عمّا يكتب ويتأمل بدوره في مفاصل تجربته، ليقدمها للقارئ كشهادات وآليات يمكن اعتمادها كمساعد ومؤنس للولوج لعتمة النص.

في هذا السياق، أجريت مجموعة من الحوارات وعرفت من خلالها الكثير، فوضع إطار ملائم للحوار لكي ينتسب للمرحلة وللثقافة، ليس بالأمر الهين كما ينظر ويمارس الكثير؛ لأن المبدع ليس سلعة ينبغي عرضها والطواف بها، بل إبداعا ومواقف وحالات وكمونا أيضا. وقليلة هي الحوارات التي تدفع المبدع، ليتدفق لبسط أفكار، قد تتطور إلى آراء أو قناعات..

وجميل هنا أن أضع أداة الحوار للنقاش في تداخل بين الذاتي والموضوعي معكم، دون تكتّم على شيء ما. وكم هي جميلة تلك الكلمات المرفوقة بالحوارات التي قمت بها من طرائف وأسرار.. والتي أحتفظ بها في سرير قلبي الذي يسع كل الأحبة. صحبة تجعلك تتوغل أكثر في الحوار كأداة لها عمقها، وليس أسئلة مصفوفة في برودة تقتضي إسعافا حراريا. في هذه الحالة، تكون معرفة الحوار وليدة بحث ما، قد تجعل منه مرجعا يؤخذ، ورهانا يرفع، ورأيا يناقش، لخلق حراك مرغوب فيه. ضمن هذه الصورة للحوار الفعال، ظلت بعض الأقوال عالقة وأنا أستحضر الحوارات التي أجريتها لحد الآن، أذكر الكلام الذي قاله القاص أحمد بوزفور حول التجريب والقصة القصيرة جدا، والشهادة التي أدلى بها الشاعر أحمد بلحاج آية وارهام حول الشعر المغربي المعاصر والتجربة الصوفية، والكلام الذي أدلى به الشاعر إدريس علوش حول قصيدة النثر وحراس القصيدة.. طبعا وحوارات أخرى دقيقة وعميقة أجرتها ثلة من الأسماء تسعى لأن تخلق إعلاما ثقافيا مهما كان الأمر، حوارات خلقت تلك السباحة الممكنة في الثقافة المغربية والعربية الحديثة. وعليه فالحوار في تقديري ينتزع في لحظة ما، كوقفة تأمل في الزمان والمكان. لكن غالبا ما ترمي هذه الحوارات حجرها الكريم في بركة آسنة؛ ولا أحد يأبه لحرارة رأي ولتأمل هادئ يمكن أن يخلق بعض الانعطافات.

فالعمليات التي تقوم بها الآن بعض الوجوه الجميلة، من حوارات وملفات ونقد؛ هي في تقديري أشكال عديدة لتقديم العمل الأدبي للقراء، والإنصات للمبدع وهو يحدث نفسه ومكتوبه على مرأى من العالم. وهي عمليات تطرح أكثر من سؤال حول المؤسسة الثقافية والعمل الجماعي الذي بإمكانه توثيق تلك الحوارات، ومنحها الطابع العلمي المتداول.

على أي حال، ومهما كانت الحوارات، فإنها على قدر من الأهمية للإقامة في السؤال الذي بإمكانه أن يجدد الحوار نفسه كآلية أدبية، ينبغي أن تستند على حقيقة الأدب أولا، وليس على شيء آخر دون قوة رمزية وهواء أصلي.

المسرح مابعد الحداثي

خلخلة القناعات وتعليق المعنى

عواد علي
كاتب من العراق

مشهد من عرض «أوراق الحب لمجد القصص»

❏ رغم أن أعمال تيار مابعد الحداثة، في الفنون بشكل عام، تراوغ محاولات التصنيف والتحديد دائماً، فإن المسرح مابعد الحداثي هو، ببساطة شديدة، ذلك المسرح الذي يقوم على خلخلة القناعات، وتقويض القواعد والفرضيات العقلانية التي طرحتها الحداثة، واستحالة تحديد المعنى، والتلاعب الواعي بالصور الخيالية، وأنماط تصوير الواقع، وبالرموز والمعاني، واستخدام فن الكولاج، وتدمير استقلالية العرض المسرحي. وقد ظهر بتأثير من أساليب الفن، أو التصميم المعماري مابعد الحداثي، وسمات "المفارقة" "والدلالات المتناقضة" في السرد الروائي، وتقنياته التي كسرت الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية، وبين التاريخ والرواية، وكذلك من نظرية رقص مابعد الحداثة وتجاربه التي تطورت في فترة ستينات القرن الماضي.

لكن بعض نقاد المسرح في الغرب، وخاصةً باتريس بافيس، يرى أن مفهوم "المسرح مابعد الحداثي" مفهوم غامض، فاقد الذاكرة، سريع الزوال، يتسم بعدد من النزعات، أبرزها:

● نزعة اللاتسييس: إن مابعد الحداثة تستوي في نظر بعضهم بلاتسييس الفن، وغياب منظور تاريخي، وعودة لقوة المحافظين الجدد الذين يرحبون بتطوير العلم الحديث مادام هذا يتخطى مداه ليحرز تقدماً تقنياً ونمواً رأسمالياً، وينصحون بسياسة نزع الفتيل من المضمون المتفجر الخاص بحداثة ثقافية، أو إبقاء السياسة بعيدة ما أمكن عن متطلبات التبرير الأخلاقي-العلمي.

● نزعة الإحكام والشمولية: إن التحدي في وجه العمل الفني، كشمولية، لم يصبح نصيراً لمابعد الحداثة، وقد لاحظت نظرية بريشت في المسرح الملحمي أنه "ليس ثمة ما هو أصعب من قطع عادة معاملة عرض ككل"، لكن هذا التفكيك لا يمكن أن يتحقق إلا عندما يصبح المرء معتاداً على إعادة مركز العمل وإكماله ووضعه في وهم الشمولية.

● نزعة إفساد الممارسة بالنظرية: لكي يجري تذوّق العرض المسرحي بافتراض أنه لا يمكن استيعابه أو تفسيره، لا بد من فهم طريقة أدائه لوظيفته، وهكذا كانت الشخصية المجردة والمبدئية والمنهجية لكثير من العروض، أو التمييز بين أداة الإنتاج والتلقي، وبين النشاط التأويلي الذي يقوم به المتلقي. إن فن مابعد الحداثة يستخدم ويعيد استثمار النظرية في إنتاج المعنى في كل مكان وكل لحظة في الإخراج، ويصبح النص والإخراج العمود الفقري في الممارسة الدالة، ويشقان سلسلةً من المسارات تتناقض ويتقاطع بعضها مع بعض، ثم تنفصل مرة أخرى رافضة دلالةً شاملةً أو مركزيةً.

وبناءً على ذلك فإن مسرح مابعد الحداثة، حسب بافيس، يرفع النظرية إلى مرتبة النشاط العابث، ويقترح القدرة على إعادة تمثيل الماضي بدلاً من التظاهر بإعادة خلقه وامتصاصه كميراث وحيد. وفي ضوء هذه النزعات يمكن اعتبار الفرق بين الحداثة ومابعد الحداثة المسرحية كما يأتي: لم تعد مابعد الحداثة تشعر بالحاجة إلى إنكار أي دراماتورجيا، أو رؤية عالم (كنقيض لمسرح العبث مثلاً)، إنها تعطي لنفسها مهمّة إحداث تفكيكها الخاص كطريقة لتجسيد نفسها لا في تراث شكلي أو موضوعي، بل في وعي ذاتي متأمل للنفس، ومن ثم بأدائها لوظيفتها كما لو أن كل الأشكال والمضامين قد فقدت أهميتها بالنظر إلى الوعي بالأداء الوظيفي والتلفظ. أما العلاقة بين مسرح مابعد الحداثة والميراث الكلاسيكي فإنها تمضي، ليس عن طريق التكرار أو رفض المضمون، بل من خلال ابتكار نوع من العلاقة التي يمكن مقارنتها بذاكرة كومبيوتر.

من أبرز أشكال المسرح مابعد الحداثي ما اصطلح عليه بـ"المسرح مابعد الدرامي"، في منحاه العام، وتفرعاته العديدة مثل "مسرح الهيستيريا الوجودي" الذي أسسه ريتشارد فورمان في نيويورك، وهدفه مسرحة عمليات التفكير في مجموعة من الصور عالية التعقيد لإنتاج مسرح تجريدي يقوم المشاهد فيه بممارسة الاستغراق الذهني وسط هيستيريا وجودية تطلقها الصور المتلاحقة، في حين يقف الممثلون مجرد متحدثين خلف إطارات لإيصال الأفكار! وكذلك أعمال زميله روبرت ويلسون التي تميزت بكونها خالية من أيّ بناء سردي، ومفتقدة إلى أيّ نقطة يمكن اعتبارها بداية أو نهاية فعلاً أو ردة فعل، شيئاً من خطاب مكتوب أو شفاهي.

إن هذا الشكل المسرحي ينهض على التشظي والتنافر والتقويض انطلاقاً من مفهوم جاك دريدا للطريقة التي تعمل بها اللغة، ولوظائف العلامات ونسق عملها (عبر علاقات الاختلاف والإرجاء التي يستحيل معها تحديد معنى الدوال بصورة نهائية). وهو أيضا وليد التفتت الاجتماعي للمجتمعات المعاصرة، والتشابك العالمي للأسواق ووسائل الإعلام، حسب توصيف الفيلسوف الفرنسي ليوتار للوضع مابعد الحداثي.

لقد نظّر لمفهوم "المسرح مابعد الدرامي" الباحث والناقد المسرحي الألماني هانز- تيز ليمان (أستاذ الدراسات المسرحية في جامعة غوته بفرانكفورت) عام 1999 في كتاب له بالعنوان نفسه لخّص فيه عدداً من الخصائص والسمات الأسلوبية التي ميزت المسرح الطليعي منذ أواخر الستينات من القرن الماضي. ورغم أن المفهوم ليس جديداً بشكل جذري (إذ أن المسرحي الأميركي ريتشارد شيشنر استخدم المصطلح أول مرة عام 1970 لوصف الأحداث)، فإن ليمان طوره ليصبح نظريةً شاملةً.

تجارب عالمية

منذ بداية ثمانينات القرن الماضي ظهرت عروض مسرحية تدور في فلك النماذج الفنية التي أتت بها مابعد الحداثة، مثل: العروض التي قدمها المخرج والكاتب الكندي (الصيني الأصل) بنج تشونج (1946 –) في الولايات المتحدة الأميركية، والتي اتسمت بالتنافر والتشظي، وتوظيف وسائط فنية متعددة تطرح كل واحدة منها قضية منفصلة. وعروض المخرجة الأميركية اليزابيث ليكومبت (1944) مع فرقتها "ووستر"، ابتداءً من عام 1978، التي جمعت بين عناصر، صوتية وبصرية، شديدة الاختلاف والتباين، مستقاة من مصادر متنوعة (أعمال درامية، وأفلام سينمائية) في كولاج مسرحي مثير، يدمر أفق التوقعات المعتاد. والعروض الأخيرة للفنانة الأميركية جوان جوناس (1936–)، التي تتناول قصصاً مألوفة، وأساليب وأنواعاً فنية معروفة، وتوظّف عدداً من الوسائل المتنوعة بطريقة تبدو وكأنها تتعمد تدمير قدرة هذه الوسائل والأساليب على الانتظام والتآلف في وحدة فنية كلية.

نحن والمسرح مابعد الحداثي

شهدت الثقافة المسرحية العربية في السنوات الأخيرة سجالاً فكرياً حول مفهوم "مابعد الحداثة" ومرجعياتها بشكل عام في المسرح، والمظاهر والرؤى التي أفرزتها تجاربها في المسرح الغربي، وعلاقتها بالتصوّرات الفلسفية والأحداث والتحوّلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشتها المجتمعات الغربية، والتيارات الفنية التي تنضوي تحتها، وجذورها في تجارب بعض المسرحيين المتمردين وتنظيراتهم. وقد نظم مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، في سياق هذا السجال، ندوة رئيسة عام 2004 بعنوان "المسرح في زمن مابعد الحداثة". ومن بين الآراء والتصورات التي يستند إليها ذلك السجال:

1 – إن مصطلح "مابعد الحداثة" لا يوجد أكثر غرابة وفوضى واضطراباً وتشويشاً وضلالاً وغموضاً منه في تاريخ الحركة الفنية والأدبية العالمية، والدليل على ذلك، حسب أصحاب هذا التصور، كثرة المسمّيات التي أطلقت عليه، مثل: "مجتمع الاستعراض" طبقاً لجي ديبور، و"المجتمع الاستهلاكي"، كما وصفه هنري لوفيفر، و"مجتمع مابعد الصناعي"، الذي صكه دانييل بل، و"ما بعد الاقتصادي"، حسب هيرمان كاهن، و"مابعد المادي"، طبقاً لرونالد انجلهارت. لكن هذه المسميات التي يستشهد بها هؤلاء المسرحيون هي لمفكرين سوسيولوجيين واقتصاديين، لا لمنظرين أو باحثين مسرحيين، حاولوا تخطي مفاهيم علم اجتماع الحداثة ونظرياته، وقاموا بتأويل أعمال ماركس، وتكريس التوجه الكوني (العولمي)، والإفادة من ثورة المعلوماتية، وبشّروا بمجتمع خالٍ من الطبقات والثقافات المهيمنة (مجتمع الموجة الثالثة)، وبنهاية الأيديولوجيات الكبرى.

2 – إن الحداثة نوع من الشكوكية تجاه ما وراء السرد، إذ تضع في الصدارة ما هو غير صالح للتقديم في التقديم نفسه، ويوضع الفنان أو الكاتب المابعد حداثي في موقع الفيلسوف، فالنص الذي يكتبه، والعمل الذي ينتجه لا يكونان محكومين، أساساً، بقواعد مسبقة، ولا يمكن أن يحكم عليهما على وفق حكم معين.

ويتسم هذا التصور بكونه تصوراً عاماً وبدهياً لطبيعة العمل المسرحي مابعد الحداثي، من دون أن يوضح كيفية خرقه للقواعد المسرحية المتعارف عليها. وإذا كانت تلك ميزته الأساسية، فإن عشرات الأعمال الفنية التي تصنف ضمن حركة الحداثة قد فعلت ذلك منذ أكثر من نصف قرن.

3 – إن المسرح مابعد الحداثي له تاريخ صلاحية محدد، فهو يتنكر للمسرحيات الكلاسيكية، ويتميز بكونه ضد المعنى، ومن أهم سماته: "الكولاج"، و"الباروديّ"، و"المحاكاة التهكمية"، وإلغاء الفواصل بين الثقافة العليا وثقافة الجماهير وخلط فنونهما معاً، ويركز على ثقافة تتسم بعدم التماسك والتشظي حين يردد مريدوه أن العالم بلا معنى، وأنه مشتت ومتجزئ. وعلى النقيض من ذلك يعد المسرح الكلاسيكي مسرحاً خالداً، لا تنتهي صلاحيته، ويفصل بين الثقافة الرفيعة والثقافة المنحطة.

ومن غير أن ننحاز إلى المسرح مابعد الحداثي يمكن الرد على أصحاب هذا التصور الأخير بملاحظتين أساسيتين أولاهما: أنهم يتناسون أن الكثير من النصوص الكلاسيكية نجحت في العروض المسرحية المعاصرة بفضل القراءات الجديدة لها، سواء المتشظية أو غير المتشظية، والرؤى الإخراجية الحداثية، أو مابعد الحداثية التي صاغتها، والأنماط المختلفة لتلقيها، ومن ثم فإن تلك النصوص اكتسبت صلاحيةً جديدةً بفعل إعادة إنتاجها بوصفها مواد أولية، أو خامات قابلة لاكتساب خصائص مغايرة لطبيعتها الأولى في المختبرات والمشاغل الإخراجية، وفعاليات القراءة والتلقي. أما الملاحظة الثانية فهي أن مصطلح "المعنى" عندهم يفتقر إلى الدقة، أو يشوبه اللبس، فمابعد الحداثة لا ترفض ما يوحي إليه الخطاب الأدبي أو الفني من مدلولات تنتجها إمكانيات التأويل، بل ترفض المدلول المركزي أو الشامل الذي يقترحه منتج الخطاب، وتحل محله عدداً لا نهائياً من المدلولات التي يشكّلها القارئ أو المتلقي، وتدعو إلى تعليق المعنى بدلاً من تحديده، وذلك لأن الخطاب الأدبي أو الفني، من وجهة نظرها، يشق، في ممارسته الدالة، سلسلة من المسارات تتناقض ويتقاطع بعضها مع بعض، ثم تنفصل مرة أخرى رافضة دلالةً قارةً أو مغلقةً.

> الثقافة المسرحية العربية شهدت في السنوات الأخيرة سجالا فكرياً حول مفهوم «مابعد الحداثة» ومرجعياتها بشكل عام في المسرح، والمظاهر والرؤى التي أفرزتها تجاربها في المسرح الغربي، وعلاقتها بالتصورات الفلسفية والأحداث والتحولات

تجارب عربية

قُدّمت في المسرح العربي تجارب عديدة يمكن إدراجها في سياق المسرح مابعد الحداثي، نذكر منها، تمثيلاً لا حصراً، بعض تجارب المخرج العراقي صلاح القصب، المعروفة بـ"مسرح الصورة"، مثل: (عزلة في الكرستال، الحلم الضوئي، وأحزان مهرج السيرك)، وعروض المخرج الأردني محمد بني هاني (أحلام مقيدة، الثقب الأسود، وسمفونية وحشية)، ومجموعة من تجارب المخرج البحريني عبدالله السعداوي مع فرقة الصواري (سكوريال، الكمامة، الرهائن، القربان، الكارثة، والساعة 12 ليلاً)، وبعض عروض المخرجة الأردنية مجد القصص، مثل (سجون، بلا عنوان، وأوراق الحب).

يُعد صلاح القصب رائداً في هذا الاتجاه، فتجاربه التي تابعناها منذ أوائل ثمانينات القرن الماضي تقوم على شبكة من التكوينات الجسدية، والأشكال الحركية والإيمائية والسينوغرافية المركبة، الغامضة، المصممة على وفق علاقات إيحائية متغيرة، تصاحبها إيقاعات صوتية بشرية مختلفة، كالتمتمات، والصرخات، والتأوهات، والهمهمات. وتستغني أحياناً عن الحوار استغناءً تاماً، أو تكتفي بالقليل الجوهري منه لإعلاء الجانب البصري في العرض. إن من أبرز ما تميزت به هذه التجارب:

1 – عدم ترابط الأفعال المسرحية، وتقاطع حلقاتها باستخدام أسلوب الهدم والبناء المتكرر للفعل، أو الحافز الواحد، بحيث لا تنمو الأفعال نمواً طبيعياً.

2 – التوكيد على أنماط السلوك التي يفرزها اللاشعور عند الشخصيات، لذا تبدو مفتتة، شعورياً ووجودياً، وعلامات قابلة للتكرار، والموت والانبعاث.

3 – ابتداء لوحات العرض من شكل فوضوي وقلق وملتبس وانتهائها إلى شكل منتظم ومستقر قابل للتأويل والاستنطاق.

4 – نزوع لوحات العرض إلى أن تكون حلماً متدفقاً يثير الدهشة بغرائبيته، وكشفه عن المسكوت عنه، والمطمور في داخل الإنسان.

الضيف الماليزي في الرياض

زكي الصدير
شاعر من السعودية

❏ سنوياً، علينا أن نسلّم لذوق اللجنة المنظمة في اختياراتها لضيف الشرف في معرض الرياض الدولي للكتاب دون أن نفهم الأسباب التي دفعتهم لهذا الاختيار مترقبين حضور الضيف بصورة لا تخلو من الريبة والاستغراب والدهشة. وبحسب ما أعلن عنه المنظمون فإن دولة ماليزيا ستكون ضيف الشرف في المعرض الذي سينطلق في الـ8 من شهر مارس المقبل وسيتواصل حتى الـ17 من نفس الشهر.

أحياناً يكون الضيف عربياً "المغرب نموذجاً عام 2013، وحينها لن تنتظر شيئاً من منظومة ثقافية متناسقة ضمن فضاء ثقافي واحد يعيد توليد وصناعة نفسه على الدوام، ولكن حين يكون الضيف خارج هذه المنظومة العربية فعلينا -كسعوديين وعرب- أن ننتظر الكثير، خصوصاً حين نحسن نوايانا بأنّ ضيوفنا سيأتون دون تدجين أو تصوّرات واشتراطات دبلوماسية مسبقة لما يجب أن يكونوا عليه كضيوف شرف في دولة لها ثقافتها المختلفة عنهم، و"يا غريب خليك أديب".

على مدى عشر سنوات مضت حلّت دول كثيرة ضيفة على المعرض دون أن يحسّ المثقف السعودي لها حساً، فهي تأتي ضمن مراسيم رسمية وتذهب بنفس الإيقاع مخلفة خبراً صحفياً يدلنا على أنهم كانوا هنا. فمن كان ليصدّق، على سبيل المثال، أن اليابان والبرازيل والسنغال والهند والسويد والمغرب وإسبانيا وجنوب أفريقيا واليونان كانوا ضيوفاً على المعرض من غير أن يمارس أحد من مثقفي هذه الدول حضوره الطبيعي فيه، لا سيما بعد ما يشاع سنوياً عن إحجام بعض المثقفين الضيوف عن الحضور نظراً لمؤاخذاتهم على بعض القضايا الحقوقية في المملكة.

لقد غابت الفلسفة عن اليونان العام الماضي، وهمّشت ذكرى مانديلا عن جنوب أفريقيا، ولم تحضر الموسيقى قبل ثلاث سنوات مع الإسبان، وتغيبت الثقافة الأسكندنافية الموسيقية والأدبية من على منصة السويد، كما لم تحضر تنوعات الديانات الإثنية في الهند، والتنوعات العرقية في السنغال، والفلوكلورات في البرازيل، والدقة في اليابان.

هذه المناسبة التي يترقبها المثقفون والأدباء والباحثون والناشرون وطلاب العلم والمعرفة وصناع النشر وجميع فئات المجتمع للتواصل مع الكتاب وعوالمه المختلفة والاتصال بالكتابة والمؤلفين، ومتابعة الفعاليات من محاضرات وندوات وورش عمل ومعارض متنوعة تأتي سنوياً مقلصة دورها بصورة مؤسفة لتتحول إلى مجرد فرصة لشراء الكتب من دكان كبير. فلا المبادرات السنوية المتمثلة في الداخل التي يزعجنا بها المنظمون تأتي بثمارها المرجوة، ولا ضيوفنا القادمون من الخارج يمارسون ثقافتهم المعروفين بها عالمياً.

أعرف أنه -حتى وإن رغب المنظمون في التغيير- فليس من السهولة بمكان تجاوز النمطية التقليدية المتمثلة في جماعة حركة الصحوة المتشددة في المملكة، والتي تحتج على حضور الكتاب فضلاً عن الفنون والثقافات الأخرى التي تعتبرها ثقافة تغريبية. فليس بعيداً عنا ما يحصل سنوياً من "غزوات" دينية على أجنحة المعرض، وكيف تتعامل معها الداخلية السعودية بجدية أمنية كبيرة، محاولة تحجيمها ضمن القانون.

هذا التيار المحافظ المتنامي يجعل من الصعب على المنظمين الحديث عن إدراج الفنون والموسيقى والسينما والفلسفة مع ضيوف المعرض. غير أن هذه المخاوف من التيار الإسلاموي في السعودية لم تعد عذراً بعد اليوم، خصوصاً وإن المملكة ترعى ضمن مشروعها في التحول الوطني 2030 هيئتين كبيرتين مهتمتين بالثقافة والترفيه. الأمر الذي يجعلنا أمام سؤال كبير عن دورهما في تغيير الواقع القائم، وعن مدى قدرتهم على التحوّل من دور المتفرّج لدور اللاعب الأساسي في المباراة التاريخية الكبيرة. وهذا الأمر بالطبع لن يتحقق إلا عبر التنسيق المستمر بين وزارة الثقافة والإعلام والهيئتين الوليدتين. هذا إن أرادوا فعلاً أن يكون لضيوف المعرض حضورهم الحقيقي الفاعل وأن يقدّموا ثقافتهم وفق اشتراطاتهم لا وفق اشتراطاتنا.

صيد الوجوه والحالات

عدسة عراقية تصطاد وجوه عاصمة الاتحاد الأوروبي

"وجوه من بروكسل" معرض فني أقيم في العاصمة البلجيكية بروكسل، للمصور والفنان العراقي المقيم في بلجيكا كريم إبراهيم، قدّم المعرض 24 لوحة فوتوغرافية تقوم على فكرة التعدد والتنوع، اختصر من خلالها كريم إبراهيم مشاهداته اليومية في عاصمة الاتحاد الأوروبي، "العرب" زارت المعرض وكان هذا التقرير.

عبدالله مكسور
كاتب من سوريا

تمتاز لقطة المصور العراقي كريم إبراهيم بالواقعية، فاللحظة التي تشدّ عدسته وتحفزها هي تلك التي تكون أكثر تلاحماً مع الواقع، فتراه يسعى لالتقاط التفاصيل مهما كانت غريبة ومثيرة، التفاصيل في مجموعة الصور التي يقدّمها تُشكّل مشروعَه الفني الذي تنوّع في الأعمدة التي يقوم عليها، فبدأ مع الطبيعة من خلال رحلاته المتكررة لمنطقة الأهوار في العراق، حيث سلّط الضوء على ملف التصحّر الذي بدأ يضرب في اتجاهات مختلفة المنطقة الأخصب في بلاد الرافدين، لينتقل خلال تلك الفترة إلى مصر حيث واكب في ميدان التحرير بالقاهرة، ثورة الخامس والعشرين من يناير لعام 2011، ولينقل بعدسته وقائع ظلّت راسخة في مخيّلته حتى الآن، وليقدّم كريم إبراهيم منذ عام تقريباً بالاشتراك مع مصورين آخرين في كاتدرائية مولنبيك في بروكسل لقطات مختلفة لأماكن العبادة في عاصمة المملكة البلجيكية، قبل أن يتجه مؤخراً إلى بغداد ضمن بعثة صحافية بلجيكية لتوثيق بغداد الراهنة في محاولة لاسترجاع بعض الألق الذي غاب عن أحياء العاصمة العراقية.

وجوه بروكسل

في معرضه المُقام حالياً في أحد ضواحي بروكسل، يقدّم إبراهيم لحظات من حياة أشخاص يعيشون في العاصمة التي تحتوي بين جنباتها ثقافات عديدة، إنها جوانب من حياة المهمّشين الذين يمارسون حياتَهُم بالاعتياد والروتين اليومي، لهذا امتازت الصور الفوتوغرافية التي عرضها كريم إبراهيم بالآنية الثابتة التي يُمكن تعميمها لاحتوائها على فكرة الاستمرار فيما تحمله من خصائص تُمثل التقاطع الايجابي بين الإنسان والمدينة التي يعيش بها، في قالب يقارب إعادة إنتاج الواقع من خلال إيقافه في لحظة غير متوقّعة وتقديمه لمتلق ارتبط بشكل أو بآخر بالفضاء المكاني للصورة.

الفضاء المكاني كان مرافقاً لتعابير الوجوه التي تبدو في مساحة ما جزءاً من المكان، تُشبهه ويشبهها مهماً اختلفت ردود أفعالها في الصور، شخصيات ثابتة في عالم متحرّك، أو لقطات ثابتة في محيط يتكوّن من دوائر مترابطة مع بعضها البعض، هكذا تغدو التقاطات كريم إبراهيم ثابتة ومتحركة في وقت واحد بحيث تكون متّصلة بما هو حسّي وعقلي وعاطفي معاً، الثباتُ يأتي من جمودها المطلق والحركة تنطلق في عقل المتلقي باعتباره عارفاً للتمازج المطلق الحادث بين الشخصيات والأمكنة في العاصمة بروكسل، لهذا أتت الصور المعروضة على شكل انتقالات مدروسة تارة واعتباطية تارة أخرى.

تنوع وتعدد

في تعليقه على المعرض قال الشاعر والروائي العراقي زهير كريم الجبوري لـ"العرب" إنّ "كريم إبراهيم حاول أن يقدم تأويلا لشخصيات واقعية جدا من حيث ارتباطها بالمكان، فأظهر الملامح بالشكل الذي يحرض المتلقي على قراءتها، تلك الملامح التي جاءت على هيئات مختلفة، خشنة، ناعمة، حزينة أو مبتهجة، كما قام بتوظيف المكان باعتباره خلفية وجدانية تحتوي شخصياته التي تميّزت في هذا المعرض بالبعد الوجداني الذي يكمن في وجوه تختصر حكايات عديدة"، ويتابع زهير قائلا "إنّ كريم اختار بروكسل ليقدّم من خلال الصور رؤيته الذاتية للمدينة عبر أفكار تتعلق بالتنوع في الملامح والتنوع في الأحاسيس"، لهذا يعتبر

> في معرضه المقام حالياً في أحد ضواحي بروكسل، يقدم إبراهيم لحظات من حياة أشخاص يعيشون في العاصمة التي تحتوي بين جنباتها ثقافات عديدة

زهير أن اللوحات الفوتوغرافية المعروضة قدّمت وظيفتها في إبراز قيمة الشخصية في لحظة معيّنة أو في سياق المكان بما يحمله من تاريخ ورمزية، بالإضافة إلى جوانب القبح والجمال بمفهومها الأخلاقي والفني أيضا.

عن تجربة المصور كريم إبراهيم يقول الشاعر العراقي المقيم في بلجيكا ماجد مطرود إنه تابع المصور منذ بداية مشواره، حيث قال "حرصَ كريم منذ بداياته وإلى اليوم على الهدوء التام، فهو -بحسب مطرود- يملك عيناً فاحصة تلتقط كل شيء، وهذا ما يظهر في صوره الأخيرة التي يقدّم فيها وجوهاً مختلفة ذات ملامح متنوعة في عاصمة تقوم أساساً على فكرة التعدّد، هذه الوجوه بما تحمله تنتظر من المشاهد أن يسمع صمتها بتركيز عال، اللغة هنا ليست مهمة فالأشخاص قادمون من أعراق وثقافات تتضح فيها فكرة الاختلاف، إلا أنّ هناك انسجاما كاملاً في ما بينها لبناء واقع أقرب إلى المثالية التي تقوم على مبدأ التسامح من خلال مجموعة منثورة من الصور المتنوعة التي تعتمد على البيئة الصامتة ضمن أحياء بروكسل وضواحيها"، ويتابع مطرود مبينا أنّ "كريم إبراهيم في الواقع لا يختلف إطلاقا عن الصور التي يقدّمها".

كريم ابراهيم المصور العراقي الذي يقيم في بلجيكا منذ ما يقارب أربعة عقود متتالية، وصل إلى بروكسل مع بداية الثمانينات من القرن الماضي، يجوب كل يوم شوارع بروكسل حاملاً كاميرته ملتقطاً كل ما يمكن التقاطه من لحظات تبقى تمثل الصورة الأخرى للمدينة، صورةٌ لا يحملها كسائح جاء لاكتشاف عاصمة الاتحاد الأوروبي بل يقدّمها ضمن وجبة مُشتهاة تمثل المدينة والتنوُّع الذي تقوم عليه كما يراها هو كريم إبراهيم.

الصورة الثابتة في العالم المتحرك

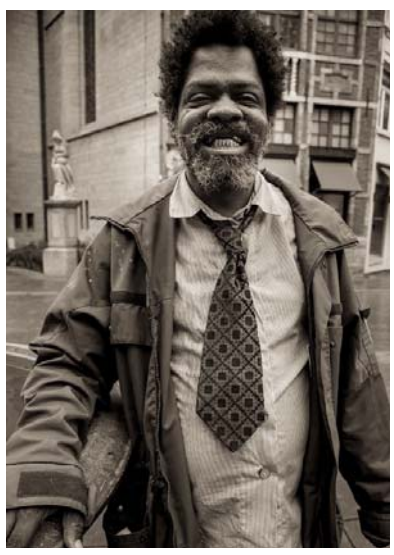

أثر العقل وتأثيره

علي لفته سعيد
كاتب من العراق

لا شيء بلا وجهين.. بمعنى لا شيء في الحياة بلا وجه إيجابيٍّ وآخر سلبيّ إلا بما هو مرتبطٌ بالذّات الإلهية التي هي خارج توصيف النسبية التي تتحكّم بالوجهين، سواء ما كان منه إنساناً أو حيواناً أو حتى نباتاً.. فكلّ شيءٍ فيه نسبٌ متفاوتة من الإيجابية أو السلبيّة.. ومن بينها العقل الذي تقع عليه مسؤولية التفكير لتحديد أولوية المراهنة على الجانب الإيجابي وتخليصه من قوّة الجانب السلبي وفق مبدأ إن الإيجاب هو الذي يسود الحياة.

ولكن العقل كفكرةٍ هو عقل الإنسان العاقل السويّ الذي يرى الجمال أكثر من القبح، ويرى الروح أكثر من الجسد، ويرى المحبة أكثر من الكراهية، ويرى الزرع أكثر من القلع، ويرى ما هو مفيدٌ له أكثر مما هو مضرٌّ له وللآخرين..

ولهذا يتميّز العقل بأنه يتعامل مع الفكرة كونها منطلقاً وإن كانت نسبية في تعريف الأشياء التي تحيط بالإنسان العاقل الذي لا يسمح بانفلات حالتين متضادتين مع فكرة العقل والعقلانية، وهما العاطفة الثقيلة والجنون الزائد، لأن ليس كلّ جنونٍ هو خارج العقل، إذا ما سلمنا أننا لا نقصدُ بالجنون ضياع العقل بالكامل وعدم المقدرة على الإمساك بالانفعالات العقلية والعاطفية.

ولهذا فإن العقل هو المنطقة الأرحب في التعامل الإنساني وهو ما يقول عن الذي يُمسك أعصابه وعن المحب وعن الذي يتصرّف بهدوء، وعن القادر على أن يكون إنساناً وسطاً وإنساناً فاهماً لواقعه.. إنه إنسانٌ عاقلٌ..

ولكن في الجانب الآخر يكون العقل في استخدامه ما ينبت زرعاً قاتلاً، بمعنى أن يستخدم العقل المفرط في الكثير من الأحيان لتنفيذ جريمة، ونرى أن هذا الإنسان الذي يخطّط هو إنسان عاقلٌ يمتلك مواهب محدّدة مثلما الذي يفكّر بإنتاج نصٍّ أدبيّ، يستخدم عقله في جلب فكرةٍ ومخيلةٍ لإنتاج واقع فنيٍّ..

ولكنّ الفرق بين الحالين أن الوعي الثقافي هو الذي يمكن أن يحدّد نوعية العقلنة في التصرف الإنساني، بمعنى أن الفكرة هنا لا تستجلب الوعي والثقافة إذا ما كان حامل العقلنة إنسانا يسعى للجمال وليس إلى الخراب، ويسعى إلى النفع وليس إلى الشخصنة المجرمة.. وهو ما ينعكس على السلطة كما يقول بعض المفكرين من أنه يتحوّل إلى سلطة قمعية.. فهذه العقلية التي تريد الوصول إلى السلطة تستخدم الوعي والثقافة والعاطفة في جلب مفاهيم الخلاص من الظلم والعبودية والاحتلال أو مفهوم الخدمة واحترام الإنسان أو مفهوم زيادة الإنتاج والوصول إلى مستوى الرفاهية المتعلّقة بحياة الإنسان أو المجتمع العموم.

> لكن العقل الذي يحرك الفكر وينتج فكرة تتعلق بالسلطة سرعان ما تتحول إلى نقمة وقوة قاتلة فتتحول تلك المفاهيم إلى الولاء والتضحية والتخويف والترغيب من أجل البقاء

لكنّ العقل الذي يحرّك الفكر وينتج فكرةً تتعلّق بالسلطة سرعان ما تتحوّل إلى نقمة وقوّة قاتلة فتتحوّل تلك المفاهيم إلى الولاءً والتضحيةً والتخويف والترغيب من أجل البقاء واستحسان الأغلاط التي تقع فيها السلطة على أنها أغلاطٌ طبيعيةٌ أو مهمةٌ بل حتى مقدسةٌ، إذا ما تمّ استغلال الدين.. فتبدو فكرة العقل وهيمنته أمام الفكر الذي يسود العالم اليوم من أنه نتاج العقل والعقل الثقافي تحديدا، لأنه مروّجٌ للوجهين الإيجابي أو السلبي وفق معطيات الولاء مرّةً أو الإيمان الحقيقي بالفكرة ثانياً، رغم أن الثانية هي الأحق في الدفاع عنها لأن الإيمان هو استخدام العقل بنسبية الفهم الخاص أمام الولاء الذي يستخدم العاطفة بنسبية تغييب العقل والانتباه للمصلحة الخاصة.. وإذا ما أردنا أن نكون واعين لأهمية العقل وفكرته التي تنطلق لبناء المجتمع، لا بد أن يكون التفعيل بالجانب الإيجابي، بمعنى أنه حان الوقت لكي يكون العقل هو صاحب نظرية الموافقة والتطابق مع الأفكار الأخرى ومحاورتها في حالة المعارضة والاختلاف وليس العاطفة التي تجعل من السائر بركابها متعصّباً، فينتج لنا أفكاراً سلبيةً تابعةً ومقبوضةً، فتكون قاتلةً في الكثير من الأحيان..

وهو ما يحصل اليوم في السلطة الدينية التي تحاول أن تغيّب العقل لتنتج فكراً سلبياً يؤمن به الكثيرون فينفذون ما تنتجه العقلية السلطوية الدينية.. وهو أمر لا يختصّ بدينٍ محدّد أو مذهب بل هو أمرٌ في كلّ الأديان التي تعتمد على أن العقل هنا في ما يخصّ الأفكار مسيّرٌ فيغيب الفعل الثقافي والعقلاني..

لذا فإن ما نراه أن العاقل الذي يفكّر بما حوله وهو غير داخل في متون الصراعات سواء منها القوّة الفكرية للسلطة كسلطة طاغية أو سلطة دينية يجد نفسه وحيداً لا يملكُ غير أن يروّج عن أفكاره بهمس مخافة أن يسمعه متعصّبٌ عاطفيٌّ أو أنهُ يتحدّث في وسط لا يؤثّر أو أنه متأثرٌ بصراعاته الداخلية، فتغيب السعادة في المنطقة التي غاب فيها العقل وذابت منه فكرة الوعي والثقافة.

المخرج الأسطورة الذي هز عرش سينما الأيديولوجيا

مهرجان روتردام يحتفي بيان نيمتش

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

يان نيمتش: أسطورة سينمائية حية

❑ كان من أهم "الأحداث" السينمائية في مهرجان روتردام السينمائي هذا العام، القسم المخصص لاستعراض التجربة السينمائية الرائدة للمخرج التشيكي يان نيمتش الذي رحل في مارس الماضي عن 79 عاما. وقد عرض المهرجان 20 فيلما هي معظم الأفلام التي أخرجها نيمتش، القصيرة والطويلة، كما أعاد تسليط الأضواء على دور هذا المخرج في حركة السينما الجديدة التشيكية في الستينات من القرن العشرين والتي كانت أولى حركات التجديد السينمائي في بلدان أوروبا الشرقية، والتي أعلنت تمردها على تقاليد مدرسة الواقعية الاشتراكية التي فرضها النظام فرضا على الأدب والفن.

بدأ نيمتش تمرده على الأشكال السائدة في السينما في أوروبا الشرقية عموما بفيلمه القصير "رغيف خبز" (1960)، ومضى بعد ذلك ليصبح أحد مؤسسي حركة السينما التشيكية الجديدة التي ستصبح جزءا من حركة ثقافية أكبر، شملت المسرح والأدب والشعر والفنون، كانت تسعى إلى التخلص من القيود المفروضة على أشكال التعبير والإبداع الفني والأدبي في تشيكوسلوفاكيا طبقا لتوجيهات الحزب الشيوعي الحاكم الذي كان ملتزما وقتها بتوجيهات موسكو الخاضعة للأسس العقائدية الجامدة التي وضعها أندريه زادانوف تحت قيادة ستالين.

كانت لحركة السينما الجديدة انعكاسات سياسية بلغت ذروتها في العام 1968 إبان ما عرف بـ"ربيع براغ"، الذي وصل إلى ذروته عندما أعلن ألكسندر دوبتشيك الأمين العام للحزب الشيوعي، اعتماد سياسة الاشتراكية ذات الوجه الإنساني، وأصدر قرارات تعكس الرغبة في تحقيق نوع من الانفتاح الديمقراطي يحفظ التجربة الاشتراكية نفسها، إلا أنه أشعل بذلك شرارة التدخل السوفييتي بالقوة المسلحة لقمع حركة التغيير الجديدة واحتلال العاصمة براغ والقبض على دوبتشيك وإلغاء كل ما أصدره من قرارات، لتبدأ حقبة سوداء في تاريخ البلاد سرعان ما شهدت هجرة معظم مخرجي السينما الجديدة إلى الغرب.

كان يان نيمتش الوحيد من بين السينمائيين الذين قاموا بتصوير الغزو السوفييتي للأراضي التشيكية، وقد كشفت اللقطات التي صورها لدخول قوات موسكو ودول حلف وارسو الأراضي التشيكية، عندما عرضت في التلفزيون وشاهدها نحو 600 مليون شخص في العالم، أن القوات السوفييتية لم تأت بدعوة من الحكومة كما زعمت موسكو وقتذاك. وقد استخدم نيمتش الكثير ممّا صوّره في فيلمه "معزوفة إلى براغ" (26 دقيقة) الذي يعرض مشاهد من حركة ربيع براغ التي سبقت الغزو السوفييتي، كما يصور الصدامات الدموية التي وقعت في الشوارع بين المدنيين والقوات السوفييتية.

ضمن التظاهرة الخاصة التي نظمها مهرجان روتردام عرضت أفلامه الأولى التي صنعت مجده، والتي قامت السلطات التشيكية بمنعها من العرض، ومن أهمها الفيلم التسجيلي "ذاكرة للحاضر" (1963)، و"جواهر الليل" (1964) وهو أول فيلم لفت الأنظار إلى موهبة نيمتش السينمائية، و"شهداء الغرام" (1967)، و"معزوفة لبراغ" (1968). كما عرض عددا من أفلامه التي أخرجها بعد عودته إلى بلاده من المهجر، مثل "منظر طبيعي لقلبي" (2004)، و"فتاة دينو فيراري" (2009).

السينما الجديدة

يعتبر كثير من المؤرخين أن حركة السينما التشيكية الجديدة تركت تأثيرا كبيرا مشابها لما تركته حركة الموجة الجديدة الفرنسية على السينما في العالم. وقد امتد تأثير السينما الجديدة في تشيكوسلوفاكيا إلى كل من بولندا والمجر ويوغسلافيا بل والاتحاد السوفييتي نفسه. وكان من أعلامها البارزين بيري مينزل (89 سنة) صاحب فيلم "قطارات تحت الحراسة المشددة" (1966) الذي حصل على جائزة أحسن فيلم أجنبي في مسابقة الأوسكار، وميلوش فورمان (84 سنة) صاحب فيلم "غراميات شقراء" (1965) و"النجدة يا رجال الإطفاء" (1967)، وقد هاجر فيما بعد إلى الولايات المتحدة حيث أخرج "طار فوق عش الوقواق" (1975)، و"أماديوس" (1984) و"الشعب ضد لاري فلينت" (1996). ومن أعلام الحركة أيضا المخرجة فيرا كيتلوفا (توفيت في 2014) صاحبة التحفة السينمائية الشهيرة "زهرات اللؤلؤ" (1966)، وإيفان باسر (83 سنة) الذي لجأ إلى الولايات المتحدة أيضا بعد دخول القوات السوفييتية إلى براغ عام 1968.

الحفل والضيوف

تأكد حضور نيمتش في المشهد السينمائي كمنشق سينمائي بارز عن النظام السائد، مع ظهور فيلمه "تقرير عن الحفل والضيوف" الذي اعتبر من أكثر الأفلام التشيكية نقدا للستالينية، بل وكانت الشخصية الرئيسية فيه ترمز إلى لينين نفسه. وقد عرض الفيلم عام 1966 أي قبل عامين من "ربيع براغ". وعندما شاهده الرئيس التشيكوسلوفاكي نوفوتني في عرض خاص، قفز من مقعده صارخا "يجب اعتقال هذا المخرج فورا". وقد فسّر الفيلم على أنه احتجاج على منع فيلم إيفالد شورم "شجاعة كل يوم" ووقف مخرجه عن العمل. لكن لم يتم اعتقال نيمتش اكتفاء بمنع فيلمه.

ظل الفيلم ممنوعا لمدة عامين بسبب ما فسره كثيرون على أنه يتضمن نقدا لاذعا للحزب الشيوعي ولكن بأسلوب نيمتش الخاص الذي لم يكن مألوفا في تلك الفترة. لكن الطريف أن نيمتش ظل بعد ذلك ينفي دائما أن يكون هدفه من الفيلم نقد الحزب أو الحكومة بل نقد الناس أنفسهم، الذين يكرسون بخوفهم النظام وجبروته.

يصوّر الفيلم مجموعة من المدعوين من وجهاء المجتمع يذهبون إلى حفل عشاء فخم مقام على ضفاف بحيرة وسط منظر طبيعي خلاب، ولكن المنطقة معزولة تماما عن العالم. وفجأة تحضر مجموعة من الأشخاص يقومون باعتقال الضيوف ويبدأون في استجوابهم، وعندما يبدي أحدهم اعتراضا ينكلون به، ثم يكتشفون غياب أحد المدعوين، فيحتجزون زوجته ويبدأون في البحث عنه في الظلام مستعينين بالكلاب البوليسية. ورغم أهمية شخصيات المدعوين وما يشي به منظرهم كونهم من أصحاب السلطة والنفوذ السياسي، إلا أنهم يبدون عديمي الحيلة أمام الذين يستجوبونهم (رمز الشرطة السرية). ويكشف الفيلم في سخرية، نقاط الضعف في شخصيات الضيوف وعجزهم عن المواجهة، كما يكشف الاهتمامات الاستهلاكية لزوجات المسؤولين، وتواطؤ المضيف الذي نظم الحفل مع القوة الدخيلة، ويسند نيمتش دور رئيس مجموعة الشرطة السرية إلى ممثل يشبه لينين، وإن كان نيمتش أوضح فيما بعد أنه لم يكن يقصد ذلك.

يستخدم نيمتش في فيلمه هذا اللقطات القريبة، والإضاءة الخافتة، والظلام أحيانا، ويجعل المناظر التي تدور في الداخل تبدو كما لو كانت داخل سجن، ويكثف الإحساس بالعبث في الفيلم من خلال ذلك الحوارات التي لا تكتمل، فالشخصيات تبدأ العبارات لكنها لا تكملها، ويستخدم نيمتش الكثير من الممثلين غير المحترفين في الفيلم، منهم المخرج إيفالد شورم نفسه الذي تعرض فيلمه "شجاعة كل يوم" للمنع في تلك الفترة، كما يستخدم كتابا وروائيين وموسيقيين في أدوار الضيوف.

حياة نيمتش

من أهم ما عرض ضمن تظاهرة روتردام، الفيلم الأخير للسينمائي الراحل وهو بعنوان "الذئب من شارع تكعيبة العنب الملكية" (2016) ويروي من خلاله قصة حياته بأسلوبه الذي يمزج بين الروائي والتسجيلي، الخيالي والسيريالي، كما يستخدم السخرية والمبالغات التي تصل حد الكاريكاتورية، كما يصور دوره كشاهد على دخول القوات السوفييتية إلى براغ في 1968.

لا يسير الفيلم في اتجاه سردي تقليدي، بل ينتقل عبر الأماكن المختلفة والأزمنة، بطريقة السرد والتداعيات الحرة، يقدم اعترافات، كما يكشف عن حقائق وتفاصيل لم تكن معروفة من قبل، ويظهر الممثل كارل روديس الذي يتقمص شخصية نيمتش في بداية الفيلم وعلى فترات أخرى، يقدم الأحداث ويعلق عليها بصوته، وفي باقي أجزاء الفيلم يقوم الممثل بيري مادل بأسلوبه الكوميدي، بدور نيمتش، يخوض مغامراته في عالم السينما ويعكس سعيه الدائم للحصول على حريته كمبدع، كما يروي طرفا من تجربته في المهجر ثم يصور الاحتفاء الرسمي به، من طرف كبار المسؤولين في الدولة وعلى رأسهم فاكلاف هافل بعد عودته إلى بلاده عام 1989.

محاكمة كافكا

يعتمد الفيلم على مجموعة قصص قصيرة كتبها نيمتش، يروي من خلالها تفاصيل حياته. وفي أحد المشاهد نرى نيمتش في طائرة يريد أن يسافر لإنجاز مشروع فيلم جديد في الغرب، لكن السلطات توقف الطائرة بعد إقلاعها وتأمر بعودتها إلى المطار لكي تعتقل نيمتش حيث يحملونه إلى مكان مجهول ويجري التحقيق معه بواسطة ضابط رفيع المستوى يوجه له تهمة الانشقاق عن النظام مستندا إلى رغبته في إخراج فيلم عن رواية كافكا الشهيرة "التحول"، معتبرا كافكا أحد كبار مناهضي النظام حسب تقارير الأمن، فيشرح له نيمتش كيف أن كافكا توفي عام 1928، وكيف كان يوجه في رواياته نقدا شديدا للرأسمالية ومنها "أميركا" التي يهجو فيها الغرب وقوانين السوق التي تسحق العمال. ومن خلال هذا المشهد الساخر يكشف الفيلم عن جهل الجهات الأمنية وبذلك يتمكن نيمتش من الإفلات من الاعتقال.

وفي مشهد آخر يذهب نيمتش إلى نيويورك للبحث عن تمويل لفيلمه الذي عجز عن الحصول على تمويل له في أوروبا، وهناك يلتقي "إيفانا" الزوجة السابقة (التشيكية) للملياردير دونالد ترامب لكي تتوسّط له عند زوجها، تلتقي به وتجلس أمامه على مقعد على الرصيف المحاذي لناطحة السحاب التي يملكها ترامب في وول ستريت. وعلى خلفية صورة ترامب في شبابه (كما كان في ذلك الوقت) تقدم له إيفانا باقة ورد، كما تثني عليه وتشيد بشجاعته، ولكنها تعتذر بالقول إن ترامب ليس مهتما بالاستثمار في الأفلام، فيسألها نيمتش "ألن يدفع شيئا.. ولا حتى دولارا واحدا؟"، تبتسم إيفانا ابتسامة عريضة، ثم تكرر "ولا دولارا واحدا"، فيمضي نيمتش ليدس باقة الورد في أقرب سلة قمامة!

كان نيمتش من أوائل الذين عرفوا بوصول القوات السوفييتية في الرابعة صباحا إلى براغ، فسار مع رفاقه في الشوارع وهم يصيحون بأعلى أصواتهم، ينبهون السكان إلى الخطر القادم، والسكان، كما يروي في فيلم "فتاة دينو فيراري" (2009) ينهرونهم باعتبارهم مجموعة من الشباب العابث، فلم يكن أحد يتخيل أن موسكو ستجنح إلى التدخل العسكري.

اتصل نيمتش بمدير الأستوديو السينمائي الذي كان يعمل له وكان خاضعا للدولة، وطلب منه إرسال مصور مع بعض عُلب الفيلم الخام على الفور، واستقل الاثنان سيارة نيمتش وشرعا في تصوير تلك الأحداث الدرامية. أما الفتاة الشقراء التي حملت نسخة الفيلم في حقيبة وتمكنت من خداع السلطات زاعمة أنها إيطالية الجنسية فكانت صديقته وكانت تريد أن تصبح ممثلة، وكانت تقود سيارة فيراري، في حين أن نيمتش، كما يقول في الفيلم، كان يقود الطبعة الشعبية منها، أي سيارة من نوع "فيات". يعود نيمتش في الفيلم، من خلال شخصية مخرج يؤديها الممثل كاريل رودين، إلى الأماكن الحقيقية التي صور فيها وصول الدبابات السوفييتية، والناس يتجمهرون حولها، حرق الحافلات، وإطلاق الرصاص، ومحاصرة جسور براغ الشهيرة ومنها أشهر وأعرق جسر في العالم وهو جسر فاكلاف التاريخي الشهير.

ويروي الفيلم كيف قام نيمتش بتهريب نيغاتيف الفيلم وتسليمه للتلفزيون وكيف تمكن من إخراجه من البلاد مع صديقته الشقراء برفقة صديق لها، بينما منعته السلطات من الخروج لكنه عاد وتحايل حتى تمكن من عبور الحدود.

يعود نيمتش إلى المنطقة الحدودية التي شهدت خروجه، ويروي عن طريق صوت المعلق الكثير من التفاصيل التي تتعلق بالفترة، ويشرح كيف أنه فشل أولا في إقناع حراس الحدود بأنه إيطالي بعد أن ظل يردد كلمات إيطالية لا معنى لها، كان قد حفظها من الأفلام، ثم عاد واعترف بأنه تشيكي وقدم لهم جواز سفره. ويروي أن الجنود السوفييت لم يفهموا شيئا مما حدث وكانوا يتطلعون إلى زملائهم التشيك الذين كان واضحا أنهم متعاطفون مع نيمتش، بل إن أحدهم قال له في النهاية "إن الجمهورية التشيكية ستبقى"، وهو ما يدل على اشتعال الروح الوطنية بسبب صدمة الغزو السوفييتي.

يان نيمتش قصة حياة مخرج، وقصة فصل من أهم فصول تجديد السينما في العالم.

منع فيلم «الحفل والضيوف» لجرأته في النقد

«معزوفة لبراغ» أول لقطات لدخول القوات السوفييتية إلى براغ

«جواهر الليل» الفيلم الذي لفت الأنظار لموهبة نيمتش

التلفريك يحمل العراقيين بعيدا عن هموم الحياة

منتجع جبلي في كردستان وجهة للتزلج تنعش السياحة العراقية

الثلج يعيد البسمة للعراقيين

يجتذب إقليم كردستان العراقي العديد من السياح المحليين الراغبين في الترفيه عن أنفسهم، ليحظوا بأوقات ممتعة في منتجع جبلي يوفر لهم إمكانيات التزلج والتراشق بالثلوج، وقد كشف الإقبال الكبير على هذا المنتجع سعي العراق إلى إنعاش قطاع السياحة المتضرر.

❏ **بغداد** – تجمع نساء ورجال من مختلف الأعمار، في صورة تتناقض تماما مع ما تشهده مناطق أخرى في العراق من أوضاع أمنية متردية في منتجع كورك الواقع على سفح جبل في منطقة كردستان العراقية، حيث تظهر بالمنتجع معارك من نوع مختلف تسودها الفرحة وتجري بكرات الثلج بين شبان وأطفال، فيما يشارك آخرون برقصات على أنغام موسيقية جميلة.

> منتجع كورك على سفح جبل في منطقة كردستان العراقية يلقى إقبالا كبيرا من قبل هواة التزلج على الجليد الذين يتوافدون عليه من جميع أنحاء البلاد لنسيان تجاربهم القاسية

ويلقى منتجع كورك إقبالا كبيرا من قبل هواة التزلج على الجليد الذين يتوافدون عليه من جميع أنحاء البلاد لنسيان هموم الحياة اليومية التي يعيشها معظم العراقيين. كما يعد إقليم كردستان الواقع شمال العراق من أبرز الوجهات السياحية النموذجية لهواة جمال الطبيعة الخلابة والمليئة بالجبال والأماكن الأثرية العريقة، حيث يمكن للسياح المحليين والأجانب قضاء أوقات ممتعة في المنتجعات المطلة على تلال إقليم كردستان.

وقال فواز بهنام (35 عاما) وهو من بين العراقيين الذين يستقطبهم هذا المنتجع "تعبنا وهلكنا، جئنا هنا لنستمتع قليلا"، مشيرا إلى من حوله "انظر إلى الناس كيف تبدو عليهم السعادة".

ووصف أنمار منير الذي يعمل محاسبا ويعيش في مدينة دهوك في شمال العراق، الأجواء في جبل كورك بـ"العظيمة".

وقال "الناس مرتاحون ويستمتعون، هذا طبعا ينقلنا بعيدا عن أجواء العنف".

وقامت حكومة الإقليم بتنظيم مهرجان للثلوج، حضره عدد كبير من الشباب الذين شاركوا إما بالتزلج أو بمجرد الحضور، كما أقاموا رقصات شعبية تقليدية وشاركوا في نشاطات أخرى في المهرجان.

وتجمع عشرات الأشخاص عند خط التلفريك لنقل الزوار إلى سفح الجبل، فيما كان آخرون يتزحلقون على الثلج بواسطة زلاجات. وكان البعض يتراشق بالثلج، علاوة على التقاط السياح المنتشرين في كل مكان الكثير من صور السلفي بهواتفهم المحمولة.

وعبّر المتحدث باسم وزارة السياحة في حكومة إقليم كردستان نارد روستي عن أمله بألا يبقى المنتجع الجبلي وحيدا، حيث قال "بل أن يكون مكانا لإعادة الحياة والمتعة لضحايا الصراعات في البلاد".

وأضاف "نقيم هذا المهرجان كل عام، كونه مهمّا جدا لتطوير السياحة وخصوصا الشتوية منها". وأفاد روستي أن كورك العراقية تسعى إلى أن تصبح من بين الوجهات السياحة المعروفة بالتزلج.

وأضاف "كنا نهدف للوصول إلى سبعة ملايين سائح بحلول العام 2015، لكن خطتنا تغيرت بسبب الحرب".

ويفتقر منتجع كورك حاليا إلى مصعد للتزلج، لكن يتم استخدام التلفريك الذي بنته شركة نمساوية إضافة إلى شاليهات فاخرة. وقال جيمس ويلكوكس، وهو أحد المؤسسين لشركة الحدود الجامحة السياحية "كنا نتزلج بالقرب من حاج عمران حيث الجبال أكبر، وكنا محظوظين لأن هناك الكثير من الثلج هذا الأسبوع".

وأضاف تمتاز حاجي عمران، لا سيما وأنها أعلى قمة جبلة في كردستان، بعيون مياهها العذبة، كذلك توجد بها عين ماء معدنية يستخدمها السياح لأغراض علاجية، فضلا عن الطبيعة الخلابة للمنطقة حيث أن أقصى درجات الحرارة في الصيف لا تتعدى الـ30 درجة مئوية.

وتابع ويلكوكس الذي ينظم رحلات سياحية إلى مناطق مثل الصومال والشيشان "أخذنا يوما واحدا للقدوم إلى هنا من أجل التزلج، والاستماع إلى الموسيقى وتناول الطعام والاستمتاع بالمهرجان".

وقال روهان لورد الذي قدم من نيوزيلندا للتزلج في العراق "التزلج رائع، والثلج رائع كذلك، والضيافة كانت مدهشة".

وأوضح محمد غانم طالب من سكان مدينة الفلوجة المدينة الواقعة غرب بغداد "لا توجد طبيعة مثل هذه (في الفلوجة) ولا يوجد أمن".

ومن المعلوم أن شمال العراق يزخر بالشلالات والجبال والمصايف، إلى جانب انتشار الكثير من البحيرات التي تشكل أماكن سياحية رائعة يقصدها السياح في مختلف فصول السنة للاستراحة والاستمتاع بالمناظر الطبيعية.

وتعتبر أربيل شمال العراق من أبرز المدن التي تزدهر فيها السياحة البيئية، بينما تشتهر بلدة شقلاوة الواقعة على بعد 51 كيلومترا من العاصمة أربيل، على سفح جبل سفين بارتفاع 200 متر، بالكروم وبساتين الفاكهة، وسوق للمواد الغذائية والعديد من المطاعم والفنادق، وفيها مناظر طبيعية خلابة.

ويشكل شلال "كلي علي بك" وشلالات "بيخال" ومنابع المياه في جنديان منظرا جميلا حيث توجد في المنطقة العديد من المنتجعات وأماكن للاصطياف. ويقع مضيق "كلي علي بك" على طريق هاملتن الدولي بين خليفان وسوران، وهو مضيق صخري يشعر فيه السائح بالعزلة عن العالم لا يرى من السماء سوى فسحة امتداد طولي.

وفي نهاية هذا المضيق تأتي بلدة راوندوز التي كانت عاصمة لإمارة سوران لغاية القرن التاسع عشر. ويمكن للسياح المكوث في البيوت السياحية (الشاليهات)، أو في منتجع بانك، حيث توجد في هذا المنتجع العديد من الألعاب كالتمتع بركوب الخيل، بالإضافة إلى التمتع بسحر المناظر الجبلية.

وعلى بعد 70 كيلومترا من السليمانية الواقعة شمال شرق العراق، وتحديدا بالقرب من بحيرتي دوكان ودربندخان، توجد العديد من البيوت السياحية التي شيدت خصيصا للمصطافين، حيث يمكن للسياح تمضية أجمل الأوقات بين السباحة وركوب الزوارق.

وفي منتجع أحمد آوا شرق مدينة السليمانية تنتشر العديد من ينابيع المياه العذبة والشلالات المحاطة بأشجار الجوز والرمان والتين، التي تجذب السياح للاستراحة في ظلالها.

ويوفر منتجع سولاف الموجود في محافظة دهوك الواقعة في كردستان، للسائح العديد من المطاعم المنتشرة في الهواء الطلق والمطلة على واجهة بلدة آميدي العريقة، حيث تقع هذه البلدة على هضبة، وتطل على العديد من الوديان وتحيطها جبال شاهقة.

تطبيقات تسهل السفر وتجعله آمنا

● يسمح تطبيق ريبتيل للمسافر بإجراء مكالمات هاتفية رخيصة أو مجانية في حال كان أحد الأصدقاء أو العائلة يستخدم نفس التطبيق. ويتيح هذا التطبيق للمسافر التمتع بهذه المكالمات في جميع أنحاء العالم دون الحاجة إلى الإنترنت.

● يساعد تطبيق ويز، المملوك لغوغل، السائقين على تبادل المعلومات المرورية وحالة الطرق عبر الإنترنت. كما يستعرض ويز الحالة المرورية ويمد السائق بالاتجاهات في نفس الوقت. ويمد التطبيق يد العون لمستخدميه من السائقين المتواجدين في مدينة غير مألوفة.

● يستطيع المسافر استخدام تطبيق رحلات غوغل بدل حمل حزمة من الأوراق المليئة بالمعلومات عند سفره. ويوفر هذا التطبيق كافة المعلومات التي تلزم المسافر، فضلا عن أنه يقدم له اقتراحات حول زيارة بعض الأماكن أو القيام بأنشطة معينة.

● يحافظ تطبيق تانلبر الذي يمكن الحصول عليه بسهولة وبشكل مجاني لمن لا يستخدمون الكثير من البيانات، على بقاء اتصال الإنترنت الخاص بالمسافر آمنا أثناء سفره إلى بلد آخر.

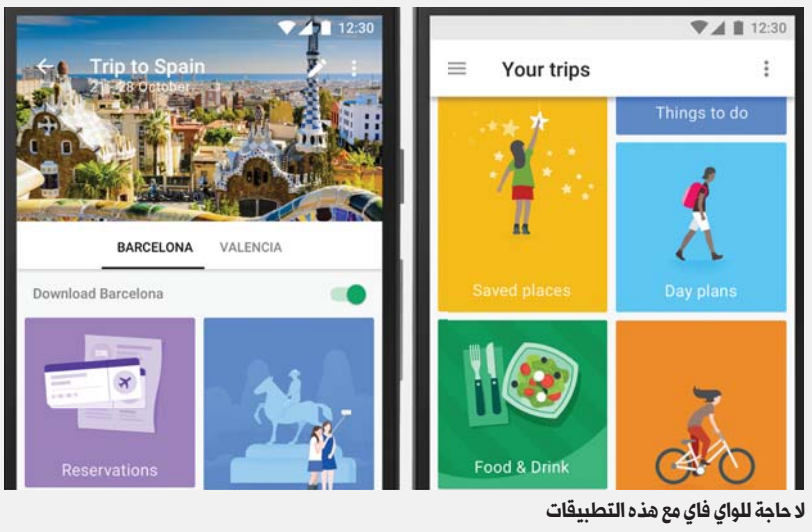

لا حاجة للواي فاي مع هذه التطبيقات

● يقدم تطبيق هوبر للمسافر بالإضافة إلى حجز الطيران وكتاب رحلات خاص بالهواتف المحمولة، كيفية الحصول على أفضل الأسعار، حيث يحدد التطبيق لمستخدميه زمن شراء تذكرة السفر أو يطلب منهم الانتظار إلى إشعار آخر في حال انخفضت الأسعار ليحصل مستخدميه على تذاكرهم بأرخص من ثمنها الحقيقي.

● يقوم تطبيق باك بنت بوضع قائمة مفصّلة حول رحلة المسافر بمجرد أن يزوده المسافر بالوجهة التي يقصدها وتاريخ السفر والمدة التي سيقضيها هناك مع إدخال بعض التفاصيل حول الأنشطة التي ينوي المسافر ممارستها، مع إمكانية تعديل القائمة التي ينشئها هذا التطبيق في حال اختار مستخدمه تغيير برنامج رحلته.

● يمكن للمسافر الحصول على كافة المعلومات حول وسائل النقل بالوجهة التي يقصدها من خلال تطبيق روما 2 ريو الذي يقدم لمستخدميه معلومات حول أكثر من 4800 شركة نقل من أكثر من 158 دولة. وبمجرد استخدام هذا التطبيق يعرض على الفور الرحلة أو القطار أو الحافلة مع أوقات السفر، إلى جانب أثمان التذاكر.

رحلة نحو الجليد الأبدي على متن سكوربيوس 2

❏ **سانتياغو** – يحظى السياح في شيلي بمتعة الرحلات البحرية الرائعة التي تجوب منطقة باتاغونيا، علما وأنه عادة ما تبدأ مثل هذه الرحلات من بويرتو مونت في نصف الكرة الجنوبي.

وينعم السياح خلال هذه الرحلات بمشاهدة المنازل الخشبية الملوّنة وأشجار الغابات المختلفة والأغنام، التي ترعى على التلال القريبة. كما يظهر في الأفق اثنان من البراكين، والتي تذكر السياح بأن الرحلة البحرية متجهة إلى نهاية العالم، حيث لاغونا سان رافائيل، وهنا يشاهد السياح أبراج الجليد المتساقطة في الماء.

وتمتاز الباخرة السياحية "سكوربيوس 2" التي تنقل السياح في مثل هذه الرحلات بأنها صغيرة الحجم بعض الشيء، إذ يبلغ طولها 70 مترا ولا يزيد عرضها على 10 أمتار، فهي تختلف كثيرا عن السفن التي تجوب أرجاء البحر المتوسط أو البحر الكاريبي.

واستوحى صاحب هذه الباخرة السياحية كونستانتينو كوخيفاس، فكرة إنشائها من والده، وكذلك من الصيادين الذين عادة ما يحكون له عن الجبال الجليدية والأنهار الجليدية الموجودة في الجنوب، بالإضافة إلى أنه قام خلال العام 1960 بأول رحلة بحرية إلى بحيرة لاغونا سان رافائيل، وكان لهذه الرحلة وقع السحر عليه، ولذلك وضع خطة لإتاحة هذا الجمال الطبيعي للسياح، فقام خلال 1976 ببناء كبائن في سفينة الشحن الخاصة به، واصطحب معه 14 سائحا إلى البحيرة الجليدية.

وأشار أوسكار أجيلار إلى أن هذه الرحلة قد حققت نجاحا باهرا، ويعمل القبطان، الذي يبلغ من العمر 58 عاما، في شركة الملاحة البحرية منذ 20 عاما ويقود مختلف السفن السياحية التابعة للشركة.

ويقوم القبطان أجيلار بتوجيه الباخرة السياحية نحو الجزر ويمر قبالة الصخور والساحل الشرقي من تشيلي، مؤكدا أن الإبحار في هذه المنطقة يحتاج إلى المزيد من الخبرة.

وأوضح أن السفينة السياحية تبحر في حماية أرخبيل، مشيرا أن هذا الأرخبيل يعرف باسم كونوس نسبة إلى أول من سكن هذه الجزر، حيث عاشت قبائل كونوس في خيام مصنوعة من فراء أسود البحر، واستخدموا جذوع الأشجار لصناعة القوارب والتنقل بها في البحر، وكانوا يدهنون أجسامهم بالدهون المستمدة من أسود البحر ويقفزون في المياه الجليدية لصيد الأسماء بواسطة الحراب المصنوعة من عظام الحيتان والغوص لجمع المحار.

ويضم هذا الأرخبيل حوالي 8000 جزيرة معظمها غير مأهول بالسكان. وتبحر الباخرة السياحية وسط متاهة من الجزر الصغيرة والصخور والرؤوس الصخرية، والتي تنمو بها غابات مطيرة بكثافة.

ويظهر في الأفق أمام السياح الجليد الأبدي على قمم جبال الإنديز، ولا يعكر صفو هذا المنظر الطبيعي البديع سوى العوامات برتقالية اللون، والمنتشرة في مزارع سمك السلمون.

وكلما أبحرت الباخرة السياحية في مضيق كوترلكو أكثر، كلما اقتربت من الجبال بصورة أكبر. وتختفي البحيرة والنهر الجليدي خلف رأس صخرية.

وقد تم تصنيف هذه البحيرة كمحمية طبيعية وإدراجها على قائمة التراث الطبيعي العالمي لمنظمة اليونسكو، وبعد الإبحار لفترة من الوقت ترسو الباخرة السياحية عند سفح منحدرات مغطاة بالغابات الكثيفة، ويقوم السياح بارتداء سترات النجاة والنزول إلى القارب، الذي أبحر بهم وسط الجبال الجليدية، التي تتراوح أحجامها ما بين القمم المنخفضة كغواصة، بينما تظهر بعض الجبال الجليدية بارتفاع المباني الشاهقة. ويظهر الجليد بلون ناصع البياض وبشكل مموّج ومصقول وبنقاء الكريستال.

وبعد الاستمتاع بالجولة وسط الجبال الجليدية يعود السياح إلى الباخرة من أجل الاسترخاء وتناول بعض المشروبات.

روبوتس شاهد على تطور الذكاء الاصطناعي منذ 500 سنة

معرض لندن يزيد المخاوف من اتساع الهوة بين البشر والروبوتات

يعد معرض روبوتس الذي فتح أبوابه منذ أيام أمام الجمهور بمتحف العلوم ساينز ميوزم في لندن وسيستمر على امتداد 7 أشهر، فرصة هامة للاطلاع على تاريخ الروبوتات الذي تعود انطلاقته إلى 500 سنة، والإلمام بمدى التقدم الذي أحدثه صانعوها. ويرى البعض أنه بوجود نماذج لا تزال تعمل رغم مرور الزمن ما يكشف عما أحرزه التقدم التقني وهو ما يثير جدلا جديدا حول إمكانية سيطرة الذكاء الاصطناعي على الإنسان، لا سيما مع الطفرة التقنية التي تحضّر لثورة تكنولوجية رابعة.

❑ لندن – ضم معرض جديد للروبوتات افتتح بمتحف العلوم ساينز ميوزم في لندن بداية من الـ8 من فبراير الجاري وسيستمر حتى الـ3 من سبتمبر القادم، أكثر من 100 نموذج فيما تعتبر أهم مجموعة على الإطلاق من أجهزة الروبوت البشرية التي تم صنعها على امتداد 500 سنة.

وذهب البعض إلى اعتبار الروبوتات المعروضة بمعرض روبوتس بمثابة مرآة للمجتمع البشري على امتداد 500 سنة.

ويرى القائمون على المعرض أن تشكيلة الروبوتات المعروضة تعد بمثابة الكنز، إذ توجد بينها قطع لافتة للنظر، وكانت مصدرا للانبهار في أيام صناعتها، وهي ربوت في شكل طفل صغير يحرك مفاصله، والبجعة الفضية التي فتنت الكاتب الأميركي الساخر مارك توين، إلى جانب المرآة المعدنية الصغيرة التي تحمل كوب الرهان وتخبئه تحت تنورتها.

ووفقا لصحيفة الغارديان البريطانية، أفاد بن راسل، وهو المفوض الرئيسي للمعرض، أن "الناس سيكتشفون أشياء لم يشهدوها طوال حياتهم عندما تقع أعينهم لأول مرة على القطع المعروضة في المتحف، مثل الراهب الآلي الذي يعود إلى القرن 16، والذي يتدحرج إلى الأمام، ويحرك شفتيه، وكأنه يؤدي الصلاة. ولا شك أنه كان آلة فتنت الجماهير في العام 1560".

> روبوت البجعة الفضية يشد أنظار رواد المعرض لأنه لا يزال يعمل على الرغم من أن الأدوات التي صنع منها تعود إلى ما يناهز الـ250 سنة

وأضاف "في السابق قال آرثر سي كلارك إن أيّ تكنولوجيا متقدمة بما يكفي لا يمكن تمييزها عن السحر. حسنا، من هنا بدأ كل شيء".

وشد روبوت البجعة الفضية الذي يتم عرضه عاريا في إحدى الورشات بالمتحف الذي يقع غرب لندن، أنظار الرواد لأنه لا يزال يعمل على الرغم من أن الأدوات التي صنع منها تعود إلى ما يناهز الـ250 سنة.

تحظى البجعة، التي تمت استعارتها من متحف باوز في مقاطعة دورهام، بحب كبير جعلها لا تغادر المقر إلا لأسباب تتعلق بالصيانة، وقد تمت إعارتها إلى متحف العلوم لمدة ستة أسابيع فقط في حين أن المعرض يمتد لسبعة أشهر.

وقال بن راسل "إنها ليست الروبوت الأكثر تعقيدا على الإطلاق، ولكن إذا كان هدف المخترع إنشاء آلة لتقليد الحياة الحقيقية، فإن البجعة هي الأقرب إلى الكمال".

تمت صناعة البجعة في لندن في العام 1773 على يد جون جوزيف ميرلين، وهو مخترع العجائب الميكانيكية، والآلات الموسيقية وأحذية التزحلق. لقد شكلت كنزا ومصدرا للعذاب بالنسبة إلى المتحف، حيث أنها وصلت إلى مقاطعة دورهام مقسمة إلى الآلاف من القطع، ولم تكن مصحوبة بكتاب التعليمات.

خبرات السلف في خدمة البشر

وقالت متعهدة الآثار، كارين باركر "عندما وصلت إلينا، استغرق الأمر سنوات لنتمكن من تجميعها، ولم يكن لدينا على الإطلاق سجلات تبرز كيف تمت صناعتها".

في الستينات من القرن العشرين، كانت بحاجة إلى إصلاحات، وتم إرسالها إلى اثنين من صانعي الساعات اللذين رفضا الاشتغال عليها، وفي النهاية أرسلت إلى أحد المهندسين من جامعة دورهام، والذي أمضى سنوات في العمل على ذلك، لتبسيط الآلية وبناء إطار قوي، ولكن مرة أخرى لم يملك المتحف سجلات توّثق ما فعله بالضبط.

وفي العام 2008، قامت باركر وماثيو ريد، وهو ساعاتي يدرس في ويست دين كوليدج، بتفكيك البجعة، وتسجيل وتنظيف كل جزء منها، وإعادة تجميعها، وعرفا لأول مرة أنها تتكون من أكثر من 2000 جزء متحرك، بما في ذلك 139 قضيبا من الكريستال و113 حلقة في الرقبة وحدها.

ومن بين أكثر المعروضات جذبا للانتباه روبوت ثيسبيان المصنوع في بريطانيا، وهو روبوت بحجم الإنسان العادي يتنقل في أرجاء المعرض ويقوم بالغناء والتمثيل أمام الزوار كل 20 دقيقة.

كما أبهر الروبوت إريك الجماهير، حيث كان واقفا ثم انحنى وأجاب على أسئلة الصحافيين وكان وميض أزرق يلمع من أسنانه المعدنية. وقيل إن هذا الروبوت البريطاني الصنع طاف في جولة حول العالم. وعند وصوله إلى نيويورك، في عام 1929، كان الحارس الليلي للمعرض قلقا حتى أنه أخرج مسدسا وأطلق عليه النار.

ومن بين القطع الأخرى التي تعرض حاليا بالمعرض الهيكل الأصلي للروبوت "تي800–" الذي استخدم في فيلم ترمنيتور سالفيشين، والروبوت "آسيمو" لشركة هوندا وإينخا، وهو روبوت على شكل رأس يتفاعل مع الناس ويقدم للجمهور نصائح بشأن الموضة. وستتاح لزوار القسم الذي يعرض أجهزة الروبوت الحديثة فرصة تذكر فيلم "آي. روبوت" الذي تهدد فيه الروبوتات والذكاء الاصطناعي بقاء الجنس البشري، وهو من بطولة النجم الأميركي ويل سميث.

وتعتبر بعض القطع من أقدم الأجهزة، ويمثل أحد النماذج المسيح حاملا الصليب فوق رأسه، ويخرج منه الدم الزكي.

وكشف المعرض عن رؤية القدامى للكون، حيث بحث صانعو الروبوتات من خلال صور الحيوانات والتماثيل البشرية عمّا إذا كان البشر يمثلون آلات واعية.

وقاموا بتنظيم الكون من خلال المجرات خلال عصور الأنوار في القرن 18، بحيث أصبحت الآلات أكثر طرافة حيث ظهر الإنسان الآلي في شكل عازف ناي، أو كاتب.

وبعد قرن، أصبح أسلوب الآلات أكثر غوغائية، حيث أصبحت الآلات تجسد الأرستقراطيين في حالة سكر، والحياة المزعجة للنقانق منذ خروجها من المزرعة حتى وصولها إلى المستهلك، كل ذلك تمت إعادة صياغته بأسلوب آلي.

ومنذ ذلك الوقت إلى الآن جعل ازدهار الروبوتات الناس يشعرون بعدم الارتياح، حيث أن الآلات أصبحت تلوّح بإمكانية الاضطلاع بوظائف الحرفيين المهرة والنساء، عندما كانت ماريا وهي أول روبوت تم ترويجه في فيلم فريتز لانغ عام 1927، شككت في مكانة البشر في عالم تغمره الآلات.

يقول راسل "إذا قمت بإنشاء اقتصاد ميكانيكي، ما هي مكانة العمال في ذلك؟ سوف تصبح عبدا للآلات. أنت تعمل على مدار الساعة ومهمتك الوحيدة هي الحفاظ على استمرار عمل الآلات".

وفي الثلاثينات من القرن الماضي، ساعد أول روبوت في شكل لعبة من القصدير في تشكيل توقّعات الناس حول مستقبل العالم. في حين روّج له الكثيرون على أنه مساعد أو مسافر ودود إلى الفضاء، وحمل آخرون البنادق في وجهه تعبيرا عن رفضهم له.

وعلى الرغم من أن رجال القصدير الأصليين يشبهون البشر من الخارج، فإنّهم يختلفون عنهم من الداخل، لأنهم يتحركون بفضل الكابلات والتروس والأوزان والبكرات. إلا أنه بداية من تسعينات القرن العشرين، بدأ المهندسون العمل على الروبوتات ذات القياسات البشرية، والتي لها هياكل عظمية بلاستيكية وأوتار وعضلات من الحبال المطاطية.

وكانت حركاتها خارقة للطبيعة البشرية، وبها جوانب سلبية. ومع مرور الوقت، أصبحت للروبوتات هياكل عظمية مستوحاة من الإنسان ومعرضة لأمراض مألوفة، مثل هشاشة العظام والتواء العمود الفقري.

أجسام الربوتات ليست فقط هي ما يشبه البشر، بل الانتقال السريع إلى مجال الحوسبة بمعنى أن الروبوتات الحديثة يمكنها التحدث مع الناس بطريقة ذات مغزى، بالإضافة إلى ما توفره من معلومات، إلى جانب ما تقدمه من تسلية أكثر مما كانت تفعله في السابق.

ويرجح القائمون على المعرض أن تثير القطع المعروضة المزيد من التساؤلات الملحّة، من بينها هل نحن سعداء بحال بيبر، الروبوت الذي يرد على مشاعر الإنسان، من أجل رعاية كبار السن؟ أو ناو، روبوت التحبيب عمدا، الذي يستخدم في تعليم الأطفال؟ وتيلينويد الشاحب، وهو الروبوت ذو الحضور التلفزي المتعثر، الذي يسمح للآباء الغائبين بدعوة أبنائهم؟ جميع هذه الروبوتات تحرك أفواهها عندما تتحدث وتقلد حركات الرأس لدى البشر.

والسؤال المطروح هو: هل ستقرّب التكنولوجيا بين الروبوتات والبشر أم أنها سوف توسع الهوة بينهما؟ هل هي مخادعة في بنائها لروبوتات شبيهة بالبشر وهل هي تحاول مطابقة ذكاءنا؟

وأضاف راسل "نريد دفع الناس إلى التفكير. وإذا تمكنّا من ذلك، فقد أنجزنا مهمتنا".

ويعتبر القائمون على المعرض أنه يضم "أعظم مجموعة من الروبوتات التي لها مواصفات البشر، والتي لم يستطع أيّ شخص أن يجمعها من قبل".

ويقول راسل أنه في حال خاضت الروبوتات ثورة ضدّ الإنسان وحاولت التحكم فيه "أنا لست قلقا جدا بشأن ذلك. إذا اختارت الروبوتات التقدم في ذلك الاتجاه، فإن بطارياتها سوف تنفد قريبا". وتظل الإجابة عن هذا السؤال رهينة التقدم التكنولوجي.

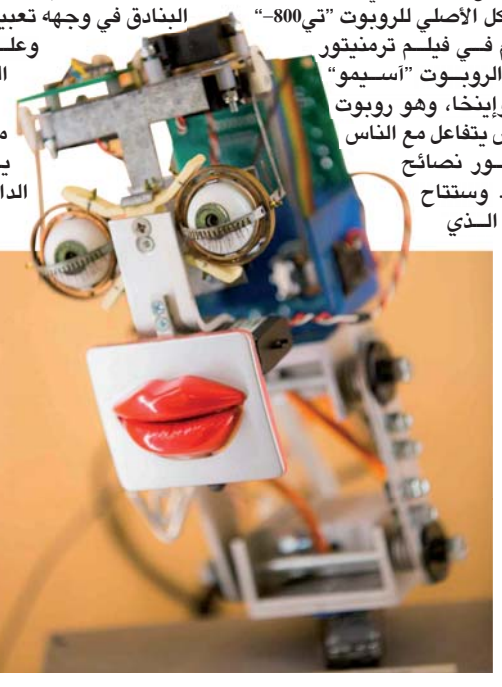

نماذج حية لم تؤثر فيها السنون

جديد التكنولوجيا

❑ أعلنت الشركة المنتجة للعبة الأشهر في العالم بوكيمون غو، عن إضافة تحديثات للعبة تحت اسم "shares the love" احتفالا بعيد الحب. وسوف يكتشف اللاعبون ظهور شخصيات بوكيمون باللون الوردي لمدة ست ساعات، بالإضافة إلى مضاعفة كمية الحلوى التي يحصل عليها المستخدمون أثناء اللعب.

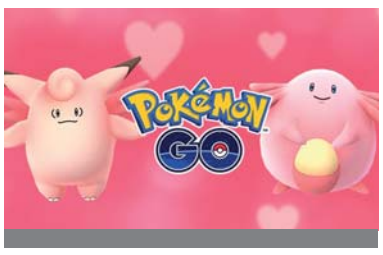

❑ أعلنت شركة مايكروسوفت الأميركية عن إطلاق لوحة مفاتيح عملية جديدة من سلسلة سيرفس، موضحة أن لوحة المفاتيح اللاسلكية الجديدة تشتمل على مسند لمعصم اليد مبطن بفرش الكانترا وتصميم مقسم لمجموعة الأزرار. وأكدت مايكروسوفت على أن الشكل المنحني للوحة المفاتيح يساعد على جعل الساعد واليدين في وضع مريح أثناء الكتابة.

❑ على الرغم من حاجة المستخدم إلى أخذ لقطة شاشة سكرين شوت لمحتويات المتصفح في كثير من الأحيان، فإن برامج التصفح لا توفر هذه الوظيفة بشكل افتراضي، ولكن هذه المشكلة ستنتهي مع الإصدار الجديد من متصفح فيفالدي 1.7.

وتعمل وظيفة لقطة الشاشة سكرين شوت الجديدة على توسيع وظيفة الملاحظات في المتصفح، كما يمكن استدعاء وظيفة لقطة الشاشة عن طريق اختصارات لوحة المفاتيح.

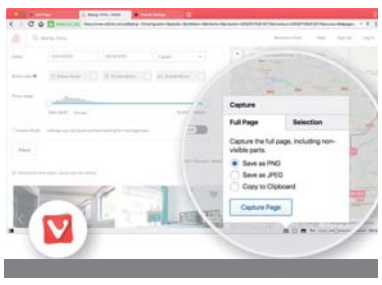

❑ يعمل تطبيق أوتوميت المجاني، على كتم الصوت تلقائيا بمجرد قيام المستخدم بخلع سماعة الرأس من جهاز اللاب توب سهوا، ويصلح ذلك أيضا على الموديلات المزودة بتقنية البلوتوث من سماعة الرأس. وبالإضافة إلى ذلك، يقوم التطبيق بكتم الصوت عندما يعمل جهاز ماك بوك في وضع توفير الطاقة أو عندما تتم إعادة تشغيله من وضع السكون.

نصائح وإرشادات

كيف يحفظ المستخدم أسراره بعيدا عن غوغل

❑ استخدام محرك غوغل للبحث عن أي معلومات يريدها المستخدم يعني أنه سلم أسراره وأفكاره الشخصية لغوغل، حيث أن محرك البحث يعمل على تخزين هذه المعلومات لاستخدامها في أغراض تجارية.

ولذلك ينصح المستخدم باتباع هذه الخطوات، إذ عليه أولا تسجيل الدخول إلى حسابه في غوغل، ثم الدخول إلى صفحة "Account History" الخاصة به، وسيجد إمكانية تعطيل أو تفعيل أو حذف كل ما يتعلق بتاريخ تصفحه، على غوغل ويوتيوب.

ثانيا ينتقل إلى صفحة أنشطة الويب والتطبيقات "Web & App Activity page"، في الجانب الأيسر العلوي من الصفحة، يجب أن ينقر على خيارات "Settings" لإزالة العناصر "Remove items". ثالثا يختار الفترة الزمنية التي يريد خلالها حذف السجل الخاص به وعليه أن يختار منذ بداية حفظ البيانات "The beginning of time"، وأخيرا ينقر على إزالة " Remove ".

استخدام السموفي خلال التمارين يضاعف جهد العضلات ولياقتها

التدرب بالسموفي بانتظام يرفع كمية السعرات المحروقة

تساعد بعض الأدوات والأجهزة البسيطة وغير المكلفة على رفع مستوى التدريبات الرياضية وتضاعف جهد الجسد والعضلات تحديدا وتزيد القدرة على حرق كميات أكبر من الدهون، دون الاضطرار إلى الانتساب إلى إحدى القاعات الرياضية التي تتطلب مالا كثيرا وحيزا زمنيا خاصا.

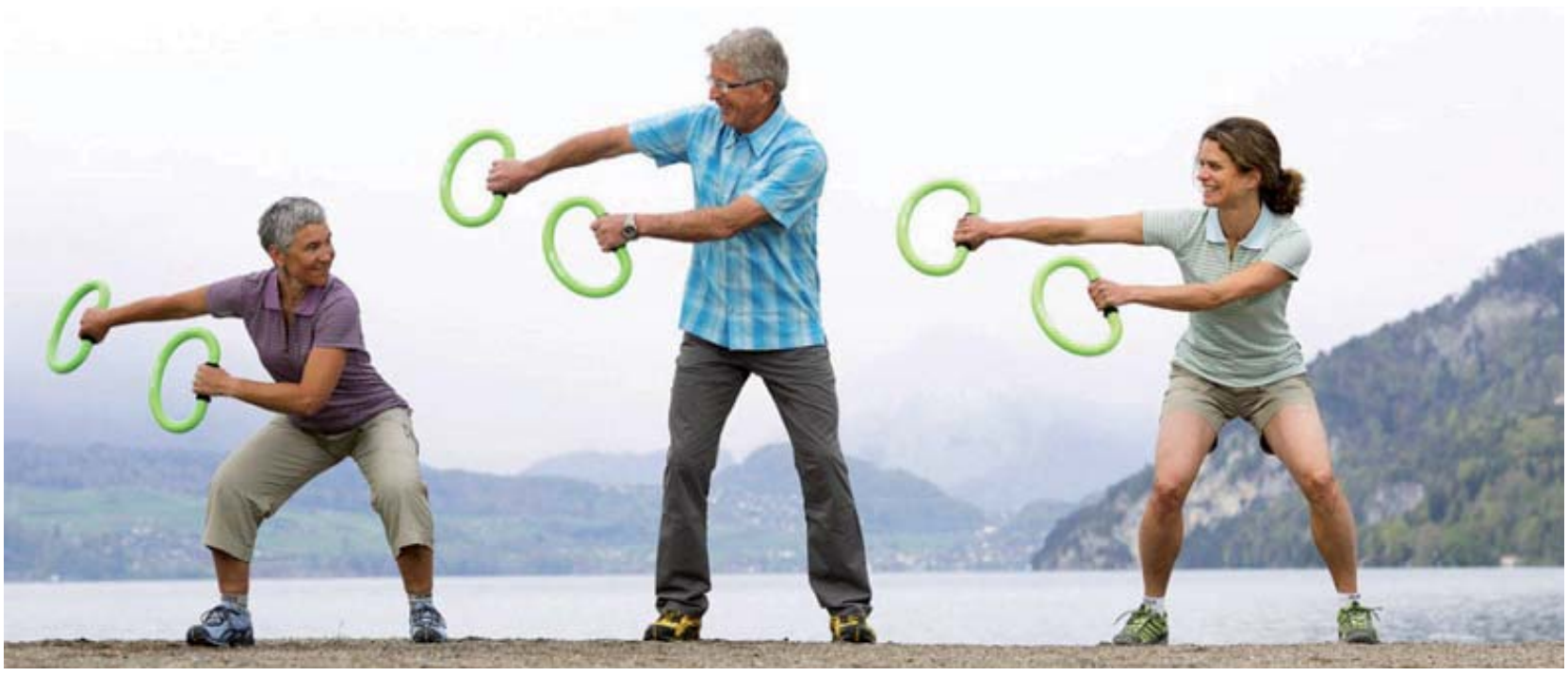

السموفي يمكن حمله واستخدامه في كل مكان

❑ **سيدني – يعد جهاز سموفي من الأجهزة البسيطة التي يسهل حملها إلى أيّ مكان يود فيه المتدرب ممارسة التمارين التي يرغب فيها. ويتماشى السموفي مع عدد كبير من الرياضات ويعزز نشاط العضلات ويزيدها مرونة وقوة.**

يبلغ وزن جهاز سموفي 500 غرام تقريباً، دون احتساب حركة التأرجح، ولكن مع الحركة النشيطة للخلف والأمام يزداد الوزن ليصل إلى 5 كيلوغرامات. "سموفي فايبراوزنج" هو حلقة هزازة تتكون من أربع كرات حديدية ومقبض مع خاصية كتم الصوت. تتحرك الكرات في الأنبوب على شكل حلزوني باهتزازات قدرها 60 هيرتزا تقريبا. تؤدي هذه الاهتزازات إلى حدوث ذبذبة واضحة في راحة يد المتدرب بالتزامن مع وقت التدريب.

تم تطوير جهاز السموفي في السويد ويلقى رواجا كبيرا في مختلف دول العالم. ويوصي مدربو اللياقة باستخدامه لأنه يقدم مفهوماً جديداً في مجال التدريب على اللياقة البدنية، حيث يعمل على رفع مستوى التدريب مهما كان نوع الرياضة التي نمارسها، لا سيما المشي أو الركض البطيء أو العدو.

ويجمع التصميم الفريد لجهاز سموفي بين الفيزياء الحديثة والضغط الإبري المستوحى من التراث الصيني، حيث يوفر تجربة لا مثيل لها في أداء التمارين الرياضية ويركز على الجسد كما أنه يعالج العقل أيضاً ويخلصه من حالة التوتر والقلق ويساعده على الاسترخاء والتأمل.

ويضمن جهاز سموفي توفير تمارين رياضية تلبّي احتياجات المتدربين، حيث يقدم تشكيلة من التمارين الرياضية من إعداد كبار مدربي اللياقة البدنية.

ويؤكد أخصائيو العلاج الطبيعي وخبراء التغذية على أن فقدان الوزن أمر صعب ولكن التدريب باستخدام السموفي يساعد كثيرا على رفع نسبة السعرات الحرارية المحروقة لأنه يعزز عملية التمثيل الغذائي ويحوّل الدهون إلى طاقة بشكل متسارع ومتدرج. والجهاز قادر على حرق سعرات حرارية أكثر بنسبة 30 بالمئة، أثناء المشي والركض البطيء.

وأثبتت البحوث المجراة على متدربين يمارسون تمارينهم باستخدام السموفي أن هذا الجهاز يساعد على تنشيط 97 بالمئة من العضلات وحرق الدهون وتقوية الأنسجة الضامة وتحفيز الأيض وتقوية عضلات القلب وتنشيط الدورة الدموية. كما أنه يساعد في تدريب الجزء العلوي من الجسم بالكامل مع الشعور بالاستمتاع.

يقول عدد من أطباء الأعصاب إن السموفي يساعد أيضا مرضى الشلل الرعاش، الذي يطلق عليه علميا اسم باركنسون، على التحكم أكثر في جهازهم العصبي الحركي. فالشلل الرعاش هو اضطراب معقد في حركة العضلات ناتج عن حدوث إعاقة في جزء من الجهاز العصبي الحركي المسؤول عن الحركات الاعتيادية مثل الإيماءات وتعبيرات الوجه. يتحرك الجسم باستخدام أربعة أعضاء في حركة تأرجح متناغمة. ويقل هذا التناغم من جانب واحد عند تأثر الجسم بمرض الشلل الرعاش. وهذا يؤدي إلى اختلال توازن الجسم بأكمله وعدم تناسق الحركة ومحور الجسم. ومن خلال التدريب المنتظم باستخدام جهاز سموفي يزداد تناسق حركة الذراعين مما يؤدي إلى استقرار حركتهما.

وكشفت دراسة أسترالية أن إخضاع مرضى باركنسون إلى 3 جلسات من التمارين الرياضية أسبوعياً يمكن أن يحسن لياقتهم البدنية، ويجعلهم أقل عرضة للسقوط الناجم عن عدم التوازن.

وأوضح باحثون، بجامعة سيدني الأسترالية، في دراستهم التي نشروا تفاصيلها في "دورية علم الأعصاب"، أن مرض الشلل الرعاش أكثر شيوعاً بين الأفراد الذين تزيد أعمارهم عن 60 عاماً، ويؤثر على الرجال أكثر من النساء بنسبة 50 بالمئة.

وأضاف الباحثون أن دراستهم أثبتت أن "الأشخاص الذين يعانون من الشلل الرعاش وشاركوا في ثلاث جلسات للتمارين الرياضية مدة الواحدة منها من 40 إلى 60 دقيقة أسبوعيًا، لمدة 6 أشهر، كانوا أكثر توازناً عن غيرهم من المرضى".

ودرس الباحثون الصلة بين التمارين الرياضية ومنع السقوط لدى 231 مريضاً يعانون من الشلل الرعاش وأجريت غالبية التمارين الرياضية للمشاركين في المنزل، تحت إشراف أخصائي العلاج الطبيعي.ووجد الباحثون أن "التمارين الرياضية خفضت السقوط لدى هؤلاء المرضى بنسبة 70 بالمئة"، مشيرين إلى أن "الإصابات الناجمة عن السقوط والألم والخوف من الوقوع مرة أخرى، يمكن أن تؤثر على صحة المرضى".

وقال الباحثون إن "هذه النتائج تشير إلى أن برامج التمارين الرياضية، تحت إشراف أطباء العلاج الطبيعي تحدّ من سقوط مرضى الشلل الرعاش ويستحسن أن تبدأ هذه العملية في بدايات الإصابة بالمرض".

جدير بالذكر أنه يمكن التدرب باستخدام السموفي في الهواء الطلق وفي مجموعات تتشارك الحركات وتتكامل في ما بينها وهو ما يجمع بين فوائد الرياضة في الطبيعة وبين الحماس والتنافس بين الأفراد. ففي دراسة نشرت في المجلة العلمية "علوم البيئة والتكنولوجيا" طلب من الرياضيين الخروج من الصالة الرياضية والقيام بتمارين اللياقة البدنية في الهواء الطلق، أي في الحدائق العامة والمحميات الطبيعية.

ووفقا للدراسة تكفي 5 دقائق فقط من تمارين اللياقة البدنية في الحديقة العامة، المشي في الحديقة أو المحمية الطبيعية أو في بيئة خضراء أخرى، من أجل تحسين الصحة الجسدية والنفسية على حد سواء.

ويعرّف الباحثون المشاركون في الدراسة تمارين اللياقة البدنية بـ"الخضراء" للحديث عن ممارسة التمارين في البيئة الطبيعية. وأشارت العديد من الدراسات لوجود أدلة تدعم ذلك، فتمارين اللياقة البدنية في الهواء الطلق تقلل من احتمال الإصابة بالأمراض النفسية وتحسّن من الإحساس بالرفاهية والسعادة والسكون لدى الإنسان.

وحلل الباحثون 1252 استبيانا لأشخاص (من أعمار مختلفة، نساء ورجالا على حد سواء، ومن مختلفي الصحة النفسية) من الذين اشتركوا في 10 دراسات مختلفة أجريت في إنكلترا. بهذا استطاع الباحثون أن يبينوا أن تمارين اللياقة البدنية بوجود بيئة طبيعية تؤدي إلى تحسن في الصحة الجسدية والنفسية.

> جهاز السموفي قادر على حرق كمية سعرات حرارية أكثر بنسبة 30 بالمئة، أثناء بعض الرياضات كالمشي والركض البطيء

ودرسوا تمارين رياضية مثل المشي وركوب الدراجة الهوائية وركوب القوارب الشراعية وركوب الخيل، فكانت التغييرات الأكبر لدى الشباب والمرضى النفسيين، على الرغم من أن الأشخاص من جميع الفئات العمرية والمجموعات الاجتماعية استفادوا من فعالية تمرين اللياقة البدنية في الطبيعة.

وقال الباحثون "نحن نؤمن أن بإمكان الأفراد الاستفادة كثيرا من تمارين اللياقة البدنية في الهواء الطلق وإذا حافظ الأفراد على روتين تمرين كهذا، ستضطر الخدمات الطبية إلى تخصيص مال أقلّ للتعامل مع المشاكل الطبية".

وتوصي الدراسة الهيئات الحكومية ببناء الإرشادات التي تدعم تمارين اللياقة البدنية بالهواء الطلق والحدائق. وحثت هذه الهيئات على تطوير البيئات الخضراء التي تسمح بممارسة تمارين اللياقة في الطبيعة لصالح صحة الجمهور وتقليل الإنفاق على الصحة.

ويؤكد مدربو اللياقة أن برنامج اللياقة البدنية الذي يشمل بداخله بيئة خضراء طبيعية والتي تلبي الاحتياجات الاجتماعية والنفسية على حد سواء فعالة أكثر عندما تتحول إلى جزء من الحياة، وليس نشاطا عرضيا.

التنحيف يتحول إلى هوس الرشاقة

❑ **لندن** – الحصول على جسم نحيف خال من الدهون المتراكمة والمكتنزة يكاد يكون حلما صعب المنال للكثير من الفتيات والنساء في العالم العربي. وحتى بعد النجاح في عملية إنقاص الوزن، تواجه السيدات تحديا أكبر حجما يصيب عدد كبيرا منهن بالإحباط، في كثير من الأحيان. التحدي الثاني والأصعب هو الحفاظ على الوزن الجديد الأقل كيلوغرامات. والغوص في هذه المتاهة، دفع بالحالمات بالرشاقة إلى إجراء عمليات الشفط وعمليات تضييق المعدة، بحثا عن نتائج فعالة في وقت قياسي يجنبهن "عناء" الرياضة.

وظهرت طريقة تنحيف حديثة مثيرة للجدل لما لها من مخاطر وعواقب على الجسد. فقد نشرت صحيفة الديلي ميل البريطانية تقريرا عن نظام غذائي جديد يرتكز على الامتناع عن الأكل تماما ويطلق عليه اسم "كان" (كاي إي أن) اختصارا لعبارة "النظام الكيتوني للتغذية الداخلية".

> نظام «كان» يعتمد على دفع الجسم إلى حافة التجويع ليجبره على استهلاك الدهون المخزنة به للحصول على الطاقة

ويعتمد هذا النظام "الصادم" على توصيل أنبوب مباشرة للمعدة عن طريق الأنف لتوصيل سائل من البروتين والمكملات الغذائية. ويكون ذلك الأنبوب موصلاً بمضخة تعمل على مدار 24 ساعة، لضخ كمية من ذلك السائل تصل إلى لترين يومياً للمعدة.

ويجب على متبع ذلك النظام التنحيفي المثير للجدل أن يحمل المضخة والسائل معه بصفة دائمة في حقيبة تحمل باليد أو على الظهر، وكذلك يجب أن يعلّق تلك الحقيبة بجانب سريره أثناء النوم. ومسموح لمتّبع هذا النظام أن يزيل المضخة لمدة ساعة واحدة يومياً، إما للاستحمام، أو لتناول كوب من المياه أو الشاي أو القهوة أو شاي الأعشاب (بدون حليب أو سكر أو محليات).

وعندما يقرر الملتزم بهذا النظام أن يشرب أو يأكل الأشياء الخطأ، سيعرض نظامه للفشل.

ويعتمد نظام "كان" على دفع الجسم إلى حافة التجويع ليجبره على استهلاك الدهون المخزنة به للحصول على الطاقة. ويعمل ذلك النظام بسرعة، حيث أنه يساعد في أن يفقد الجسم نحو 10 بالمئة من وزنه خلال 10 أيام فقط، دون الشعور بالجوع أو فقدان أيّ من العضلات. يذكر أن هذا النظام التنحيفي بدأ تطويره في إيطاليا عن طريق جيانفرانكو كابيللو وهو أستاذ مساعد للجراحة العامة في مستشفى "لا سابينزا" في روما. ويعد كابيللو خبيراً في مجال التغذية الصناعية، وقد عالج نحو 40 ألف مريض بنظام "كان" الغذائي. ويعتقد دكتور راي شيدراوي، وهو استشاري أمراض الجهاز الهضمي بمستشفى جامعة "هاميرتون" في لندن، أن هذا النظام سيمثل مستقبل فقدان الوزن ليس فقط في بريطانيا بل في العالم.

نظام «كان» يفقد الجسم 10 بالمئة من وزنه في 10 أيام

ويضيف "دون الكاربوهيدرات.. يحدث شيئان، أولاً أن المريض لا يشعر بالجوع. وثانياً يبدأ الجسم في حرق الدهون المخزنة بشكل كبير، حيث يستمر معدل الحرق على مدار الـ24 ساعة. وكلما زاد وزن المريض، كلما زاد معدل حرق الدهون. فيفقد المريض ما بين 4 إلى 9 بالمئة من وزنه خلال 10 أيام".

يذكر أن المريض يجب أن يتبع نظاماً غذائياً صحياً بعد إزالة الأنبوب (بعد 10 أيام).

ويعتبر نظام "كان" مناسباً لأيّ مريض، باستثناء من يعاني من مشاكل في الكلى أو من يعاني من حساسية من بروتينات الألبان. كما ينصح به لمن لديه مشاكل بالقلب.

وبحسب دكتور شيدراوي، فإن المشكلة الوحيدة التي قد يعاني منها متبع ذلك النظام هي الإمساك وذلك نظراً لعدم تناول الألياف، كما أن التخلص من الكيتونات يكون عن طريق البول والنفس وهذا قد يتسبب في رائحة كريهة للنفس.

من ختان الإناث إلى العذرية الاصطناعية.. جرائم الشرف عفة باهظة الثمن

شرف المرأة في إنسانيتها لتتحرر من عقد مجتمعها

تعرف المجتمعات العربية بهوسها في المحافظة على جزئية صغيرة من جسد المرأة باسم الشرف أكثر من حرصها على المرأة في حد ذاتها. في المقابل تحاول بعض المنظمات الدولية والجمعيات النسائية تحدي الأعراف والنواميس العربية لإنقاذ الأنثى من مشرط الختان، الذي سافر مع الجدات والأمهات حتى إلى أشد الدول المتقدمة، رفضا له، ومن أدوات فحص العذرية ومن طقوس أشبه بالطلاسم السحرية ضمانا لقطرات دم ليلة الزفاف عوضا عن برك من دماء تقبر الأنثى دون أن تدافع عن نفسها.

حذام خريّف
صحافية تونسية

❏ "الشرف"، كلمة قصيرة في عدد حروفها لكن مدمرة من ناحية تأثيراتها اجتماعيا ونفسيا وثقافيا، في صورة تلخّص عمق تعقيداته جملة شهيرة من قصة حادثة شرف ليوسف إدريس عندما علا صوت أم جورج وهي تقول مزغردة "سليمة إن شاء الله والشرف منصان".

قد تكون فعلا فاطمة (بطلة القصة) سليمة، من الناحية الفيزيولوجية المجتمعية المحددة لهذا الشرف (غشاء البكارة). لكنها انهارت معنويا وتغيّرت نفسيا. لم تفقد فاطمة عذريتها لكنها فقدت براءتها. لم ينتهك "شرفها" لكن انتهكت إنسانيتها. في صورة تكررت، وتتكرر آلاف المرات، في مجتمعات الشرف فيها مرادف للدم.

جاء في تعريف الشرف أنه مجموعة من القيم الأخلاقية منها العلوّ والصدق والإخلاص والتربية الحسنة، ومن معانيه أيضا صيانة العرض واحترام الكلمة. الشرف إنسانية وسلوك لا سبب تُزوّج بمقتضاه البنت غصبا لأنها تعرضت للاغتصاب. وتُقتل ضحية والحجّة الدفاع عن الشرف. وتُختن لأن ذلك من علامات الطهارة والعفة. وتطول قائمة الممارسات التي تتعرض لها الفتاة وتحوّل هذا الشرف إلى حمل لا ينزاح عن كتفيها إلا بـ"الدخلة البلدي".

يكشف البحث في الشرف عن مرض اجتماعي مزمن تعاني منه المجتمعات العربية. كما يكشف أن التغيير لا يأتي بترديد الشعارات والمفاهيم التحررية والتوقيع على الاتفاقيات ولا بتبني الأفكار النسوية النخبوية في مفهومها الجنسي المتمرّد، أي في صورتها المؤنثة للمجتمع الذكوري.

إذا الموؤودة سئلت

يصف مراسل وكالة الأنباء الفرنسية عملية ختان حضرها قائلا "في إحدى قرى ناحية قلعة دزة (في كردستان العراق)، حيث تمتهن امرأة مسنة ممارسة الختان، دخلت شوين ذات الأعوام الأربعة وهي تحتضن لعبة بلاستيكية إلى الغرفة دون أن تعرف ما ينتظرها. أمسكت بها والدتها بعد أن أجلستها على بطانية قديمة، وما هي إلا لحظات حتى أخرجت العجوز موسا للحلاقة وقطعت جزءا صغيرا من جهاز الطفلة التناسلي. ثمّ قامت المرأة برش الجزء المصاب بالرماد بغية التئام الجرح بسرعة ولكي تتخثّر الدماء ولا تتعرض الطفلة للنزيف. وأوصت العجوز والدة الطفلة بغسل الجرح بالماء والصابون لثلاثة أيام وترطيبه بمرهم للعيون".

مثل هذا المشهد المؤلم يتكرر في مناطق عديدة لا تزال تتمسك بهذه العادة العنيفة رغم التنديدات الدولية والقوانين التي تجرّمها. ووفقا لإحصائيات الأمم المتحدة يبلغ عدد النساء المختونات 200 مليون امرأة على مستوى العالم، يعيش نصفهن في مصر وأثيوبيا وإندونيسيا، كما أن أكثر من 90 بالمئة من النساء في الصومال وغينيا وجيبوتي مختونات.

يزعم المدافعون عن هذه الممارسة أن ختان البنت يحميها من الانحراف ويضمن حسن أخلاقها ويحمي عفتها. والختان يساعد على بلوغ البنات واكتمال أنوثتهن كما أنه نظافة لهن.

وترفض مجتمعات أخرى هذه الممارسة وتنتقدها، لكنها وللمفارقة تنتشر فيها ممارسات وعادات أخرى، قد تختلف في الشكل، وبعضها أقل بشاعة وضررا، لكن لها نفس الغاية والتبرير المرتبط بحماية الشرف. في تونس مثلا، هناك عادة تعرف بـ"التصفيح". وهذه الممارسة موجودة في مجتمعات عربية أخرى لكن بتسميات مختلفة، ففي الجزائر مثلا يطلقون عليها اسم "الربيط" وفي المغرب "التقاف".

في تونس، يتم هذا الطقس، الذي تشرف عليه امرأة مسنة ضالعة في هذه العملية، بجرح الفتاة قبل بلوغها سبع جروح على فخذها أو ركبتها اليسرى. ثم تغمس 7 حبات من الزبيب في الدم الذي ينزف من الجرح وتأكلها البنت وهي تردد "أنا حيط (حائط) وابن الناس خيط".

وعن طريق هذه العملية يتم "غلق" البنت، بحيث تصبح غير قابلة للمعاشرة الجنسية ولا تفتح إلا ليلة الزفاف، وبطريقة مشابهة لطريقة 'الغلق"، لكن تختلف على مستوى ما تردده البنت حيث تصبح هي "الخيط" وابن الناس "الحيط".

الأهم في هذه العملية، التي يشترط فيها السرية، أن تبقى المرأة التي قامت بالعملية على قيد الحياة، أو تورّث الطريقة وأسرار الربط إلى امرأة أخرى، لتقوم بـ"حلّ" الفتاة قبيل الدخلة، وإلا فلن يتمكن زوجها من الاقتراب منها.

فيما يقول البعض إن هذه الممارسة تقلّصت، ولم تعد موجودة إلا في بعض المناطق الداخلية، يذهب آخرون إلى قول العكس، مشيرين إلى أن ارتفاع نسب الاغتصاب والتحرش، والتغيرات الثقافية والسكانية التي طرأت على المجتمع، أدى إلى العودة إلى مثل هذه الممارسات.

فحص العذرية في بعض المجتمعات بات شرطا مؤكدا لإتمام الزواج رغم أن الحقائق العلمية تؤكد ظلم هذا الفحص. فهناك عدة أنواع لغشاء البكارة وبعضها يسمح بحصول المواقعة الجنسية دون أن يتمزق. وعدد كبير من النساء المتزوجات لا يفقدن غشاء البكارة إلا بعد عملية الولادة. وهذا الغشاء معرض للتمزق نتيجة أيّ حادث قد يكون بسيطا. فتاة صغيرة تلعب على المرجوحة أو تركب على دراجتها الهوائية على أثر حركة ما تمزق هذا الغشاء، هل تعتبر فاقدة للشرف؟

المرأة تدفع ثمن أنوثتها منذ الصغر

من يتحمل المسؤولية

منذ مدة تتعالى الأصوات في تركيا ولبنان وتونس ودول عربية عديدة مطالبة بتعديل القوانين التي تجيز إسقاط التهمة عن المغتصب إذا تزوج من الضحية. كل الحملات والكتابات والشعارات التي رفعت منددة بهذه القوانين، سبق أن ظهرت في مناسبات كثيرة. ونفس العبارات تردد منذ سنوات طويلة تطالب بتعديل القوانين، لكن هل هي حقا أزمة قانون؟

وفرضا لو تم تعديل المادة 277 من القانون التونسي والمادة 308 من قانون العقوبات الأردني والمادة 522 من القانون اللبناني والمادة 475 من القانون المغربي، وغير ذلك من النصوص التي تقضي بسقوط العقوبة عن الجاني في حال تم الزواج بالمغتصبة، هل ستختفي هذه العادة؟

القانون الجنائي المصري ألغى المواد 291–290 المتعلقة بالإعفاء من العقوبة إذا تزوّج الجاني المعتدى عليها، منذ عام 1999، وفي عدد قليل من الدول العربية لا توجد مثل هذه النصوص القانونية، لكن ذلك لا يلغي هذه المقايضة، خوفا من الفضيحة وصونا للشرف.

يسقط الحكم على المغتصب بمجرّد أن يقبل الزواج من ضحيته التي اغتصبها، عرف وقانون يطبقان في لبنان بلد الانفتاح، ويحدث أيضا في تونس، بلد حقوق المرأة، ويحدث في مصر وفلسطين والأردن والجزائر وغيرها من الدول.

تزويج المغتصبة بمغتصبها، ليست الجريمة الوحيدة المسجلة تحت خانة الشرف، ففي بلد مثل الأردن، عاديّ أن يقتل أخ أخته. إذا شكّ فيها، يرديها قتيلة وتقيد الجريمة «جريمة شرف». يشهد الأردن سنويا من 15 إلى 20 جريمة قتل تصنف على أنها جرائم شرف.

لحظة غضب تبدد كل الحب الأخوي. ولم يعد يتردد إلا صدى صوت يقول «لا يغسل العار إلا الدم». شخص ليس لديه السلطة القانونية أو الشرعية لتنفيذ الحكم بـ«المتهمة» التي لم تتمتع بحقها في الدفاع عن نفسها وكرامتهاوحقها في الحياة ما هي عقوبته؟ بضعة أشهر يخرج بعدها «المتهم البريء» من السجن مرفوع الرأس، لأنه دافع عن شرفه.

لكن، الأخطر من هذا القانون، في بلد مثل الأردن، هو قانون حبس الضحية. إذ يتم بمقتضى هذا القانون حبس النساء اللاتي يتعرّضن لمخاطر القتل، ولمدة غير محددة. يعني من الممكن أن تقضي المرأة المهددة حياتها سنوات في الحبس قبل السماح لها بالخروج.

ستبقى هذه الممارسات والقوانين موجودة، وستبقى العائلات تختن بناتها وتزوجهن غصبا وتقتلهن ظلما، وسيبقى هناك نواب شعب يطالبون بتقنين فحوص العذرية، وستبقى مختلف مظاهر وأد البنات مهما تقدمت المجتمعات وعلا مستوى تعليمها موجودة.

إن ما يمحو هذه الممارسات ليس النص القانوني الذي كتبه مشرّع، والذي قد يكون بدوره متأثرا بثقافة الشرف في بعدها الجنسي، بل عقلية مجتمعية الشرف عندها صدق وعمل وتربية خالية من العقد والتابوهات المتحجرة، لا فقط قطرات الدم التي تسال ليلة الزفاف، فماذا لو كان غشاء البكارة مطاطيا؟

الأمر لا علاقة له بالانفتاح والتحرر في مفهومه الجنسي المتمرد على مفهوم الشرف في المجتمعات الذكورية، بل هي مبادئ يُنشأ عليها الأفراد، ذكورا وإناثا. مبادئ لا تتلقّاها بشكل مباشر ولكن ضمن تحذيرات مبطنة. البنت تكبر ولا تفهم مكونات جسدها، كل ما تعيه هو أنها تحمل "أمانة" يجب أن تحافظ عليها لأنها ليست ملكا لها بل ملك زوجها وإن فقدتها فإن عار جريمتها عقابه الموت. والفتيان يمارسون عاداتهم السرية والإحساس بارتكاب الخطيئة يلاحقهم. هذا يكشف أن المشكل في تربيتنا، والحل أيضا في تربيتنا.

لا يمكن أن ألوم أخي، الذي درس في جامعة فرنسية، لأنه حين أراد أن يتزوج بحث عن "بنت الحلال" بكل ما يحمله هذا التوصيف المجتمعي من دلالات يأتي "الشرف" بمفهوم العذرية في مقدمتها. بعض الناشطات في مجال حقوق المرأة يرفع الشعارات المنددة لـ"تجنيس الشرف، هؤلاء الأمهات سيردين على بناتهن، وإن كان لا شعوريا، ما تعلمنه من أمّهاتهن وجدّاتهن عن شرف البنت الذي "زي عود الكبريت ما يولعش غير مرة وحدة".

لكن حتى هذا الأمر بات من الممكن تجاوزه، وأصبح من الممكن أن "يولّع" مرة أخرى بفضل عمليات ترقيع البكارة وغشاء البكارة الصيني ولم يعد هناك مشكل، فالمال يمكن أن يشتري الشرف. ومن أجل هذا الشرف نبرر الخداع والكذب والتزييف.

ستار الشرف

يقول الباحث حسن عباس في دراسة حملت عنوان "الخطاب الشبقي عند العرب: رفعة مكانة الجسد في التراث"، "لم تكن المرأة في نظر العرب مخلوقا ثانويا مسيطرا عليه بالتمام كما يعتقد الكثيرون بل كانت لغزا يتطلّب البحث لسبر عمقه. طبعا لم يخرج هذا اللغز عن تصوّرات مجتمع بطريركي في طبيعته، لكنه مجتمع يبدو شديد الخوف من الأصل الأمومي للمجتمعات، وهذا ما تعبّر عنه الخشية الدائمة من المرأة. فالأنثى لغز يجد حلّه الدائم في إطار التصوّرات الشبقية".

إذا أخذنا بهذه الفكرة، بالإضافة إلى متابعة سريعة في التراث العربي، ممّا قبل الإسلام، تنقلب الصورة. لم تكن المرأة في نظر العرب مخلوقا ثانويا مسيطرا عليه كما يعتقد الكثيرون. المجتمع الذكوري العارف بقوة المرأة وخطورتها، يخشى القوة، فأرسى مجموعة من القواعد المحددة للعلاقة وسجن المرأة في إطارها. وقد وجد في قصة الشرف ستارا يمكن الاحتماء به.

رغم تطور الثقافة الجنسية عبر توفّر الوسائل الرقمية وتكنولوجيات الاتصال والمعلومات، وظهور المجتمع الافتراضي، يبقى العقل العربي وتصوراته فيما يتعلق بالشرف والمرأة والعذرية على حاله.

سيأتي يوم نتخلص فيه من هذا الكبت، لكن، التغيير يحتاج عقودا ليتحقق، وليتحقق يحتاج ثقافة وتعليما خاليين من ترسّبات القراءات المشوهة للدين والتراث ومن عقد التابوهات. سيتحقق ذلك عندما تتعلم البنت الحفاظ على شرفها ليس خوفا من العار بل لأن في ذلك صون لإنسانياتها. وعندما يتعلم الولد أن الشرف عمل وإخلاص وأن الرجولة قيمة إنسانية لا جنسية.

> مهما تقدمت المجتمعات ستبقى الممارسات والقوانين موجودة، وستبقى العائلات تختن بناتها وتزوجهن غصبا وتقتلهن ظلما، وسيبقى هناك نواب شعب يطالبون بتقنين فحوص العذرية

الشرف سلسلة يكبل بها المجتمع الذكوري الأنثى

الطيب الطويلي
باحث في علم الاجتماع

❏ لطالما كان الشرف لدى العرب مرتبطا بالأنثى، فالمرأة في المخيال العربي دلالة على سطوة الرجل ومحدد لهيمنته الذكورية، فمنذ الجاهلية كان يتم التعامل مع الأنثى على أنها وصمة عار محتملة، ولنا في وأد البنات الشهير في التراث العربي مثال بيّن على اعتبار الأنثى مقياسا محددا لشرف الرجل أو لعاره.

وقد يكون لارتباط الشرف بالمرأة في المجتمعات العربية مبرر عندما كانت المرأة العربية قعيدة المنزل، رهينة لقوامة الرجل ولسلطته المادية والمعنوية، ممنوعة من القيام بالأدوار الاجتماعية التي تقوم بها اليوم، ولا تعدو أن تكون شيئا جنسيا غرضه إمتاع الرجل وإشباع غرائزه أو كبته الجنسي والذكوري بما للذكورة من ميولات للهيمنة والعدوانية.

وقد بقي مفهوم الشرف العربي منحصرا في جسد الأنثى العربية، فلا تزال عذرية المرأة العربية محددا لشرفها وشرف عائلتها، ولم يتطوّر المنظور العربي للشرف رغم تطور المجتمع، وتطور المرأة العربية والطفرة العلمية التي تحققت في العالم، فالعذرية محدد لشرف المرأة العربية رغم اختراع العذرية المصطنعة، ورغم اكتشاف أن التكوين الفسيولوجي لبعض النساء يختلف عبر تواجد غشاء بكارة مطاطي لا يسمح بتدفق الدم عند أول علاقة، ورغم تطور الثقافة الجنسية عبر توفر الوسائل الرقمية وتكنولوجيات الاتصال والمعلومات، وظهور المجتمع الافتراضي، يبقى العقل العربي وتصوراته فيما يتعلق بالشرف والمرأة والعذرية على حاله شبيها بالعقل الذكوري الجاهلي، ولم يتغير مع تغير طبيعة المجتمع، وتغير علاقة الجسد الأنثوي بالمحيط الاجتماعي والثقافي.

"شرف الإنسان في العمل" يقول اليابانيون، وشرفه لدى بعض الشعوب يكمن فيما يقدمه من الخير للآخرين، أو في مقدرته على كظم الغيظ والتسامح، أما العرب فشرفهم مقتصر على البعد الجنسي للمرأة أساسا، باعتبار أن الذكر لا تثريب عليه إذا قام بعلاقات متعددة، باعتبار أن بعض منظري علم النفس يرون أن رواء طبيعة الذكر الجنسية يتمثل في القيام بعلاقات جنسية متعددة، أما رواء طبيعة الأنثى فيتمثل في انتقاء المخصّب الوحيد الأفضل.

وإن اختلاط المعايير الجنسية والأخلاقية والاجتماعية ونقص الثقافة الجنسية للمجتمعات العربية يساهم في مراكمة الكبت الجنسي والعاطفي لدى الأفراد، هذا الكبت الذي يمكن أن يتفجر في أيّ لحظة عبر أشكال عدوانية مثل الاغتصاب أو التحرش أو الاعتداء الجنسي على الأطفال أو في الميل إلى المثلية الجنسية. وحتى تكون للطفل تنشئة اجتماعية سليمة، لا بد أن يكون للتربية الجنسية حضور فيها، حيث يخرج الجنس من بوتقة المحظور والممنوع والتابو، باعتبار أن على الفرد اكتشاف أعضائه الجنسية ووظائفها ومدى حميميتها وخصوصيتها بالنسبة إليه، وهذا التكوين الجنسي المبكر يكوّن لدى الطفل ثقة في نفسه وجسده، وثقة أكبر في والديه. فلغياب التربية الجنسية في تقديري دور في صمت الأطفال الذين يتعرضون للتحرش أو الاغتصاب. هذا الصمت الذي يشجع الجاني على العودة إلى فعلته مع نفس الطفل أو مع غيره.

كما أن غياب التربية الجنسية يزيد من صمت الآباء عن الحديث في هذه المواضيع ويولّد لديهم رهبة وخوفا لدى تعرض ابنهم لأيّ شكل من أشكال الاعتداءات الجنسية، وهو ما يزيد من ترسيخ مفاهيم مثل "العار" و"الحشمة" عند محاولة فضح أيّ تصرف عدواني شاذ على الأطفال. كما أن إرساء تربية جنسية سليمة للأطفال لا يتنافى مع المعايير المجتمعية العربية، بل ستساهم هذه التوعية بشكل كبير في الحد من ظاهرة الاعتداء الجنسي على الأطفال وكذلك في تكوين أجيال جديدة متحرّرة من الفكر التقليدي الذي يجعل من الجنس الطوطم الذي ينحني حوله ويصمت في حرمه كل أفراد المجتمع.

المرأة تفضل الرجل الغني على الحب لضمان مستقبلها

المال قوام العواطف والقلوب وليس الحب

تغيّرت الكثير من المفاهيم الخاصة بالزواج، فلم يعد الحب هو السبب الرئيسي وراء اكتمال القصة العاطفية وتتويجها بالزواج، بل أصبح المال والمادة يشكلان مصدرين أساسيين لموافقة المرأة على الزواج من شخص ما، معتبرة أن الحب والرومانسية من شأنهما أن يأتيا بعد الزواج مع العشرة، لكن المال من الأشياء الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها لضمان مستقبلها ومستقبل أسرتها.

الحب يتلاشى أمام المال

القاهرة - أصبحت المسائل المادية بالنسبة إلى البعض من النساء أهم من قصص الحب والعلاقات الرومانسية، فعلى الرغم من أن المرأة معروفة بكونها عاطفية وتهتم بالدرجة الأولى بالحب والاهتمام بشريك الحياة، إلا أن الكثير من النساء أصبحن يفضلن الارتباط بالرجل، أما الحب فهو من ضمن المظاهر والشكليات التي لا تنفع ولا يمكن الاعتماد عليها لضمان حياة مادية جيدة.

ووجدت دراسة بريطانية أجرتها جامعة ليفربول، أن الكثير من النساء البريطانيات يعتقدن أن الرومانسية لم يعد لها وجود، وأن المال قد حلّ محلها، حيث توصل الباحثون إلى أن الغالبية العظمى تميل إلى الحصول على مبلغ من المال بدلا من الدخول في قصة حب أو الحصول على حب حقيقي.

وتوصلت الدراسة إلى أن الفئة العمرية من 35 إلى 44 عاما هي الأكثر تفضيلا للمال، واعتبر 40 بالمئة منهم أن المال يعدّ أكثر أهمية من الحب.

وكان الأمر مختلفا بالنسبة إلى الشباب حيث وجدت الدراسة أن 35 بالمئة من الشبان البريطانيين من الفئة العمرية 18 إلى 24 سنة أعطوا أهمية متساوية للحب والمال.

وكشف الباحثون أن المال أصبح هو المسيطر الأساسي في موازين القوى بالنسبة إلى النساء، فالرجل الذي يملك المال يملك القوة، والإنسان بطبيعته يميل إلى القوة والشعور بالأمان، وربما يرجع ذلك إلى تفضيل الفتيات للرجل الغنيّ حتى ولو كان ممن يحمل بعض الصفات السيئة الأخرى التي لا تقبلها أي فتاة سواء من حيث المظهر أو من حيث طبيعة الشخصية.

وأشارت دراسة برازيلية أجرتها سيليا جونيور، الباحثة في العلاقات الاجتماعية، إلى أن نحو 38 بالمئة من النساء يعشن مع أزواج أغنياء فقط لأنهم يوفرون لهن حياة كريمة، وأكدت هذه النسبة أنه لا يوجد مكان للحب عندها لأنّ المال هو الحب بالنسبة إليها، فهو الذي سيحقق لها كل شيء تتمناه.

ووجدت الباحثة أن العلاقة التي تبنى على المصلحة تكون مفرغة الجوهر والمضمون، لأنّه بمجرد تعرض الزوج لأزمة مادية ينفصل الزوجان دون بذل أيّ مجهود من الزوجة للحفاظ على هذا الزواج حتى في حالة وجود أطفال، وأرجعت السبب إلى أن الفتاة ترى في الرجل الغنيّ نضوجا يمكن من خلاله أن يؤمن لها حياة مريحة ذات مستقبل مضمون.

كما أثبتت دراسة أخرى أن معظم النساء ماديات ويفضلن الرجل الغنيّ، حتى لو كانت فيه عيوب كثيرة، فالمهم توفير المال لهن، للحصول على حياة مرفهة والتفاخر أمام صديقاتهن.

> العلاقة العاطفية التي تبنى دون أي مشاعر حب صادقة من شأنها أن تنهار بسهولة، لأن أي نقص في المال سيؤدي إلى الطلاق أو الانفصال

وأوضحت أن المرأة حالها حال الرجل، تحسّ وتحب وتكره، وما يميزها عن الرجل عاطفتها الجياشة، لكن القاسم المشترك بين النساء هو حب المال الذي يمثل لهن الحب الأول والأخير فهو مقدم على حب الحبيب والزوج.

وأظهرت دراسة أميركية أن النساء يفضلن الرجال المرتاحين مادياً والجذابين والمخلصين، لكنهن يركزن على مستوى الجاذبية بشكل كبير، وتوصل الباحثان ديفيد باس من جامعة تكساس وتود شاكلفورد من جامعة أتلنتك فلوريدا إلى أن ثمة 4 فئات من الصفات التي تبحث عنها النساء في الشريك وهي أولاً الجينات الجيدة التي تنعكس في الشكل الخارجي الجميل، وثانياً الموارد المالية، وثالثاً الرغبة في إنجاب الأطفال والتحلي بمهارات أبوية، ورابعاً الإخلاص والتفاني.

وأوضح باس أنه عند التركيز على النساء اللواتي يرغبن في شركاء رومانسيين، تقيس النساء ما يردنه بحسب ما هو موجود، أما عندما ينجذبن جسدياً فإنهن يبحثن عن معايير عالية لدى الشركاء المنتظرين.

وأفادت نتائج الدراسة أن غالبية النساء يملن إلى البحث عن أفضل المزايا التي يردنها في الرجل، وقال الباحثون إن النساء اللواتي لا يجدن شريكاً فيه كل المواصفات ويستبدلن إحدى المواصفات بأخرى، يمثلن فئة قليلة.

وتقول دعاء راجح، استشارية العلاقات الأسرية والزوجية في مصر "هناك بعض النساء بالفعل ماديات ولا ينصبّ اهتمامهنّ إلا على المادة ويفضلن الارتباط بالرجل الغني الذي يحقق لهن كل آمالهن، فالزواج أنواع؛ هناك من يتزوج من أجل الحب، وهناك من يتزوج لمجرد أنه سنّة الحياة ونصف الدين أو إرضاء للأهل، وهناك من يتزوج لتجنب الوحدة والدخول في مرحلة العنوسة، وهناك من يتزوج من أجل المال والمكانة الاجتماعية الأفضل".

وأشارت إلى أنه لا يوجد مانع من ارتباط الفتاة برجل غني، لكن أن تقوم العلاقة على أساس استغلال طرف لآخر فهذا يهدد الحياة الزوجية ويقودها إلى الفشل، لأنه مهما طال الزمان فسيأتي الوقت الذي يكتشف فيه الزوج الحقيقة، وأن زوجته وافقت على الارتباط به من أجل المال، وهنا ستكون النتائج وخيمة، لأن غنى الزوج لا يمكن أن يكون سببا في استمرارية العلاقة الزوجية ونجاحها، لكن هناك العديد من المقومات الأخرى التي تتمثل في الحب والاحترام المتبادل والتي تعتبر أساس نجاح أيّ علاقة واستمرارها.

ولفتت إلى أنه عندما يرتبط الحب بالمال سيؤول حتما إلى علاقة عشوائية لا يسعى فيها الشريك للوصول إلى قلب حبيبه، لأن المال يكون همّه الأول والأخير ولا ينظر إلى أيّ شيء آخر، فهو على رأس أولوياته، مؤكدة أن العلاقة العاطفية التي تبنى دون أيّ مشاعر حب صادقة من شأنها أن تنهار بسهولة، لأن أيّ نقص في المال سيؤدي إلى الطلاق أو الانفصال لأنّ الزوجة لا تستطيع تحمل زوجها في الأزمات لأنها تزوجته من أجل ماله، وليس من أجله هو، فتنتهي العلاقة بمجرد حصول نقص في الإمكانيات لأن مثل هذه المرأة لا يمكنها الصبر.

ونصحت استشارية العلاقات الأسرية والزوجية من يأمل في إقامة علاقة طويلة الأمد، بالتأكد من صدق مشاعر الطرف الآخر، دون النظر إلى أحواله المادية، وكم يملك من المال.

طبق اليوم

كيك مالح بالغمبري

* **المقادير:**

- 200 غرام غمبري مقشر.
- حبة فلفل أحمر.
- فص ثوم مفروم.
- 2 ملاعق كبيرة زبدة.
- 180 غراما من الدقيق.
- قشدة طرية.
- 60 غراما من الزبدة المذابة و3 بيضات.
- 80 غراما من الزيتون الأسود منزوع النوى.
- كيس خميرة كيميائية.0
- ملعقة صغيرة بيكاربونات.
- عرش ثوم قصبي مفروم.
- ملعقة صغيرة ملح وفلفل أسود.

* **طريقة الإعداد:**

- ينخل الدقيق مع الخميرة والفلفل الأسود في إناء. وتشوى حبة الفلفل (في الفرن أو فوق الفحم)، وتقشر وتزال منها البذور ثم تقطع إلى قطع صغيرة. ثم تذاب الزبدة في مقلاة على نار متوسطة، ويحمّر فيها الثوم. ويضاف الفلفل وتحمّر كل المكونات على نار متوسطة. ثم يضاف الغمبري ويطهى الكل على نار مرتفعة لمدة دقيقة واحدة.
- تزال المقلاة من فوق النار وتصفى الحشوة. ويخفق البيض في إناء وتضاف إليه القشدة الطرية، الغمبري، الفلفل، الزيتون، الملح، البيكاربونات، الثوم القصبي، خليط الدقيق والزبدة المذابة. ثم تخلط كل المكونات جيدا للحصول على عجين ثقيل ومتجانس.
- يسكب العجين في قالب كيك مستطيل مدهون بالزبدة ومرشوش بالدقيق. ويطهى الكيك في الفرن المسخن على درجة حرارة 180 لمدة تتراوح بين 35 و40 دقيقة.

موضة

تصاميم تجسد مراحل حياة داليدا

حيّا المصمم اللبناني راني زاخم من خلال أحدث مجموعاته من الأزياء الراقية النجمة الراحلة داليدا بمناسبة مرور 30 عاماً على رحيلها، مجسّداً أبرز مراحل حياتها الفنية.

وتضمنت المجموعة 39 إطلالة، حاملة الرقم 6 ضمن مجموعات راني زاخم التي اعتاد أن يطلقها من أسبوع "ألتا روما للموضة" في العاصمة الإيطالية، وتميّزت بالألوان المشرقة وبطابع الغلامور التي عُرفت به أناقة داليدا.

وقال خبراء الموضة إن زاخم استوحى من موضة سبعينات القرن الماضي وثمانيناته، ومن أناقة الديفا داليدا إطلالات أبهرت بتصاميمها وألوانها المرحة التي زيّنت أقمشة الأورغنزا، والحرير بتدرّجات الأحمر، والليلكي، والأزرق، والأصفر. ولفتت الحضور الإطلالات التي تزيّنت بالألوان المعدنية وثنائي الأبيض والأسود الذي جسّد الأناقة المتكاملة.

وعمل زاخم على أن يحاكي من خلال قصّات تصاميمه 3 مراحل أساسية من حياة داليدا تمثلت في مرحلة غنائها في الديسكو، ومرحلة "أستوديو 54"، وإطلالتها على مسرح الأولمبيا الشهير، وانطلاقاً من ذلك اعتمد 3 قصّات شكلت أساس المجموعة، وهي قصّة حورية البحر التي تُظهر تفاصيل الجسم بطريقة راقية، والقصّة المستقيمة التي تبرز القوام الرشيق، وقصّة الـ"إيفازيه" ذات الطابع الأنثوي والتي تأتي قريبة من الجسم من الأعلى وتتسع تدريجياً عند الأسفل.

زيّنت أثواب الكوكتيل القصيرة وأثواب السهرة الطويلة تطريزات "الأرابيسك" وتمّ تطريز بعض الفساتين بأحجار اللؤلؤ متعدّدة الألوان مما أكسبها لمعاناً مميّزا، كما تمّ استخدام التقنيّة ثلاثية الأبعاد لإضفاء بعد عصري على الإطلالات.

عندما تكبر سوف تفهم

سماح بن عبادة
صحافية من تونس

أجيال عديدة تربت على عبارة "عندما تكبر سوف تفهم"، وهي غالبا ما تكون الرد الذي يلجأ إليه الآباء والأمهات عندما يطرح عليهم أحد الأبناء أسئلة لا يستطيعون الإجابة عليها إما لأنهم لا يجدون الإجابة الملائمة أو لأنّ ما يسألون عنه محرج، في تقديرهم، أو لأنهم لا يريدون الإجابة من الأصل.

الأسباب مختلفة لكنّ الثابت أن الكثير من التساؤلات تظل مطروحة في ذهن الطفل ولا يجد تفسيرات تقنعه وتشبع فضوله.

تأجيل الجواب والتسويف إلى أن يبلغ الطفل سنّا معينة ليجد المعلومة التي يريد معرفتها تنم عن جهل الآباء بقيمة الفضول عند الطفل. هم يتصورون أنه مجرد فضول لا يستحق الاهتمام ولا عناء البحث عن الإجابة في حين أن البحوث العلمية أكدت أن طرح الطفل للأسئلة يدل على أنه ينمو بشكل جيد وبأن دماغه بدأ يعمل على البحث عن المعلومة لتخزينها. كما كشفت أنه يقدم أدلة على تطور ذكاء الطفل ونمو مداركه العقلية. لكن الكثير من الآباء يجهلون هذه المعطيات والنتيجة تكون في أغلب الحالات سيئة.

كنت دوما أرد متى سأكبر لأفهم؟ وبقيت الكثير من الأسئلة عالقة في ذهني لسنوات بسبب عبارة "عندما تكبرين سوف تفهمين". اليوم فهمت الكثير من الأشياء ووجدت بنفسي الأجوبة. وتفطنت إلى أن بعض الإجابات على تساؤلاتي كانت سهلة لكنّي لم أجدها وأحيانا كانت بعض الأجوبة تتطلب قليلا من الاجتهاد من الكبار لتبسيط المعلومة بحسب ما يتناسب مع قدرتي على الفهم.

الأكيد أن آباءنا وأمهاتنا لم يكونوا يعيرون اهتماما لأسئلة الطفولة ولا يرهقون أنفسهم في الإجابة عليها ولا في البحث عن الطريقة المثالية التي تمكنهم من تبليغ المعلومة التي يبحث عنها الطفل بشغف المعرفة.

اليوم وبعد أن أظهرت الدراسات في علوم التربية وعلم النفس أهمية طرح الأسئلة في سنّ مبكرة وفسّرت معانيها ودلالاتها ونصحت الأولياء بمجاراة الطفل وتفهم لهفته للاكتشاف والمعرفة، وبعد أن أصبحت وسائل الاتصال والتواصل تساهم بشكل فعال في نشر الوعي لدى الآباء وتقدم لهم المساعدة والنصح لكي يكتشفوا طرق التربية المثالية وليتعرفوا على أساليب تبسيط المعلومة للطفل تجنبا لتجاهل تساؤلاته، تكوّن وعي لدى البعض من الآباء والأمهات وباتوا يعيرون أسئلة الطفل الأهمية التي تستحق.

وتتصدر الحماية من البحث على المعلومة والأجوبة من مصادر قد تكون غير موثوقة لائحة الأسباب التي تحفز الوالدين على مد الطفل بالأجوبة على تساؤلاته. وتلك الأجيال التي تربت على عبارة "عندما تكبر سوف تفهم" وكرهت بسببها الانتظار وملت إهمال رغبتها في المعرفة والاكتشاف تحاول اليوم أن تتحسس السبيل الذي يجنبها تكرار تلك الإجابة على تساؤلات أبنائها. أحيانا أستغرق وقتا طويلا لأجد الطريقة المثلى التي تساعدني على إعطاء ابني الأجوبة التي تشبع فضوله والتي يمكنه أن يستوعبها وتبدو له مقبولة ومعقولة بحسب نموه الإدراكي والمعرفي، لكن صعوبة الإجابة وعناء إيجاد الطريقة المبسطة التي يتقبلها بها لم يحولا دون اجتهادي في ذلك ولم يدفعاني إلى تكرار عبارة "عندما تكبر سوف تفهم يا بني".

ويظل السؤال الوجودي الأكثر تداولا وطرحا عند الأطفال موجودا بقطع النظر عن التاريخ والزمان والجيل الجديد والقديم وهو كيف أتيت إلى هذه الدنيا؟ يبدو لي أن كل الأطفال طرحوا هذا السؤال ومن بين الأجوبة الطريفة التي أستذكرها أن أمي كانت تقول إنها عندما استيقظت ذات يوم وجدتني بجانبها وتضيف أن الله أهداني إليها. لكن هذه الإجابة لم تكن مقنعة بالنسبة إليّ وكانت تجرّ وراءها سيلا من الأسئلة: لماذا أهداني لك؟ وما هي المناسبة؟ ومن جاء بي ووضعني بقربك في الفراش؟... الخ وكانت والدتي من زخم الأسئلة التي أطرحها عليها تمل وتسكتني وأحيانا تطردني من جوارها وترد على احتجاجي على ذلك قائلة "عندما تكبرين سوف تفهمين.. توقفي الآن عن التحقيق".

اليوم كبر ابني ووجه لي نفس السؤال؟ كان أول رد فعل صدر منّي أن ابتسمت بعد أن ذكرني في إجابة أمي. وحاولت أن أجيبه إجابة يستطيع استيعابها والأرجح أنني فشلت لكن قدمت له ما يرضيه ويفهمه ولم يكرر السؤال. هذه التجربة على بساطتها جعلتني أكتشف الوجه الآخر للعبارة المملة في تكرارها "عندما تكبر سوف تفهم"، قدرت أن والديّ كانا أحيانا يجهلان الطريقة التي تمكنهما من الإجابة عن تساؤلاتي بأسلوب يصعب أحيانا على المختصين في علم نفس الطفل وفي التربية إيجاده. بالطبع في حال كانت الأجوبة صعبة الفهم في سن معينة لكن لومي يظل قائما إذا كان ذلك ردا مجانيا على سؤال سهل.

وتفطنت أن هذه الإجابة قد تكون ملائمة ووجيهة في حال تعلق الأمر بنصيحة أو بحكمة أو بخلاصة تجارب الوالدين فهي تفترض بالضرورة أن يكبر الطفل ويجرّب ما في الحياة ليصل إلى نفس النتيجة ويفهم وقتها ما أراده والداه أن يفهمه في الكبر أو في سن النضج.

قائد يختار توقيت انسحابه بحكمة ويدير ظهره للخطط الإدارية

قرار اعتزال فيليب لام يفاجئ إدارة بايرن ميونيخ الألماني

سجل خالد للقائد العملاق

عندما تدق ساعة الصفر معلنة النهاية، حينها يركن الجميع إلى متابعة الخبر وتتبع أدق التفاصيل، ولكن أيّ تفاصيل تلك المتعلقة بقائد عملاق في حجم فيليب لام الألماني، الذي اتخذ قرارا نهائيا بوضع حد لمسيرته الكروية مع نهاية الموسم الحالي رافضا البقاء في النادي وتسلم أيّ خطة إدارية.

❑ **برلين** – فاجأ فيليب لام ناديه بايرن ميونيخ الألماني وزملاءه بالإعلان عن قرار اعتزال اللعب نهائيا مع نهاية الموسم الحالي، ورفضه تولي منصب المدير الرياضي للنادي البافاري، وسط مؤشرات توحي بتباين في وجهات النظر بينه وبين إدارة الفريق.

فبعد خوضه مباراته الرقم 501 في صفوف بايرن ميونيخ ضد فولسبورغ في كأس ألمانيا الثلاثاء (1–0)، أكد قائد منتخب ألمانيا الفائز بكأس العالم في كرة القدم 2014، صحة ما أشارت إليه التقارير الصحافية بأن لام قرر اعتزال اللعب قبل نهاية عقده بسنة واحدة.

وأصدر الرئيس التنفيذي للنادي كارل هاينتس رومينغه بيانا الأربعاء، كشف فيه أن النادي "فوجئ بقرار لام ومستشاره"، مشيرا إلى أنه كان يفترض أن "يتم إصدار بيان مشترك" من قبل الطرفين.

ونوه رومينيغه إلى "أن الباب يبقى مفتوحا دائما للام في بايرن ميونيخ"، إلا أن اللاعب البالغ من العمر 33 عاما قرر الرحيل عن العملاق البافاري الذي انضم إلى صفوفه وهو في الحادية عشرة (عام 1995).

ويبدو توقيت قرار لام غريبا، لكن قيام صحيفة "بليد" بتسريب الخبر الثلاثاء قبل إعلانه رسميا، أرغم اللاعب على تأكيد اعتزاله.

وكشف رئيس بايرن ميونيخ أولي هونيس "الجمعة الماضي، رفض لام عرض رومينيغه تولّي منصب في النادي، لكن لم نكن في وارد الإعلان عن ذلك قبل مباراة مهمة ضد شالكه السبت".

> اللاعب قصير القامة شارك في 113 مباراة مع الـ«مانشافت»، سجل فيها خمسة أهداف. أما مع النادي، فأحرز لقب الدوري 7 مرات، والكأس 6 مرات وكأس السوبر 3 مرات، بالإضافة إلى دوري أبطال أوروبا، وكأس العالم للأندية وكأس السوبر الأوروبية

أضاف هونيس "عقدنا أربعة اجتماعات حول هذا الموضوع، وأعتقد أنه سيعمل لصالح نادي بايرن في يوم من الأيام". وأضاف "اجتمع المجلس الاستشاري الاثنين، وكانت مباراتنا التالية الثلاثاء، لذا قررنا الحديث عن هذا الموضوع الأربعاء"، إلا أن "بيلد" كشفت خبر اعتزال لام قبل أن يؤكده رسميا بعد مباراة فولسبورغ.

وتابع هونيس في تصريحات لمجموعة "فونكه" الرياضية، "فوجئت بقرار لام. لم نجد بأنه كان ثمة استعجال للقيام بما فعله. كان عمله سيبدأ في الأول من يناير عام 2018 وكانت مواصفات المنصب في العرض المقدم".

بيان للتوضيح

أصدر مجلس إدارة نادي بايرن ميونيخ، ممثلا في كارل هاينز رومينيغه المدير التنفيذي، بيانا بشأن قرار قائد الفريق البافاري فيليب لام بالاعتزال مع نهاية الموسم الجاري، معربا عن شعوره بالمفاجأة.

وجاء في البيان الذي تم نشره على الموقع الرسمي للفريق "لقد تفاجأ نادي بايرن ميونيخ بقرار فيليب لام وممثليه. في الأشهر الماضية حاولنا مع أولي هونيس إجراء العديد من الحوارات المفتوحة والمكثفة مع فيليب بشأن عمله في منصب إداري مع النادي".

وتابع "في نهاية الأسبوع الماضي أخبرنا بأنه لن يكون متاحا لمنصب في الإدارة الرياضية، وأنه يودّ إنهاء تعاقده الممتد حتى يونيو 2018، بنهاية هذا الموسم".

وأضاف البيان "اعتقدنا أنه سيكون هناك بيان مشترك بين فيليب لام وبايرن بشأن هذا القرار. لقد كان لام لاعبا مهما للغاية بالنسبة إلى بايرن لأكثر من عقد من الزمن".

وختم البيان "الآن نحن مقتنعون بأن قائدنا سيركز على التحديات الصعبة التي تنتظرنا في الدوري وكأس ألمانيا ودوري الأبطال، كذلك نودّ توضيح أن الأبواب هنا ستظل مفتوحة أمامه".

يذكر أن لام خاض ما يفوق الـ500 مباراة مع الفريق البافاري في جميع المسابقات، سجل خلالها 17 هدفا وصنع 70 هدفا آخر، كما توج بـ19 بطولة مع بايرن ميونيخ أبرزها البوندسليغا (7 مرات) ودوري أبطال أوروبا والسوبر الأوروبي وكأس العالم للأندية مرة واحدة.

يعد لام من أبرز المدافعين في جيله لا سيما في مركز الظهير الأيمن، إلا أنه أدى مهمات أيضا في خط الوسط. واعتزل لام اللعب دوليا بعدما رفع كقائد للمنتخب كأس العالم في البرازيل 2014. وشارك اللاعب قصير القامة في 113 مباراة مع "المانشافت"، سجل فيها خمسة أهداف.

ويبدو أن اعتزال لام اللعب مع النادي، يخفي بعض التباينات معه. فبحسب صحيفة "سبورت بيلد"، رفض لام المنصب الذي عرضه عليه بايرن ميونيخ لأنه لا يضمن له مقعدا في مجلس الإدارة، وكان يريد أن تكون له كلمة كما هي الحال بالنسبة إلى رومينيغه وهونيس.

إلا أن لام قدم رواية مختلفة، قائلا "حصلت محادثات، وفي النهاية قررت أنه ليس الوقت المناسب كي أتولى منصبا جديدا في بايرن".

وأضاف "لن أدخل في التفاصيل، لكن ما كان واضحا أن مهمتي الجديدة لم تكن لتبدأ مباشرة، كنت سأحظى بفترة راحة، وهي ما سأكون بحاجة إليه للتمكن من التحضر بشكل أفضل".

وتابع "لا وجود لأيّ مخطط الآن، كل ما في الأمر هو أنني سأصبح شخصا حرا خلال الصيف. بقيت في صفوف هذا النادي لفترة طويلة، سأرى ما يحمل لي المستقبل"، مضيفا "لم يكن أحد يتوقع أن أتوقف عن اللعب ولا أقوم بأمر آخر".

القائد العملاق

حظي لام بإشادة بالغة من مدربه السابق الإسباني بيب غواردیولا الذي انتقل مطلع الصيف الماضي من بايرن إلى نادي مانشستر سيتي الإنكليزي. وقال غواردیولا، الذي درب النادي البافاري ثلاثة مواسم، إن لام "أذكى لاعب كرة قدم دربته في حياتي".

وفي المقابل أكد المدافع ماتس هوملز أنه فوجئ بقرار لام وقال في هذا الصدد "من المؤسف أنه لن يكون معنا اعتبارا من الصيف. لقد تفاجأت بقراره لكنّي أحترمه. لا شك في أن لديه أسبابه".

وعلل لام قرار الاعتزال بقوله "قبل أكثر من سنة، بدأت أفحص وأستجوب نفسي من يوم ليوم ومن أسبوع لآخر. أنا واثق من الحفاظ على قمة مستواي حتى نهاية الموسم.. لكن ليس أبعد من ذلك".

وكان لام قد استهلّ مشواره مع الفريق الأول لبايرن ميونيخ في 2002، إلا أن كثرة المدافعين ولاعبي الوسط الجيدين، دفعت بايرن إلى إعارته لشتوتغارت بين عامي 2003 و2005.

تعرض مدافع المانشافت إلى قطع في الرباط الصليبي في إحدى مبارياته الأخيرة مع شتوتغارت كما عانى من كسر إجهاد في قدمه. لكن لدى عودته إلى بايرن، أصبح من اللاعبين الرئيسيين في مركز الظهير، ورفض عرضا للانضمام إلى برشلونة الإسباني ثم أصبح محبطا بسرعة. وفرض عليه بايرن أكبر غرامة انضباطية في نوفمبر 2009، وتردد أنها بلغت 25 ألف يورو، عقابا على مقابلة انتقد خلالها سياسة الانتقالات في النادي وتكتيكه.

> فيليب لام نجح بطريقة متقنة في إعلان اعتزاله اللعب مثلما نجح من قبل في إعلان اعتزاله اللعب دوليا مباشرة بعد الفوز بكأس العالم 2014 بالبرازيل

قرار صادم

يبدو أن فيليب لام ظهير بايرن ميونيخ، لم يفاجئ الرأي العام فقط بإعلانه الأربعاء عن الاعتزال؛ وإنما فاجأ أيضا أقرب زملائه في بايرن ميونيخ. فبعد انتهاء مباراة الكأس أمام فولسبورغ وفوز بايرن، قال لام إنه سيعتزل في نهاية الموسم، ولن يتولى مسؤولية مدير الكرة بالنادي البافاري.

وقال الجناح الهولندي، أريين روبن، إنه لا يعلم شيئا، أما ماتس هوميلز مدافع بايرن فقال "لم أعرف بهذا سوى الآن، ولذلك فقد تفاجأت وأشعر بالخسارة لأنه لن يقف بجواري على أرض الملعب بعد ذلك".

وواجه فيليب لام كلاعب سخرية البعض بسبب قصر قامته كمدافع، فطوله 1,7 متر فقط، وكان يثير ضحكات البعض أيضا بسبب طموحه الزائد وتصريحاته في مؤتمرات صحافية، "لكن حتى الآن كان فيليب لام هو من يضحك دائما في النهاية"، وفق ما قال بيتر أرينز، المعلق بموقع "شبيجل أونلاين" الألماني.

اللاعب صاحب الـ33 عاما هو نموذج للاعب الكرة الذي يسير في طريقه بلا اعوجاج، إنه صبيّ نموذجي، الأول على فصله الدراسي، ويمثل دبلوماسية تمشي على قدمين، يقول عنه أرينز "لكن ذلك كله صورة لا تتطابق مع فيليب لام الحقيقي، فربما لا يوجد في ألمانيا لاعب كرة قدم آخر غير لام يعرف دائما وبدقة ماذا يفعل وماذا يريد، ولذلك فإعلانه الاعتزال في بايرن يتوافق تماما مع هذا النموذج".

يقول شتن زيمونس عن لام "لقد نجح فيليب لام بطريقة متقنة في إعلان اعتزاله اللعب مثلما نجح من قبل في إعلان اعتزاله اللعب دوليا مباشرة بعد الفوز بكأس العالم 2014 بالبرازيل. لقد نجح بشكل لم يحققه من سبقوه في المنتخب أو في بايرن من أمثال لوتار ماتيوس وشتيفن إفنبرج وميكائيل بالاك".

ويرى زيمونيس أن "لام يريد في البداية القيام باستراحة، وهذه خطوة ذكية بدلا من الدخول مباشرة في وظيفته الجديدة ثم التعثر. وصحيح أن لام رفض تولي المنصب الشاغر للمدير الرياضي في بايرن إلا أنه يبدو أن ذلك سيكون نقطة انطلاق قوية له إلى ما هو أكبر من ذلك".

ويضيف زيمونيس أن عقد كارل هاينز رومينغيه كرئيس لمجلس إدارة النادي ينتهي في العام 2019، وعندها سيكون رومينغيه قد بلغ عامه الـ64 تقريبا، وهذه فرصة جيدة لتسليم الراية إلى فارس آخر ليكمل المسيرة. ويقول زيمونيس إن هذا الفارس "ربما يكون لام، الذي سيكون قد استراح بما يكفي لتولى منصب كبير في بايرن، منصب في مجلس الإدارة أو رئاستها، أو حتى منصب رئيس النادي؟ وهي مسألة لا يستبعدها البعض، وسيكون ذلك مناسبا تماما لفيليب لام وطموحه وخططه الجادة لمستقبله.

أرسنال يستعيد نغمة الانتصارات في الدوري الإنكليزي

أليكسيس يسقط هال سيتي بهدف مارادوني وضربة جزاء

قاد المهاجم التشيلي الدولي أليكسيس سانشيز فريقه أرسنال إلى فوز ثمين 2/ صفر على هال سيتي السبت من خلال هدف مارادوني وضربة جزاء في الوقت القاتل، في افتتاح مباريات المرحلة الخامسة والعشرين من الدوري الإنكليزي لكرة القدم.

❑ **لندن** – عاد أرسنال لعزف نغمة الانتصارات في الدوري الإنكليزي بعد هزيمتين متتاليتين وأحبط مغامرة هال سيتي الذي واصل عروضه القوية بقيادة مديره الفني الجديد البرتغالي ماركو سيلفا، حيث كان الفريق ندا قويا لأصحاب الأرض وأهدر أكثر من فرصة للتعادل.

وأنهى أرسنال الشوط الأول لصالحه بهدف نظيف سجله أليكسيس بيده في الدقيقة 34، ليعيد إلى الأذهان ذكريات الهدف الذي سجله الأسطورة الأرجنتيني دييغو مارادونا بيده في شباك المنتخب الإنكليزي خلال بطولة كأس العالم 1986 بالمكسيك.

وفي الشوط الثاني، سجل أليكسيس الهدف الثاني له وللفريق من ضربة جزاء في الدقيقة الثالثة من الوقت بدل الضائع للمباراة، والذي شهد أيضا طرد سام كلوكاس لاعب هال سيتي بعد تسببه في ضربة الجزاء.

ورفع أليكسيس بهذا رصيده إلى سبعة أهداف في أربع مباريات أمام هال سيتي في الدوري الإنكليزي.

وبدأت المباراة بمحاولات هجومية مكثفة من أرسنال، ولكنها اصطدمت بالدفاع المتكتل من الضيوف.

واستغل أرسنال الأخطاء الدفاعية لهال سيتي وشكل خطورة كبيرة من فرصتين متتاليتين في الدقيقة الثامنة، ولكن الألماني مسعود أوزيل تباطأ في استغلال الفرصة الأولى وسددها دون إتقان، فيما سدد أليكسيس سانشيز الكرة في الفرصة الثانية ضعيفة بين يدي الحارس.

> أليكسيس بهدفه الأول ضد هال سيتي أعاد إلى الأذهان ذكريات الهدف الذي سجله الأرجنتيني مارادونا بيده في شباك المنتخب الإنكليزي خلال بطولة كأس العالم 1986 بالمكسيك

فعل كل شيء

وواصل أرسنال ضغطه الهجومي ولعب أليكسيس تمريرة ساقطة إلى زميله أوزيل داخل منطقة الجزاء، ولكن تسديدة أوزيل ذهبت عاليا.

ورغم تفوق أرسنال، أظهر هال سيتي ندية واضحة وحماسا شديدا في الأداء في ظل الأداء القوي من جروشيسكي والانطلاقات السريعة من نياسي.

وتصدى حارس هال سيتي لضربة رأس ماكرة من أليكسيس في الدقيقة 27 قبل أن يطلق الحكم صافرته معلنا تسلل أليكسيس، كما شهدت الدقيقة 32 فرصة خطيرة لأرسنال انتهت بتسديدة قوية لثيو والكوت من وسط منطقة الجزاء، ولكنها ارتدت من جسم أحد لاعبي هال سيتي.

وكسر أليكسيس حاجز الصمت في الدقيقة 34 وسجل هدفا مارادونيا ليمنح أرسنال التقدم على ضيفه، وجاء الهدف إثر هجمة خطيرة لأرسنال وتسديدة أطلقها كيران جيبس من وسط منطقة الجزاء وتصدى لها الدفاع على خط المرمى، ثم حاول الحارس التعامل مع الكرة، ولكنها تهيأت أمام أليكسيس المتحفز أمام المرمى والذي حولها بيده إلى داخل المرمى، فيما أشار الحكم باحتسابها هدفا وسط اعتراض من لاعبي هال سيتي.

وأثار الهدف حفيظة لاعبي هال سيتي الذين اندفعوا في الهجوم المتبادل مع أرسنال بغية تسجيل هدف التعادل، ولكن دون جدوى لينتهي الشوط الأول بتقدم أرسنال بهدف نظيف.

واستأنف الفريقان محاولاتهما الهجومية مع بداية الشوط الثاني، وكاد هال سيتي يسجل هدف التعادل في الدقيقة 51 إثر هجمة سريعة وتمريرة عرضية لعبها لازار ماركوفيتش من الناحية اليمنى وهيأها نياسي لنفسه بهدوء داخل منطقة الجزاء ثم سددها قوية، لكن حارس المرمى التشيكي بيتر تشيك تصدّى لها ببراعة وأخرجها للركنية.

وتوالت الهجمات من الفريقين في الدقائق التالية، وأهدر والكوت فرصة ثمينة لتسجيل هدف الاطمئنان لأرسنال في الدقيقة 63 إثر هجمة سريعة منظمة أنهاها والكوت بتسديدة ضعيفة من داخل منطقة الجزاء تصدى لها الحارس بسهولة.

وأجرى هال سيتي تغييرا تنشيطيا في الدقيقة 66 بنزول المصري أحمد المحمدي بدلا من عمر العبدولاي، وبعدها بثلاث دقائق فقط دفع الفرنسي آرسين فينغر المدير الفني لأرسنال بلاعبه المصري محمد النني بديلا لوالكوت. وهي المباراة الأولى للمحمدي والنني بعد عودتهما من الغابون، حيث ساهما في تأهل المنتخب المصري إلى المباراة النهائية لبطولة كأس الأمم الأفريقية 2017 بالغابون، قبل أن يخسر الفريق النهائي 2/1 أمام نظيره الكاميروني.

وواصل الفريقان محاولاتهما الهجومية، وإن مالت الكفة بشكل تدريجي إلى أرسنال في الدقائق الأخيرة.

وأسفر ضغط أرسنال عن ضربة جزاء في الدقيقة الأولى من الوقت بدل الضائع إثر هجمة سريعة خرج حارس هال سيتي من منطقة جزائه للتصدي لها، لكن أليكسيس نجح في الاستحواذ على الكرة ولعبها عرضية ليقابلها البديل لوكاس بيريز مارتينيز بضربة رأس في اتجاه المرمى قبل عودة الحارس، إلا أن سام كلوكاس لاعب هال سيتي أبعد الكرة بيده من على خط المرمى ليحتسبها الحكم ضربة جزاء ويطرد كلوكاس. وسدد أليكسيس ضربة الجزاء إلى داخل المرمى، مؤكدا فوز المدفعجية قبل نهاية المباراة.

وعلى استاد "أولد ترافورد" في مانشستر، حقق اليونايتد انتصاره الثاني على التوالي بالتغلب على واتفورد 2/صفر ليرفع رصيده إلى 48 نقطة.

وسجل الإسباني خوان ماتا والفرنسي أنتوني مارسيال هدفي مانشستر يونايتد في الدقيقتين 32 و60.

وفي مباريات أخرى من نفس المرحلة فاز ستوك سيتي على كريستال بالاس 1/صفر، وساوثهمبتون على مضيفه سندرلاند 4/صفر، وتعادل ويستهام مع ويست بروميتش ألبيون 2/2 وميدلسبروه مع إيفرتون سلبيا.

الشيطان يعظ

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ لا أدري لماذا استذكرت وتذكرت تلك الرواية الرائعة للكاتب العالمي نجيب محفوظ " الشيطان يعظ" التي تحولت فيما بعد إلى فيلم سينمائي لاقى رواجا كبيرا خلال حقبة الثمانينات من القرن الماضي، عندما أعلن الاتحاد الدولي لكرة القدم عن تكليف النجم الأسطوري و"الأيقونة" العالمية الخالدة الأرجنتيني دييغو أرماندو مارادونا بمهمة في "الفيفا"؟

ليس في الأمر علاقة كبيرة بين أحداث تلك الرواية الخالدة وبين هذا التكليف والتشريف الذي ناله صاحب "الحظوة" مارادونا، لكن ربما هو اقتباس قد يجسد ولو نسبيا مسيرة هذا اللاعب، وما حف بها من أحداث و"زلات" خطرة كادت تودي بنجم النجوم إلى حافة الهاوية في بعض مراحل حياته.

الخبر أعلنه الفيفا وأكده مارادونا الذي كتب قائلا "أخيرا سأستطيع تحقيق حلمي الأبدي بالعمل من أجل كرة قدم نظيفة وشفافة واتحاد دولي بنفس الصفات مع أشخاص يحبون اللعبة بصدق.. شكرا لكل هؤلاء الذين يشجعونني لمواجهة هذا التحدي الجديد".

مهمة صاحب إنجاز مونديال 1986 تتمثل في المساهمة في نشر القيم النبيلة لكرة القدم وتنظيفها من الدنس والمشاكل والعيوب.

مارادونا سيصبح أحد المدافعين عن المبادئ السامية للرياضة عامة وكرة القدم على وجه الخصوص، سيعمل على محاربة الفساد ويقف كجدار صدّ ضد كل ما من شأنه أن يعكّر صفو اللعبة ويهدد شفافيتها ونزاهتها.

فهذا السفير الجديد للفيفا سيكون من هنا فصاعدا مدافعا شرسا عن نقاء الأجواء في عالم كروي يعرف دوما تجاوزات وانتهاكات وقضايا رشوة وفساد أضرت كثيرا في السابق بمصداقية اللعبة، وضربت "في مقتل" الهيكل الرياضي الأكثر تأثيرا في العالم، ولعل الجميع يتذكر ما حصل لرئيس الفيفا السابق سيب بلاتر وعدد كبير من المسؤولين الكبار صلب هذا الهيكل.

مارادونا قبل الانطلاق في التجربة الجديدة، بدأ مبكرا في هذه المهمة، ألم يتهم بلاتر علنا بكونه المتسبب الرئيسي في حالة الضياع التي هددت واقع الكرة في العالم؟ ألم يعارض السياسة السابقة في تسيير الفيفا؟ ألم يعلنها في أكثر من مناسبة أن الاتحاد الدولي تتحكم فيه "عصابات ومافيا"؟

ومع ذلك، ألم يكن من الأجدى أن يكون قبل كل شيء قدوة في كل شيء؟ فمارادونا الفنان والاستثنائي والظاهرة والعبقري عندما كان لاعبا، خرج من الباب الصغير في نهاية مسيرته في الملاعب، فما حصل له ذات مونديال وتحديدا سنة 1994 في الدورة التي أقيمت بالولايات المتحدة الأميركية ما يزال إلى اليوم عالقا في الأذهان، لقد أقصي مارادونا وأبعد عن المنافسات بسبب تعاطيه المنشطات.

بالتوازي مع ذلك ألم يتورط بعدها في قضايا تتعلق باستهلاك مواد مخدرة كادت تكلفه حياته قبل أن يخضع لبرنامج علاجي صارم؟ ألم يتورط حسب ادعاءات وسائل إعلام إيطالية في علاقات مشبوهة مع المافيا؟

صورة ناصعة، بل شديدة البياض والتألق والإبداع في مسيرة هذا اللاعب، قابلتها على الضفة المواجهة مشاكل عديدة وتفاصيل مشبوهة قد تجعل من مارادونا في فترة ما في حياته، ذلك "الشيطان" الطائش الذي لا يدرك ولا يعي الأمر الذي يجب القيام به، وما يجب تجنبه.

ربما تخلّص "القصير الماكر" من كلّ صفاته السلبية السابقة، وبات كهلا شارف على اكتساب حكمة الشيوخ وهو في سن السادسة والخمسين، لكن رغم ذلك يمكن القول إن المرء قد لا يقدر في كل الأحوال والظروف أن ينجح في كل المهام.

فمسيرة هذا النجم التاريخي تبدو متقلبة، فيها الكثير من النجاح والتألق عندما كان لاعبا فذا سواء مع المنتخب الأرجنتيني أو نادي نابولي الإيطالي على وجه الخصوص، وفيها أيضا إخفاقات وفشل في مراحل أخرى من حياته المليئة بالأحداث والتجارب، سواء الشخصية منها أو الرياضية.

دعونا نستذكر ماذا حصل مع مارادونا عندما تقمّص دور المدرب فقاد منتخب بلاده في دورة سنة 2010 في جنوب أفريقيا، كانت المحصلة آنذاك ضعيفة فخيّب الآمال قبل أن يكتفي بهذا القدر من التجربة المتواضعة، درّب أيضا نادي الوصل الإماراتي دون أن يحقق أيّ إنجاز يذكر، فاكتشف أنه لا يصلح للتدريب.

في المقابل، حقق بعض النجاحات الأخرى في تجارب مختلفة كليا عن تجربة اللعب أو التدريب، حيث نشط برنامجا تلفزيونيا أسماه بـ"الليلة رقم عشرة"، أظهر بعض البراعة في إدارة البرنامج، لكن بعد ذلك انتهى كل شيء بعد أن توقف البرنامج الشهير.

بقي مارادونا في الواجهة على امتداد السنوات الأخيرة، حيث حرص دوما على متابعة بعض المباريات سواء للمنتخب الأرجنتيني أو فرقه السابقة مثل نابولي وبوكا جونيور، كان نجما لا يشق له غبار، أو ذلك "الضوء الساطع" الذي يستهوي الجميع، وبالتوازي مع ذلك لم يتردد للحظة في التعبير عن مواقفه وأرائه بخصوص عدة قضايا ومواضيع، وخاصة فيما يتعلق بقضايا الفساد التي ضربت "الفيفا" في مقتل زمن "حكم" بلاتر.

أما اليوم فقد تغير كل شيء، أعلن مساندته لأنفانتينو الرئيس الحالي للاتحاد الدولي، خاصة بعد قرار رفع عدد المنتخبات المشاركة في كأس العالم، ليكون له ما أراد ويتم تعيينه كسفير دائم في هذا الهيكل.

ومع ذلك، يتعين على مارادونا، قبل كل شيء، الجلوس طويلا في خلوته واستحضار كل الأحداث التي ميزت حياته، حيث وجب عليه الاتعاظ من كل ما سبق قبل أن يبدأ مهمة الوعظ والإرشاد وإعطاء الدروس.

كيربر تسعى لاستعادة عرشها من سيرينا

❑ **الدوحة** – بعد أسبوعين من تخليها عن صدارة التصنيف العالمي لمحترفات التنس، تبدو الفرصة سانحة أمام الألمانية أنجيليك كيربر للتقدم خطوة جيدة على طريق العودة للصدارة من خلال بطولتي قطر ودبي المفتوحتين للتنس خلال الأيام القليلة المقبلة.

وتخلت كيربر المصنفة الثانية على العالم حاليا عن المشاركة مع منتخب بلادها في الدور الأول لمسابقة كأس الاتحاد الذي تقام منافساته السبت والأحد، لكنها أكدت مشاركتها في بطولتين متتاليتين بمنطقة الشرق الأوسط أملا في استعادة التصنيف العالمي للمحترفات.

وكانت كيربر ودّعت رحلة الدفاع عن لقبها في بطولة أستراليا المفتوحة مبكرا، لتخسر مع نهاية فعاليات البطولة الشهر الماضي موقعها في صدارة محترفات التنس.

وذهبت الصدارة إلى الأميركية سيرينا وليامز التي استعادت بريقها في عالم اللعبة من خلال الفوز بلقب أستراليا المفتوحة بعد التغلّب في النهائي على شقيقتها الكبرى فينوس، ليكون اللقب الثالث والعشرون لسيرينا في بطولات الـ"غراند سلام" الأربع الكبرى متخطية بهذا رصيد أسطورة التنس الألمانية شتيفي غراف (22 لقبا).

ومشاركة كيربر في بطولتي قطر ودبي قد تسهم في استعادتها صدارة المحترفات، خاصة في ظل غياب سيرينا عن البطولتين، علما بأن سيرينا وشقيقتها فينوس غابتا أيضا عن فعاليات الدور الأول لبطولة كأس الاتحاد الذي يشهد مواجهة مثيرة بين المنتخبين الألماني والأميركي.

ووصلت كيربر إلى العاصمة القطرية الدوحة الجمعة، استعدادا للمشاركة في بطولة قطر توتال للتنس والتي تنطلق فعالياتها الاثنين وتستمر لستة أيام.

وتشهد بطولة الدوحة مشاركة 32 لاعبة في منافسات الفردي بالإضافة إلى 16 فريقا في منافسات الزوجي.

وتبدو كيربر مرشحة بقوة للفوز باللقب في هذه النسخة بشرط استعادة مستواها العالي الذي ظهرت به في 2016، والذي ساعدها على انتزاع صدارة المحترفات من سيرينا في سبتمبر 2016، قبل أن تستعيد سيرينا الصدارة من خلال بطولة أستراليا المفتوحة في يناير 2017.

وتتصدر كيربر أيضا قائمة المصنفات في بطولة دبي التي تنطلق فعالياتها منتصف الأسبوع المقبل، والتي تغيب عنها سيرينا أيضا مما يعزز موقف كيربر لاستعادة صدارة المحترفات.

الطريق ممهد

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

أفلام الحب ببلجيكا تفتح نافذة على السينما العربية

افتتح مهرجان أفلام الحب الدولي ببلجيكا بمشاركة عربية واعدة بعد غياب طويل عن الأضواء الغربية. ويتوقع أن تقدم هذه المشاركة العربية الإضافة بوصف الكثير من الأعمال العربية المشاركة حاصلة على جوائز عالمية وترتقي إلى الذهنية الأوروبية.

❑ **بروكسل** – يحتضن مهرجان أفلام الحب الدولي في دورته الـ33، والتي انطلقت فعالياته في مدينة مونص جنوب بلجيكا، السينما العربية بعد غياب طويل.

وتأتي مشاركة السينما العربية في المهرجان بأفلامها لتساهم في معايدة العالم بعيد الحب الموافق ليوم الثلاثاء الـ14 من فبراير 2017.

وقد افتتح مهرجان أفلام الحب، بمشاركة نحو 120 فيلما بين روائي طويل وقصير، من أكثر من 40 بلدا بينها دول عربية وسيستمر حتى الـ17 من فبراير الجاري، علما وأنه سيمنح جوائز لأحسن فيلم طويل، وممثل، وإخراج، وفيلم روائي قصير، إلى جانب جائزة الجمهور.

وقال المدير الفني للفعالية أندريه كوتريك "المهرجان اهتم هذا العام بشكل خاص بسينما الدول العربية، وذلك بعد سنوات من غيابها عنه بسبب ما عاشته بعض هذه الدول مثل تونس ومصر من أحداث سياسية واجتماعية، غيبت عنها العمل الثقافي بعض الشيء".

وأضاف "اليوم نجد العديد من الأعمال السينمائية التي نعتبرها قادرة على المنافسة من ناحية، وعلى تغذية انفتاح المهرجان على السينماءات الأخرى، لا سيما العربية، من ناحية ثانية".

وأفاد رئيس المهرجان ورئيس الحكومة البلجيكي السابق إيليو دي ريبو "المهرجان في إطار انفتاحه واعتماده أبعادا إنسانية، ارتأى أن يفتح هذه السنة المجال للسينمائيين العرب لتقديم أعمال ترتقي بلا شك إلى الذهنية الأوروبية، بل والعالمية بفضل ما تطرحه من قضايا تتعلق بالإنسان".

علي يحتفل بعيد الحب مع معزته

ومن بين الأفلام العربية المشاركة في المسابقة الرسمية للمهرجان فيلم "علي معزة وإبراهيم" للمخرج المصري شريف البندري، وهو إنتاج قطري فرنسي إماراتي مشترك.

ويروي الفيلم قصة شاب اسمه علي متعلق بمعزته، ويواجه انتقادات كثيرة من مجتمعه بسبب ذلك، ويلتقي علي مع إبراهيم الذي يعاني اكتئابا حادا، وينطلق علي ومعزته وإبراهيم في رحلة عبر مصر، يحاولان خلالها مساعدة بعضهما البعض للتغلب على محنتهما والعثور على أمل للتمسك بالحياة مرة أخرى.

كما يشارك في المهرجان الفيلم التونسي "جسم غريب"، للمخرجة رجاء العماري، ويروي قصة امرأة شابة وصلت إلى فرنسا سرّا غداة الثورة التونسية، وذلك بسبب خوفها من ملاحقة أخيها المتشدد الذي أبلغت عنه. كما يشارك بالمهرجان فيلم "صبية" للمخرج الإيراني رضا ميركاريمي.

وفي مسابقة الأفلام الأوروبية في المهرجان البلجيكي يشارك فيلم في "هذا العمر أختبئ لأدخن" للمخرجة الجزائرية المقيمة في فرنسا ريحانة أبرمير، وهو إنتاج جزائري فرنسي يوناني مشترك.

الفيلم مقتبس من مسرحية تحمل العنوان ذاته وتشارك فيه الممثلة الجزائرية نادية قاسي ومواطنتها بيونة، إلى جانب الممثلة الفلسطينية هيام عباس، ويحكي قصة امرأة تختبئ من أجل أن تدخن، في مغازلة لحرية المرأة، وتم تصوير العديد من مشاهده في اليونان.

ويستضيف المهرجان في قسم السينما العالمية فيلم "زهرة حلب" للمخرج التونسي رضا الباهي، من إنتاج مشترك بين تونس ولبنان ومصر، ويطرح مشكلة الشباب التونسيين الذين ذهبوا إلى سوريا للمشاركة في الحرب.

كما يستضيف المهرجان فيلم "الماء والخضرة والوجه الحسن" للمخرج المصري يسري نصرالله.

وفي مسابقة الأفلام الروائية القصيرة، يشارك فيلم "حار جاف صيفا" للمخرج المصري الشاب شريف البندري، من إنتاج مصري ألماني مشترك.

ويشارك بالمسابقة أيضا فيلم "خلينا هكّا خير" (دعنا هكذا أفضل) للمخرج التونسي مهدي البرصاوي الحائز على جائزة المهر الذهبي كأفضل فيلم عربي قصير في مهرجان دبي السينمائي في أكتوبر 2016، إضافة إلى الفيلم الإيطالي "الصمت" للمخرجة الإيرانية فرنوش صمدي ومواطنها علي أصغري.

محبو بيونسيه يأملون أن تتغلب على لعنة جرامي

❑ **لوس أنجلس** – تشهد جوائز جرامي الموسيقية لهذا العام المنافسة الكبرى بين أديل وبيونسيه أشهر نجمتي بوب على الساحة الغنائية إذ تتنافسان في فئات أغنية وإسطوانة وألبوم العام.

ورغم ترشحها لاثنين وستين جائزة جرامي وفوزها بعشرين من هذه الجوائز لم تفز بيونسيه (35 عاما) قط بجائزة ألبوم العام رغم تربع ست من ألبوماتها على عرش القوائم الموسيقية.

وبحصولها على تسع ترشيحات يأمل كثير من محبي بيونسيه أن يتغلب ألبومها ليمونيد ذو الصبغتين الشخصية والسياسية على لعنة جرامي التي تلاحقها.

ويعتقد كثيرون أن ليمونيد يتناول زيجة بيونسيه المضطربة من مغني الراب جاي زي كما يتضمن أغنيات تشير إلى تمكين السود وتمكين المرأة.

تواجه بيونسيه منافسة شرسة من البريطانية أديل التي اكتسحت جوائز جرامي عام 2012 بفوزها بست جوائز عن ألبومها 21.

ويختار معنيون في عالم صناعة الموسيقى الفائزين في 80 فئة من فئات جوائز جرامي وسيذاع الحفل تلفزيونيا.

ووفقا للأرقام الواردة في تقرير باز أنجل ميوزيك فقد حقق ألبوم ليمونيد مبيعات إجمالية قاربت 3.1 مليون دولار عام 2016 في حين حقق ألبوم 25 مبيعات بلغت ثلاثة ملايين دولار. إلا أن ألبوم فيوز لمغني الراب الكندي دريك يعتلي عرش الألبومات الأكثر مبيعا خلال العام. ورُشح دريك لثماني جوائز جرامي بما في ذلك أفضل ألبوم وأفضل إسطوانة.

وارتفاع المبيعات لا يترجم عادة إلى الفوز بجرامي وهو أمر أدركته بيونسيه تماما في عام 2014 عندما سجل ألبوم لها مبيعات تزيد عن 350 ألف دولار ولكنها خسرت أمام ألبوم مورنينج فيز للمغني بيك والذي حقق مبيعات أقل من عشر مبيعات ألبوم بيونسيه.

ويقول جيم أسود رئيس التحرير بمجلة بيلبورد إنه إلى جانب بيونسيه وأديل ودريك وجاستن بيبر الذي ينافس بألبومه بيربوز هناك أيضا المغني ستيرجل سيمبسون الذي يعد بلا جدال الحصان الأسود في السباق هذا العام بألبومه إيه سيلورز جايد تو إيرث.

صباح العرب

لبنى الحرباوي

نساء وحريم

❑ أذهلتني صورة لافتة انتشرت على الشبكات الاجتماعية لكاتبة مصرية ترتدي ثيابا كثيرة ولا يظهر منها شيء، حتى عيناها لا تمكن رؤيتهما، بصدد توقيع كتابها الجديد "التعدّد شرع" على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب.

والكتاب كما يبين عنوانه يحتفي ويشجع على "تعدد الزوجات".

وتحتفل صاحبة الكتاب على حسابها على فيسبوك في لحظة "نصر" قائلة "حمدا لله أغلب الذين كانوا موجودين بنات وستات".

الموقف دعاني إلى استحضار ما قاله نزار قباني، شاعر المرأة، "أكثر ما يثير استغرابي في بلادي أن تأتي النساء ضد حقوق النساء".

برأيي أنه من الطبيعي أن يرغب الذكور بالسيطرة على الإناث حتى تطيب لهم الحياة لكن المحيّر فعلا لماذا النساء يقفن ضد حقوقهن؟

والحقيقة أنه مثلما يقول مدافعون عن حقوق المرأة فإن الأيديولوجيا حولت بعض النساء إلى كتل صماء عمياء تعمل بجهد، قل مثيله، ضد حقوقهن الطبيعية والإنسانية، بل لا يتوانين لحظة عن التعبير عن حقدهن إزاء من يمثلهن.

وبرأيي طبعا أنهن ليسوا نساء بل "حريم"، ومثلما روى لنا التاريخ قصص عبيد كانوا ضد العتق وقصص الخونة الذين كانوا ضد الاستقلال فإنه سيروي قصص نساء ضد حقوقهن الطبيعية.

ووقوف نساء كثر ضد المرأة المطالبة بحقوقهن، هو نتاج استخدامهن تفسير الرجل لماهية العدل، فترى حقوقها من خلال تصور الرجل لها.

أستحضر هنا كلمات يرددها أغلب رجال الدين "الإسلام يعني الاستلام، والتسليم".

عبر لعبة حروف بسيطة قام هؤلاء في مرحلة أولى بتعطيل ملكة العقل لدى "المؤمنين والمؤمنات به". وفي مرحلة ثانية يلجأوون إلى اعتماد أساليب تعقّد الدين حتى يظهر للناس صعبا يحتاج متخصصين لفك طلاسمه ليظهر الكهنة مقدمين خدماتهم وهذا ما يفسر تعلق الناس بهم و"عبادتهم من دون الله" حتى أصبحوا تاج الرؤوس وخطا أحمر لا ينبغي تجاوزه.

ولا شك أنه عندما تنام العقول تستيقظ الأصنام، طبعا الأصنام التي يتخذها المغيبة عقولهم قدوة ويوكلونهم بالتفكير نيابة عنهم!

هؤلاء الموكّلون أغلب فتاواهم موجهة إلى النساء مثل: هل تعلمين أنه برفضك للتعدد ترفضين ما أحلّه الله وتعملين على وأد سنة الرسول، هل تعلمين أن لبس الضيّق حرام، ولبس الألوان حرام، والسفور يحرقك في النار، والتبرج يقودك إلى جهنم وبئس المصير. بل وصل الأمر ببعضهم ليفتي بأنه لا يجوز "دفن الرجال والنساء في مقبرة واحدة".

تجد النساء المتخليات عن عقولهن في بداية الرحلة أنفسهن ملزمات باتباع الموكل بأمرها لتحصد الجنة الموعودة.

فـ"ما أردأ الأحوال في دولة قمعستان حيث الذكور نسخة عن النساء والنساء نسخة من الذكور".

مصور «العرب» يفوز في مسابقة مصرية

سارة محمد

❑ للعام الثاني على التوالي، حصد المصور الصحافي المصري، محمد حسنين، مصور جريدة "العرب" في القاهرة، المركز الثاني في مسابقة نقابة الصحافيين، فئة "القصة المصورة".

الجائزة جاءت عن صور موضوع "صيد أم الخلول"، الذي نشر في "العرب"، بالعدد "19–11–2016"، وكان حسنين قد فاز بالمركز ذاته في العام الماضي، عن موضوع نشر في "العرب" أيضا، بعنوان "فتاة اللحام.. أول فتاة تعمل بالمهنة تحت الماء".

روى حسنين لـ"العرب"، تفاصيل رحلته لتصوير الصيادين فجرا، قبل توجههم لاصطياد "أم الخلول"، بعد أن رأى مجموعة منهم يرتدون الملابس الثقيلة، وينزلون إلى البحر لبدء رحلة الصيد، فقرر خوض المغامرة، رغم كونه غير مستعد بالملابس اللازمة لتلك الرحلة، ما جعل من عملية التصوير بالكاميرا مغامرة كبيرة، لعدم وجود الضوء الكافي، إضافة لشدة برودة المياه مع بداية فصل الشتاء.

ويرى مصور "العرب" أن هذه التفاصيل، هي التي منحت صوره الفوتوغرافية شكلا مميزا ومختلفا، خصوصا وأنها أتت لا تحمل أيّ تقليدية في ملامحها، حيث عكست واحدة منها تصارع الأمواج خلال وجود الصيادين بالبحر وقيامهم بعملية الصيد، وأبرزت الثانية لحظة انتشال أم الخلول في عرض البحر.. وهكذا جاءت بقية الصور مميزة.

ولم يكتف حسنين بهذه الجائزة، بل فاز أيضا بالمركز الثاني في المسابقة ذاتها، عن فئة الصورة الخبرية، وكانت لصورة عن انتشال جثة أحد ضحايا مركب رشيد، الذي غرق العام الماضي في مصر.

وأكد أن المصور الصحافي المصري، لا يتلقى أيّ دعم على أيّ مستوى، بل إنه يعتمد على نفسه بالكامل في إعداده التجهيزات اللازمة لمثل تلك الصور الصحافية المتفردة، التي يتطلب التقاطها خوض المغامرة.

المسابقة كانت ضمن فعاليات معرض "شعبة المصورين الصحافيين"، الذي افتتح مؤخرا، وضم 126 صورة، بمشاركة 36 مصورا صحافيا من مختلف أنحاء مصر، وانقسمت الصور إلى خمسة فروع، وهي الصورة الخبرية، وصور الحياة اليومية، والقصة المصورة، والرياضة، والفن.

وكانت المنافسة محتدمة بين عدد كبير من المصورين الصحافيين المصريين، وهو ما تجلّى في صورهم التي تنوعت في إبراز تفاصيل حياة البسطاء ما بين الصيادين وصانعي الفخار والفلاحين وغيرهم.